جامعة الجزائر
معهد التاريخ

الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين

رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي

اعداد الطالب
محمّد الامين بلغيث

اشراف الدكتور
عبد الحميد حاجيات

السنة الجامعية

1406 هـ 1407 هـ

1986 م 1987 م

بســـــــم اللـــــه الـــــرحمـــــن الـــــرحـــــيم

مقدمة

حين تناقش التحديات والأخطار التي تواجه الأمة الاسلامية اليوم كثيرا مايستشهد الدعاة والمفكرون وأصحاب الدراسات الجامعية بانتصارات صلاح الدين الأيوبي في المشرق ،ويوسف بن تاشفين في المغرب ، ليبرزوا أهمية الروح الاسلامية في مواجهة التحديات والأخطار.

والمنهج المتبع الذي يتم به الاستشهاد ،يبدأ باستعراض الحملات الصليبية والمجازر التي رافقت هذه الحملات،ثم ينطلق المتحدث عبر المسافات والأزمنة ليتحدث عن حركة الجهاد العسكري التي قام بها الشهيد عماد الدين وابنه الصالح نورالدين محمود من آل زنكي وختمها صلاح الدين الأيوبي بتحرير وتطهير المقدسات .

وبنفس الأسلوب يطرح الدارسون تجربة المرابطين بزعامة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حيث يتم استعراض أوضاع المغرب الاسلامي ،ثم يستشهد هؤلاء بنتيجة هذه التجربة وهو انتصار أمير المرابطين في معركة الزلاقة الشهيرة ووقوف المرابطين في وجه المد المسيحي بقوة ،وحماية الأندلس من سقوط وشيك في أيدي النصارى الاسبان.

وهذا طرح منهجي وأسلوب يقود الى استنتاج . أن ما تحتاجه الأمة الاسلامية في معاركها مع التخلف الحضاري من الداخل والقوى المعادية لنا من الخارج ،هو قائد مسلم مخلص ،يستوعب روح الجهاد ،فيعبئ النفوس ويمتن الصفوف ،ويعلن المعركة للاستجابة للتحديات الحضارية من الداخل وقوى الشر والدمار من الخارج .

وهذا فهم له خطورته لأنه يهمل المنهج القرآني الذي يقرر أن أسلوب التغيير الى الأفضل أو الأسوء ،لا يحدث الا اذا سبقه تغيير جماعي يقوم به القوم لا الأفراد لما بالأنفس من تصورات ومفاهيم .

وآثار هذا التغيير ينعكس على ما بالقوم من أحوال في السياسة والاقتصاد والاجتماع والعمران في المجالين الداخلي والخارجي ،كما أن المنطلق الخاطئ في التغيير يصرف الأنظار عن الأمراض الحقيقية التي تؤدي الى ((قابلية التخلف والهزيمة)) ويشغلها بالمظاهر الخارجية وهو مايستحيل على أمة ضعيفة معالجتها ،ومن أخطار هذا المنهج ، ترسيخ الرّوح الفردية التي تؤدّي في غالب الأحيان إلى طمس رسالة الجماعة ، ويشيع التواكل على القيادات وحدها.

ان البحث في تفاصيل التغيير الحقيقي الذي حدث في الفترة التي لجها ونقل الأمة من نومها العميق الى المواجهة الحقيقية ،تستدعي الاجابة عن مجموعة من الأسئلة أهمها .

- ما هي التصورات والقيم السائدة في عصري المرابطين والموحدين وكيف عملت هذه التصورات على تغيير ايجابية الفرد والجماعة الاسلامية الى ((القابلية للهزيمة)) ، أمام المنحرفين وأصحاب النفوذ السياسي في عهد ملوك الطوائف بالمغرب والأندلس ؟

- ما هو التغيير الذي حدث في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الى أن تمكن أهل المغرب من اعادة النظر في تصوراتهم الخاطئة ؟

- ان المصادر التي أرخت للأحداث بدقة ، والأثار التي تركها الذين عاصروا أحداث القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وأرخوا للفترة بوضوح تبين لنا أن يوسف بن تاشفين ومن بعده عبد المؤمن بن علي ، هما بداية لجيلين من الأجيال الاسلامية - على الرغم من اختلاف تصورهما ، وكان الفضل في بروزهما يعود الى الداعية المصلح أبي عمران الفاسي وتلميذه وجاج بن زللو اللمطي وعبد الله بن ياسين ((مهدي المرابطين)) هذا بالنسبة لجيل المرابطين ، أما جيل الموحدين فقد كان وراءه الثائر الكبير المهدي بن تومرت وكان تكوين هذه الأجيال في رباطي نهر السنغال وتينمل ، لهذا كان الرباط في المغرب يمثل حجر الزاوية في الاصلاح ومنطلق الانقلاب الاسلامي .

ومن هنا يبدأ تحليلي لاستراتيجية الاصلاح والتجديد ،وهو ما استهدفته هذه الدراسة التريخية التحليلية لـ ((الربط بالمغرب الاسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين)) .

ويمكن اجمال أسباب اختياري لهذا الموضوع في النقاط الآتية .

- ان ما شدّني لهذا الموضوع -على الرغم من تشعبه - هو غياب دراسة شاملة عن الربط بالمغرب الاسلامي وابراز دورها الحضاري ، واقتصار الدراسات المتوفرة على التأريخ لنشأة الرباط والمرابطة والأعمال الثغرية أو دراسة هذه المؤسسة الهامة بصورة مختصرة ضمن العمارة الاسلامية .

- إن المرابطة - في غالب الأحيان - من المصطلحات المرادفة للجهاد في سبيل الله ، والجهاد بصورة عامة عند المغاربة له المكانة الأولى في تصورهم الاسلامي ،فهو الطريق السليم لاحقاق الحق ، ومع هذا فهم يفرقون - كما يفعل علماء الشريعة

الاسلامية ـ بين الحرب بمعنى الصراع والتدمير والاستلاء على مايملكه الغير ، وبين الجهاد الذي شرعه الله ، والذي لم يكن قاصرا على معنى القتال وحده ، لهذا اعتبر الرباط والمرابطة في سبيل الله من مفاخر أهل المغرب الاسلامي ، وتميزت الربط بدور خاص في عصري المرابطين والموحدين ، ولهذا خصصت دراستي هذه للفترة المذكورة لما للربط من فعالية مميزة دون سائر الفترات التاريخية .

ـ ان نموذجي المرابطين والموحدين من النماذج الاسلامية التي تمثل ((الصحوة الاسلامية في المغرب الاسلامي)) ،ولهذا حاولت التركيز بشيء من الدقة على عنصري التغيير والاصلاح في هذين النموذجين لأبرز للأجيال الحاضرة واللاّحقة أهم النماذج الاسلامية في المغرب لتكون لنا ولهم القدوة الحسنة فيما أصابت من حق والموعظة والامتحان فيما فشلت فيه ، والجدير بالملاحظة أن هذه الدراسة تجمع بين الدراسة التاريخية والأثرية من جهة ،ومن جهة أخرى فانها دراسة موازنة بين تجربة المرابطين السلفية ، وحركة الموحدين ذات العقيدة والتصورات الخاصة بها وكذلك موازنة ومقارنة بين الربط والمرابطة عند المسلمين والديرية والرهبانية عند المسيحيين

ـ أما المنهج المتبع في هذا البحث والصعوبات التي واجهتني فيمكن اجمالها في النقاط الآتيـة .

ـ بالنسبة للمنهج المتبع في هذه الرسالة فهو منهج ((توثيقي نقدي)) بمعنى أنه لا يخرج عن أسلوب الدراسات التاريخية التحليلية التى تعتمد على جمع المادة التوثيقية وتنسيق نصوصها ،ونقدي ، أي نقد النصوص في عملية تركيبية تجمع بين التأليف والابداع .

ـ أما الصعوبات التي واجهتني فتتمثل في امتداد الفترة الزمنية المدروسة الى أكثر من قرنين ونصف،ومع هذا فقد حاولت طرح دور الرباط عند المرابطين وتتبعت منحنياته عند الموحدين في عصره الذهبي الى أن تحول الى زاوية مثلت دور ((إنسان ما بعد الموحدين .))

ومن الصعوبات المطروحة في هذه الدراسة ، تشعب مواضيعها حتى يكاد يشكل كل عنصر من عناصرها دراسة مستقلة بمصادرها ومراجعها .

وتشمل هذه الأطروحة على مقدمة طرحت فيها البناء العام لهذا الموضوع والخطة المفصلة لمنهجه ، أردفتها بدراسة مستقلة لمصادر ومراجع البحث ،وخمسة فصول وخاتمة عالجت في الفصل الأول ظهور الربط والمرابطة في المشرق الاسلامي من الفتح الى غاية القرن السابع الهجري ،حيث أبرزت فيه أهمية الرباط العسكرية والدينية في عهد الدول الاسلامية المتعاقبة ،وختمت الفصل الأول بمجموعة من النتائج حتى

اذا فكر المسلمون في اعادة كتابة التاريخ الاسلامي ،عليهم أن ينصفوا حراس الثغور من المجاهدين والمرابطين في سبيل الله ،والتأكيد على أن الجهاد هو محرك سنن الحياة الاسلامية عبر تاريخهم الطويل .

وقد تمثل الجهاد في الرباط والمرابطة والأعمال الثغرية وتعمير الأرض.

وتعرضت في الفصل الثاني لنشأة الربط والمرابطة في المغرب والأندلس الى غاية قيام الدولة المرابطية ، وأبرزت فيه أهمية الربط في حياة وآثار الامارات والدول المتغلبة في المغرب على عهد العباسيين ،ويمكن اعتبار الفصول السابقة بمثابة القسم الأول من البحث والأرضية المتينة التي أقمت على أركانها الفصول الأخيرة.

وتطرقت في الفصل الثالث للدور العسكري والديني للربط في عصري المرابطين والموحدين ويعالج الفصل الرابع من هذه الدراسة الدور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للربط المغربية ، ودرست في الفصل الأخير ، الرّبط والعمارة أيام المرابطين الموحدين ، ويمكن ادراج هذا الفصل بين الدراسات الخاصة بالموازنة والمقارنة ما بين الرّباط بالمغرب والأندلس وربط المشرق ، بالاضافة الى كون الفصل دراسة مقارنة بين الربط الاسلامية وعلى الخصوص الربط المغربية وبين الديرية عند المسيحيين .

وقد ركزت في هذه الرسالة على دراسة الرباط والمرابطة والتصوف في المغرب الاسلامي مع مقارنة خاصة بنظام الرهبانية والديرية عند المسيحيين وعلى الخصوص الديرية الأيرلندية وهذا لابراز أخطاء المستشرقين ومن سار على منوالهم في تشويه وتزييف الخصائص المميزة للحضارة الاسلامية .

وختمت هذه الرسالة بنتائج وملاحظات يمكن اعتبارها منطلقات متواضعة لأخذ العبرة من نموذجي المرابطين والموحدين في تحقيق مبادئ الدعوة الاسلامية .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي أمدني بنصائح وجيهة وارشادات علمية قيمة لاتمام هذه الدراسة .

والله ولي التوفيق

====================

أحاول في هذا العرض ابراز أهمية المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة ، اذ من كمال الاحاطة بأي عصر في مجال التاريخ ابراز قوة أو ضعف النصوص والوثائق المعتمدة ، حتى يتسنى للدارسين والقراء على حد سواء معرفة رصيد أي دارسة حديثة ، وكما أبرزت منهجي في مقدمة الدراسة عامة ، فان الدراسة النقدية لمصادر ومراجع البحث رتبتها حسب أهمية كل مادة حيث تأتي كتب المسالك والممالك والمعاجم الجغرافية في مقدمة المصادر العامة في هذا البحث ثم كتب الطبقات والرتبة التي تليها تأتي الموسوعات وكتب المعارف التاريخية العامة ثم الدراسات الحديثة ويمكن أن تكون على النحو الآتي :

1ـ كتب المسالك والممالك والمعاجم الجغرافية .

2ـ كتب الطبقات .

3ـ الموسوعات وكتب المعارف التاريخية العامة .

4ـ الدراسات الحديثة .

ـ أدب الرحلات عند المسلمين من أهم ما أبرزته الحضارة الاسلامية اذ من المعلوم أن من أركان الاسلام حج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا ، واتخذ المسلمون من الحج والتجارة وطلب العلم هواية وغاية نبيلة لتحقيق الفوز في الدارين ، الدنيا والآخرة ، لهذا استطاع الرحالة المسلمون ربط أقاصي الخلافة الاسلامية ببعضها البعض ، هذه الرحلات هي التي ابتدعت تلك الشخصية الخالدة ، شخصية السندباد البحري الذي ترتبط أسفاره بالأدب الجغرافي ارتباطا أوثق مما كان يظن من قبل كما يقول المستشرق كراتشكوفسكي) في كتاب تاريخ

الأدب الجغرافي العربي ، ومن هذا وذاك ظهرت للوجود كتب المسالك والممالك والمعاجم الجغرافية وكتب الخراج والفلك ، وهذه المصادر من الأهمية بمكان في هذه الدراسة التي تتناول حياة المرابطين وأهل الثغور وحماة بيضة الاسلام في مشارق العالم الاسلامي ومغاربه ومنها :

<u>أولا ـ كتب الرحلات والمعاجم المشرقية :</u>

يأتي في مقدمة كتب المسالك والممالك التي أفادتني في معرفة المدن الثغرية (كتاب المسالك والممالك) لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة الفارسي الاصل ، كان من المقربين من بلاط الخليفة العباسي (256هـ ـ 279/ 870ـ 892م) ومن ندمائه أصحاب النفوذ ، فأهله هذا النفوذ لشغل وظيفة هامة هي وظيفة صاحب البريد بنواحي الجبال ببلاد فارس، وأهم ماجاء في المسالك والممالك حديث ابن خراداذبة عن أرض السواد في العراق وتقسيماته الادارية وأنواع الضرائب التي تجنى منه (1) مع إيراد ملاحظات عن ميزانية الدولة العباسية في ذلك العهد ، وكذلك كان حديثه عن الثغور والمسالك المؤدية للمدن قد حددت لبحثي مادة طيبة عن الثغور الجزرية وأهم المعالم التي تربطها بالثغور الشامية .

ويلي كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة الفارسي في الأهمية (نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة) لقدامة بن جعفر الآرامي الأصل ، اعتنق هذا الأخير الاسلام على يد الخليفة المكتفي بالله العباسي (289هـ ـ 295هـ/ 902ـ 208م) وتولى هو الآخر ولاية البريد وكتابه هذا " نبذ من كتاب الخراج " الملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة لا يرقى الى مستوى المصنف الجغرافي بقدر ما هو مدخل

(1) ـ استفاد محمد علي نصر الله من كتب المسالك والممالك أيما فائدة . . . ./ . . .

من أجل عمال الدولة و هو بمثابة تتمة هامة لابن خرداذبة كما يقول كراتشكوفسكي وأهم ما أفادني نبذ قدامة بن جعفر تمكنه من تعريف الثغور والعواصم كما دقق في إمكانيات كل رابطة من روابط المسلمين في مدن الثغور و مايحتاج المتطوعة من مال و سلاح و شحن للنفوس في مواجهة العدو المرتقب .

وأبو الفرج قدامة بن جعفر الى جانب اهتمامه بالاقتصاد الاسلامي من خلال وظيفة (صاحب البريد) فهو صاحب نظريه جريئة في الشعر (2) .

أما (مسالك الممالك) لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي و من رجال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وصف في كتاب العالم الاسلامي وقسمه الى عشرين إقليما ، فوصف جزيرة العرب و بحر فارس مع المحيط الهندي و المغرب مع الأندلس و صقلّية و مصر و الشام و بحر الرّوم و الجزيرة الفراتية و بلاد فارس و الهند و ارمينيا و بحر الخزر و بلاد ما وراء النّهر .

وفي مسالك الممالك ذكر للمدن و الثغور و الرّبط ، و استفدت من كتاب الاصطخري في معرفة العصر الذهبي للربط الاسلامية خاصة في بلاد ما وراء النّهر حيث وصفهم وصفًا دقيقا وعرف موطن الصلاح فيهم حتى أتخذهم الخلفاء العباسيون خاصة المعتصم بالله من أخص جنده و ان كانت هذه مفسدة لهم اذ قبل ما يدخل هؤلاء الجند للخلافة الاسلامية ببغداد كانوا أشد أمم الاسلام تدينا وحفظا لبيضة الاسلام يقول مثلا (و بلغني أن بالشّاش و فرغانة من الاستعداد ما لا يوصف مثله

... / ...

وخرج بنتائج طيبة أنظر كيفية استخدام كتب المسالك و الممالك خاصة في سواد العراق محمد علي نصرالله تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلام (نموذج أراضي السّواد) دار الحداثة بيروت 1985م .

(2) ــ توفي قدامة بن جعفر ما بين (330 ، و 337 هـ/ 922 ــ 948م) . وألف كتابه على ما يبدو حوالي عام 316 هـ/ 928م .

عن ثغر من الثغور حتى أن الرجل الواحد من الرعية عنده من ، ، بين مائة دابة الى خمس مائة ... وهم مع ذلك أحسن الناس طاعة لكبرائهم وألطفهم خدمة لعظمائهم وفيما بينهم حتّى دعا ذلك الخلفاء الى أن استدعوا ممّا وراء النّهر رجالها وكانت الاتراك جيوشهم لفضلهم على سائر الاجناس) وأما عن الرّبط وكثرتها بهذا الاقليم فهي من الامور التى أثارت استغرابه لانها بلاد عامرة وأهلها مرابطون في ثغورهم ، ويظهر الاصطخرى في كمالكه من كبار الرّحالة المسلمين الذين تحدّثوا عن الثغور ومتانتها كما أنّه اهتم بمسألة الصلاح والطاعة لأولي الأمر خاصة بين أهل ما وراء النّهر وهي شهادة طيبة لهذه البلاد التى عانت من ويلات الحروب والمحن أيام الغزو المغولي للعالم الاسلامي .

كما أفادني الاصطخرى في ادرة بلاد الشام من حيث تقسيمها الى أجناد وكل جند أو اقليم ادارى له مدنه الخاصة .

وأفادني أيضا حين وصف (بحر الروم) من السوس الأقصى الى بلاد مصر والى آخر بلاد الشام من الثغور وحدّد في ثقة هامة أن هناك فداء بين المسلمين والرّوم أيام الصراع الحربي بين المسلمين والبيزنطيين .

وفائدة الاصطخرى كمشرقي في معرفة ثغور بلاد المغرب والأندلس وجزائر البحر الأبيض المتوسط تظهر في :

1ــ المعلومات الجيدة عن صقلية على الرغم من ندرتها .

2ــ ذكره اقريطش وسكانها أهل جهاد وغزو في عرض المتوسط .

3ــ ذكر لجبل القلال الذى سيطر عليه الثغريون من تنس ووهران والبليار

بين عامي (889و 972م) والذى تكونت فيه مستعمر المغربين اعتبرت من المعالم الاسلامية الخالدة في الحوض العربي للبحر المتوسط وقد عاصرها صاحبه ابن حوقل ووضعها وصفا طيبا أما الاصطخرى فيقول عن مستعمرة القلال أوكما يسميها البحاثة المعاصرون (FRAXINETUM) (وأما جبل القلال فانّه كان جبلا فيه مياه خرّارة فوقع عليه قوم من المسلمين فعمّروه وصاروا في وجوه الأفرنجة لا يقدرعليهم لا متناع مواضعهم ومقداره في الطول يومان) • ومعلوماته عن الاندلس وثغورها على المتوسط وبحر الظلمات قليلة ولكنها جد هامة وهي المادة الأساسية لصاحبه ابن حوقل • ومن خلال استعراض معلومات الاصطخرى تظهر قوة سطوماته في المشرق والمغرب على حدّ سواء •

أما معاصر الاصطخرى والرحالة المسلم الكبير فهو ابن حوقل النّصيبي وهو من رحال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (ت368هـ/ 979م) قال عنه كراتشكوفسكي (بدأ تجواله من بغداد في رمضان عام 331هـ/ مايو943م) متخذا التجارة مهنة له، ولكنه ربما كان في الحقيقة داعيا سياسيّا وقد انتظم تجواله في افريقيا الشمالية والأندلس وزار نابلي وباليرمو وعرف عن كثب العراق وايران وجزءا من الهند) (3) [illegible] وفي كتاب صورة الارض لابن حوقل مادة طيبة عن الثّغور والرُّبط في بلاد المغرب الاسلامي وان ظهر في صورة النّاقدة للمرابطين في صقلية كما وصف الأندلس واستحكاماتها الحربية بالضعف فقال : (ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هي في يده مع

---

(3) ــ كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، القسم الأول ، ص200.

صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم وبعدهم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرّجال ومراس ... والابطال) (4) وفي بقية النص دعوة لمواليه عليهم السلام للاستيلاء عليها ، كما قدّر أموال جزيرة الاندلس والثّراء التي تمتعت به على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ويبدو من خلال الدراسات الحديثة ان ابن حوقل داعية فاطمي من دعاة الشيعة في الأندلس (5) وصقلية .

وأما عن بلاد المغرب فقد أورد معلومات هامة عن الرّبط ودورها في الصراع الاسلامي مع الفرق الضالة خاصة رباط سلاّ الذى كان يرابط به ما لايقل عن مائة ألف مرابط جهادهم على برغواطة المنحرفة ، و... ابن حوقل في (صورة الارض) معلومات طيبة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتربويّة ببلاد المغرب الاسلامي وهو معاصر لاحداث ثغر جبل القلال وملحمة (فرخنشطين) المذكورة آنفا في مسالك الاصطخرى ، ولا يمكن اذن بعد هذا الاستغناء عن كتاب صورة الارض لابن حوقل على الرغم من النّقد اللاّذع الذى وجّه لكتابه من طرف الباحثين المعاصرين ...

ونختم رواد المدرسة الجغرافية المشرقية ومدى استفادتي منهم بمعجم البلدان لياقوت الحَموي الرّومي الذى استفاد من رحلات الجغرافيين السابقين اضافة الى كتبه البلاذرى وابن رسته والمقدسي واليعقوبي وغيرهم من الرّحالة وأصحاب كتب البلدان والمسالك والمفاوز والمهالك .

---

(4) ـ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص

(5) ـ ظهرت دراسات كثيرة حول التّشيع في ... المغرب وبلاد الاندلس وكلّها ذكرت ابن حوقل ودوره كجاسوس فاطمي ، ومن بين الدراسات التي تناولت مرحلة التشيع في المغرب كتاب (مرحلة التّشيع في المغرب العربي وأثرها في الحياة الادبية) للدكتور محمد طه الحاجرى ، دار النهضة العربية بيروت 1983م والتحامل على .../...

و ياقوت غلام رومي وقع في أسر المسلمين خلال (حروب الثغور و دخل في ولاء تاجر حموى فسمّاه ياقوتا (و يعتبر كتابه معجم البلدان أهم مصنف في تراث الادب الجغرافي العربي ، فأفادني في تفسير بعض المصطلحات التي يرد ذكرها في المصنفات الجغرافية كالبريد و الميل و الاقاليم و الكور و المخلاف و الرستاق والجند و السّكة ثم تصنيفه لبلاد العالم الاسلامي و بالاضافة الى سعة اطلاعه فهو صاحب ذوق أدبي راق أضف الى أهمّية كتابه لكل دارس للثغور و الرّبط في المشرق والمغرب على حدّ سواء (وياقوت حين يتحدّث عن الثغور و الرّباطات و المسالح في البلدان الواقعة على الحدود الشمالية للدولة الاسلامية ، يقدم معلومات قيّمة عن نظام الدفاع عن تلك الحدود زمن الدولة العبّاسية . ... و لا ينسى ياقوت أن يذكر الرباطات التي كانت منتشرة على طول حدود العالم الاسلامي البرّية و البحرية) (6) ،كما تضمن (معجم البلدان) عدّة اشارات تاريخية تلقي الضوء على بعض الاحداث السياسية التي شهدتها الدولة الاسلامية) .

و أحسن شهادة ذكرها ياقوت في معجمه معاصرته للحروب الصليبية وغزوات التّتار في العالم الاسلامي و وصف ياقوت سقوط الثغور الاسلامية التّتار وصفا صادقا رثى فيه حالهم بقوله (وقد كان أهل تلك البلاد أهل دين متين و صلاح مبين و نسك وعبادة و الاسلام فيهم غض المجنى حلو المعنى يحفظون حدوده و يلتزمون شروطه و لم تظهر فيه بدعة استحقّوا بها العذاب و الجلاء و لكن الله يفعل بعباده ما يشاء) (7) .

. . . / . . .

الفاطميين يبرز بصورة ملحوظة في هذا الكتاب .

(6) ـ احسان العمد ،الوضع السياسي في العالم العربي الاسلامي أيام الحروب الصليبية (مجلة الجيل) ص48 .

(7) ـ نفسه : ص47 .

وقد اتبع ياقوت الحموى في معجمه التسلسل الابجدى في ذكر البلدان البلدان وهو بذلك يسهل مهمة البحث . القارئ .

وقد أفادني ياقوت في معرفة ثغور ربط المشرق وكذلك ثغور ربط المغرب والاندلس وصقلية ومعجم البلدان ، من أهم المصادر الخاصة بالثغور والربط في العالم الاسلامي ، توفى هذا الرحالة المسلم في رمضان 626هـ/ أوت1229م وظهرت أمانته العلمية في ثنايا معجمه وتظهر سعة اطلاعه في مؤلفاته الجليلة كالمفترق صقعا) (ومعجم الأدباء) وغيرها من المؤلفات المنسوبة اليه . وياقوت درّة المدرسة الجغرافية الوصفية في المشرق الاسلامي ومن أهم الوثائق عن تاريخ وجغرافية وآداب العرب المسلمين من الفتح الى النّصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي .

ثانيا : كتب الرحلات والمعاجم المغربية :

في المقدمة تذكر الجغرافي البكري (ت487هـ/ 1094م) في كتابه المسالك والممالك الذى نشر على عدة أقسام أهمها في بحثي (كتاب المغرب في ذكر افريقية وبلاد المغرب) الذى نشره وترجمه للفرنسية السيد دي سلان ، فهو من المعاجم الجغرافية الجليلة نظرا لمعاصرته لقيام دولة المرابطين مجال بحثنا حول رُبط المغرب والأندلس ، ورغم أنّه لم يكن من الرحالة المعدودين فإنّه ترك ثروة طيبة وتتضح دقته في معرفة المسالك والسواحل والخلجان والمدن والثغور حتى نال معجمه ووصفه للمغرب الاسلامي تقديرا كبيرا من طرف الدارسين ولعل من نافلة القول أن نذكر أن معاصرة البكري لعبد الله بن ياسين الزعيم الرّوحي لدولة المرابطين هي التي ستجعله في مصاف كبار النُّقاد لهذه الحركة التى جدّد فيها ابن ياسين وفقا لنظريته السّنية (للإنقلاب الاسلامي) ، فقد تحدّث البكري عن منشأ الدولة المرابطية

فقال : (وكان الذى نهج ذلك فيهم ... ودعا الناس الى الرباط ودعوة الحق عبد الله بن ياسين) ، وخصص لعبد الله بن ياسين دراسة قصيرة بعنوان (ماشذ فيه عبد الله بن ياسين من الاحكام) ورأى البكرى كدارس للحديث أن عبد الله بن ياسين زعيم المرابطين قد شذ في بعض الاحكام التى طبقها على المجتمع الاسلامي في بلاد الملثمين ، وشهادة البكرى هذه ونقده لحركة ابن ياسين هذه لا تقلل من شخص ابن ياسين بقدر ما تبرزلنا بداية التجديد في الحركة الاسلامية على اثر الفساد الذى انتشر في المجتمع المغربي في القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادي .

البكرى بمعلوماته الطيبة عن أحوال المغرب الاقصى وهذا من خلال الخريطة التى رسمها للحياة الدنية في المغرب وبلاد السودان وهو بذلك كمن الوثائق الهامة لدراسة الحياة الدينية والاجتماعية في هذه البلاد كما أن الباحث لا يستغنى عن البكري في أمور الثقافة العربية وانتشار الاسلام في افريقيا الغربية .

أما الشريف الادريسي صاحب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذى اقتبس منها الاستاذ اسماعيل العربي قطعة سماها (القارة الافريقية وجزيرة الاندلس) فقد أفادني في معرفة تطور الحياة العمرانية والاقتصادية في ثغور المغرب والأندلس كما أفادني في بعض المعلومات التى تتعلق بالتطورات السياسية لمدن المغرب ، لهذا جعله الدارسون مرحلة هامة من مراحل تطور الجغرافية الوصفية عند المسلمين ، وأحد رواد المدرسة المغربية على الرغم من سكوت مراجع المغرب عنه نظرا لدخوله في خدمة روجار صاحب صقلية في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر

الميــــــــلادى .

أما الرحالة الأديب ألو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي فقد أفادني في مواضع كثيرة منها :

- معاصرته للحروب الصليبية و موقفه الطيب من صلاح الدّين الايوبي الزعيم الاسلامي (محرر القدس) و الزعيم المنقذ الذى لم يمد له ابو يعقوب يوسف الموحدى يد المساعدة كما هو مفصل في البحث .

- وصفه لربط المشرق التي بناها ذوو البر و الاحسان من الميسورين حتى النساء و الخواتين من الطبقة المرموقة ذوات الاقدار منهن من تأمر ببناء المساجد و الرّبط و المدارس و تعين لها الأوقاف و الأموال) و هي شهادة على البر و الاحسان من كل فئات المجتمع الاسلامي في المشرق وعناية المسلمين بأمور دينهم و الامّــــة هي القّيمة على الدّين .

كما أفادني ابن جبير الكناني في رحلته من خلال وصفه للمسالك و الطرق في بلاد المشرق و بلاد المغرب و أهم وثائقه وصفه لصقلية و حياة أهلها من بقايا المسلمين أيام سقوطها في يدّ النورماند ، كما أن ابن جبير شاهد عيان للاستحكامات العسكرية التي استخدمها الثغريون و المرابطون في جزيرة صقلية أيام الصراع الاسلامي النّورماندى في هذه الجزيرة الضائعة و قد تأسف الرحالة الكناني لزوال حكم المسلمين عنها و ان تمنى على الله أن يعيدها دار اسلام . وكانت وفاة الرحالة الجليل بالاسكندرية عام 614هـ/1217م) .

أما رحلة العبدرى (الرحلة المغربية) (8) فقد أفادني في معرفة مدينة العّبّاد ضاحية تلمسان و هي برهان على دور الرّبط و الزوايا في جذب الناس لتعمير محيطها

(8) ـ حقق الرحلة و نشرها محمد الفاسي وطبعها بالمغرب الاقصى عام 1968و أعاد نشرها في الجزائر أحمد بن جدّو .

متبركا بصاحب القبر أو الرباط .

والعبدرى رحال وأديب بارع دقيق في معلوماته ورحلته اقتصرت على وصف المدن الكبرى في بلاد المغرب وعلى ما يبدو أنها كانت في نهاية القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى .

واستفدت من رحلة ابن بطوطة (تحفة النّظار في غرائب الامصار وعجائب الامصار) وهي رحلة طيبة مهمّة عظيمة ـ مهمّة استطلاع أحوال العالم الاسلامي كله في عصره استطلاعا مباشرا يقوم على المشاهدة والمعاينة والمعانات وكتابة تقرير واف قدر الامكان عن ذلك العالم وهذا على وجه التجديد هو الوصف الدقيق لهذه الرحلة : (انها تقرير عن أحوال الأمة الاسلامية خلال القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى) (9) .

ويمكن اجمال ما عرفته عن العالم الاسلامي من خلال رحلة ابن بطوطة فيما يخص مجال بحثي في النقاط الآتية :

1ـ كثرة الرّبط والزوايا والتكايا للصوفية وأهل الاحسان بعد أن تبدّلت مهمة هذه المؤسسات .

2ـ وحدة عالم الاسلام دينا وثقافة على الرّغم من فقدان الوحدة السّياسية .

3ـ انتشار التّصوف بصورة كبيرة في العالم الاسلامي حتى يكاد يغلب عليه العقل الصوفي وهذا ما تبرزه الرحلة في كل ثنايا ها .

4ـ مكانة القضاة والعلماء والفقهاء عند السلاطين وعامة المسلمين مكانة مرموقة .

---

(9) ـ حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، ص7 .

5- كثرة تنظيمات الأخية بالمشرق و التي عوضت نظام المثاغرين و المرابطين و هي تنظيمات مقتبسة من نظام المرابطين و رجال الداوية الذى عرفهم المشـــرق الاسلامي أيام الحروب الصليبية بشكل خاص .

6- كل التنظيمات الاجتماعية للاحسان - سياسية و عسكرية - من ابتكار الجماعة الاسلامية لحماية نفسها من أذى الأشرار و الظالمين من رجال الحكم . وعلى الرّغم من بعد رحلة ابن بطوطة عن الفترة الزمنية المحددة لاطار هذا البحث ، فانها تحدد شخصية (انسان ما بعد الموحدين) الذى مال الى التصوف و انحراف سلوكه عمّا كان عليه أيام العزّ و الصولة أثناء تجربتين اسلاميتين (تجربة المرابطين والموحدين)

وآخر معجم جغرافي في مصادري (كتاب الرّوض المعطار) لمحمد بن عبد المنعم الحميرى [illegible] الاندلسي الذى هو أشبه أن يكون نسخة ثانية من كل مصدر نقل عنه غير أنه أثبت تجديده للمادة الجغرافية و هذا بتصحيح بعض الاخطاء التى وقع فيها كل من البكري و صاحب الاستبصار و الشّريف الادريسي . و الرّوض المعطار معجم عملي أفدني في التعريف بمدن المغرب و الأندلس.

ثانيا : كتب الطبّقات :

تأتي هذه الكتب في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في دراسة أحوال الرّبط و المرابطة و الأعمال الثغرية في المغرب الاسلامي لما احتوته من أخبار طريفة عن الصلحاء و الزّهاد في المغرب و الاندلس و سجلت الدّور العظيم الذى قام به العلماء ورجال التّصوف الأوائل من خلال بعض سيرهم و خصالهم وفي مقدمة هذه المصادر نذكر (كتاب طبقات علماء افريقية) لأبي العرب تميم المتوفى عام333هـ/ 944 م .

و هذا الكتاب أفادني في التعريف بافريقية و فضائلها على الرغم من اعتماده على الأحاديث الموضوعية ، و هي من الأثر الشائع بين العلماء .

و احتوى (كتاب طبقات علماء افريقية) على معلومات طيبة عن ظاهرة الزّهد و المرابطة التي لازمت شواطئ افريقية كما تعرّض أبو العرب في كتابه للمحن التي مرّت بالعلماء أيام الدولة الفاطمية الى جانب هذا تظهر أهمية الكتاب لأن صاحبه أمتحن أيام ثورة أبي يزيد مخلد بن كداد حتى أن صاحب (معالم الايمان) جعله من زعماء أهل السّنة الذين ناصروا ثورة الخارجي النكاريّ (ابي يزيد) و هو القائل أمام علماء السّنة بمسجد القيراون (اسكتوا ، فسكت الناس ، فقال : حدثّني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله الجرجاني باسناده الى النبيّ صلى الله عليه و سلم أنه قال : (يكون آخر الزّمان قوم يقال لهم الرّافضة ، فاذا أدركتموهم فاقتلوهم فانّهم كفاّر) وعلى اثر هذا الاقدام و الجرأة حسم تردد أهل السنّة فخرجوا لقتال بني عبيد الى جانب الثاّئر الخارجي النكّاري لبي زيد مخلد بن كداد .

و استفدت من طبقات علماء افريقية، و (كتاب المحن) على السواء في رسم صورة لشدة الصراع المذهبي الذي عرفته افريقية أيام الفاطميين ، بين السلطة الفاطمية الشيعية على المذهب الاسماعيلي وأهل السنّة و الجماعة من المالكية و أهم ما جاء في ثنايا طبقات علماء افريقية أن المعارضة السّياسية و المذهبية قام بها الصلحاء و سكان الرّبط الذي اعتبروا جهاد (بني عبيد) كما كانوا يسمون (الدولة الفاطمية) أولى من الجهاد النّصارى .

كما استفدت من كتاب (المالكي) ، رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان و افريقية و زهادهم و نساكهم و سيرّ من أخبارهم و فضائل أوصافهم) فقد تميز الأخير

بجزأية في تفصيل أخبار مقاومة أهل السنّة بالقيروان للدعوة الشيّعية التي لم تفصّل في المجاميع التاريخية الكبيرة ، كما أكمل أبو بكر المالكي أخبار المرابطة في المعاقل والحصون التي أنشأها المسلمون في افريقية اتقاء مهاجمة الروم للسواحل المغربية مع بيان حياة المرابطين في غضون القرنين الثاني والثالث للهجرة تلك الظاهرة العجيبة التي تفرّدت بها افريقية بالخصوص عن بقية ثغور البلاد الاسلامية (10) .

وأفادني رياض النّفوس في طبعته الجديدة المنقحة في تتبع تكوين المجتمع الجديد في المغرب الاسلامي عموما وبلاد افريقية وصقلية على الخصوص .

فقد تفرّد رياض النّفوس عن بقية كتب الطبقات بذكر أحوال العبّاد والصالحين والمحن التي تعرضت لهم مع السلطان أو مع فتن الدّنيا الكثيرة وهو ما يعبّر على رسوخ الاسلام في هذه البلاد حتى غدت قبلة العلماء والفضلاء من كل ثغور الغرب الاسلامي وعدّت من التي تشدّ لها الرّحال ابتغاء ملاقات العلماء والصلحاء وحرّاس الثغور الاسلامية .

المصدر الثالث في هذا الصنف (كتاب معالم الايمان في معرفة أهل القيروان) مؤلفه الدبّاغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصارى الاسيدى من رجال القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ، أكمله وعلق عليه أبو الفضل القاسم بن عيسى بن ناجي التّنوخي المتوفى عام 834هـ/ 1431م يتوزع على أربعة أجزاء أفادتني

---

(10) ـــ المالكي ، رياض النّفوس ، ج1 ، ص7م .

الثلاثة الاولى ، وبعض الدراسات الطبية عن الجزء الرابع و معالم الايمان موسوعة احتوات على نصوص كثيرة ذات صلة وثقى بالحضارة و العمران في المغرب الاسلامي . اتبّع فيها (الدباغ وابن ناجي) منهج عبد المنعم الحميري في الروض المعطار ، اذ استوعب المعالم كتابات الفتح و ثمّها طبقات علماء افريقية لابي العرب و الخشني (361هـ/ ٩٧١م) و رياض النفوس للمالكي وغيرها من الكتب الخاصة بالمناقب و السيرّ .

ولا يمكن للباحث الالمام بتاريخ افريقية وصقلية وعموم بلاد المغرب الاسلامي أن يهمل النصوص الهامة التي جاءت في ثنايا معالم الايمان التي تتعلق بفضائل افريقية و صلحاء القيروان و مرابطة سواحل المغربي الادنى عموما ، لهذا استفدت من المعالم في تاريخ الفتح الاسلامي و تطور الحياة الاسلامية بالمنطقة و معالم عمرانها وفضائل رجالها من حرّاس الثغور في القصور و الرّبط ، كما أمدتني المعالم بمادة وافية عن أحداث افريقية أيام الصراع المذهبي في عهد الدولة الفاطمية . كما صوّر المعالم دون غيره من المصادر المشرقية و المغربية حياة الناس في سواحل افريقية والمتطوعة في نشر الأمن و الفضيلة بين النّاس ثم الظاهرة الهلالية حيث استفاد كثير من زعماء القبائل العربية من علم و تقوى العلماء و المرابطين ورجال الزوايا في مرحلة متقدمة عن مجال دراستي ، وهي الظاهرة التي رسمها الجزء الرابع من المعالم (11) حيث كان الدباغ ومن بعده ابن ناجي شديدي الارتباط

---

(11) — محمد الحبيب الهيلة ، الزاوية و أثرها في المجتمع القيرواني (من خلال كتاب معالم الايمان) ص98 و ما بعدها .

بمجتمعهما (التّونسي) مما صدرت عندهما أخبارادقيقة . أما أخبار الكرامات فهي وان كانت من الوجهة التّاريخية غير مقبولة ـ فاننا لانستطيع أن ننكر أهميتها من حيث كونها نمطا من أنماط الادب ،عبرّت من عقلية عصر ما بعد الموحدين الصوفي الذى انتشرت في مدارسة كتب الرّقائق .

و الفائدة التي ينفرد بها (معالم الايمان) دون سائر كتب الطبقات ، وكتب المعارف العامّة ، انّه ذكر شهادة طيبة من دور الموحدين في حراسة الثغور و رعاية الناس و أمن البلاد وحماية الاسلام من الوجود النّورماندى وعلى الرغم أن الاخبار التى أوردها ابن ناجي معاصرة للعهد الحفصي فأنها أفادتني في معرفة أحوال الناس في افريقية ، بعد سقوط الدولة ، الموحدية و توجه النّاس وجهة صوفية و أشبهما تكون صورة ابن ناجي في المعالم واضحة بقدر ماتدعم أخبار ابن بطوطة عن المجتمع الاسلامي في المغرب الاقصى بعد نهاية الموحدين .

أما ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك لأبي الفضـــل عياض بن موسى اليحصبي السّبتي ت 544هـ/ 1149م . الذى كتبه صاحبه كرد فعل لما عانته المدرسة المالكية شرقا وغربا من خصومها و يعتبر المدارك بناية ضخمة أقيمت على شرف و مجد المالكية في عصورها المختلفة ، وفي هذا الكتاب الشخم يبتدئ المؤلف بعد المقدمة باظهار فضل علم أهل المدينة و ترجيحه على غيرهم بمنطق و حجج مع اطلاع واسع على الفقه و الحديث و اختلاف الناس مدّ افقا عن نظرية المالكية في العمل بعمل أهل المدينة .

و القاضي عياض مؤلف المدارك صاحب جبل المبا بالمغرب الاقصى ـ أحد المنقطعين

للعبادة بعد أن سار سيرة حسنة في ولاية القضاء بسبتة ، أفادني في بعض تراجم علماء المالكية ، خاصة (عصر شهداء المالكية) أيام الفاطميين كما صور دور المالكية في نشر الزّهد والدعوة للاصلاح الاسلامي أيام انتشار البدع حتى أنه كان يقول (الحمد الله الذى لم يجعل لصاحب بدعة عليّ يدا) .

أما كتاب التّادلي (التّشوف الى رجال التّصوف) فقد خصّص للصلحاء والمتصوفة الذين ظهروا بكثرة في المغرب الاقصى على عهد المرابطين والموحدين ألفه الزّيات التّادلي في القرن السابع الهجري ، وقد تحاشى ذكر الاحياء من معاصريه ، وصوّر الحياة الاسلامية في المغرب مع تراجم خاصة للصوفية والزّهاد المنقطعين في رؤوس الجبال والرُّبط ولا يمكن أن يستغني الباحث عن التّشوف لدراسة ظاهرة التصوف التى غدّت حركة شعبية قوية . (12) .

وقد أفادني التّادلي في رسم صورة التّصوف الاسلامي في عهد المرابطين والموحدين البعيدة عن الشوائب والبدع .

وأحاط التّادلي في التشوف بمناقب أقطاب التّصوف في المغرب الإسلامي وعرفنا بمناقبهم وفضائلهم على الناس لما أسدوه للمسلمين من صالح الأعمال .

ثالثـــا : الموسوعات وكتب المعارف التّاريخية العامّة :

هذه الكتب لها أهميتها في بحثي خاصة فيما يتعلق بسير أعمال الثغور وحياة

---

(12) ـــ من الكتب الهامّة التى لم أستفد منها (المقصد الشّريف والمنزع اللّطيف في ذكر صلحاء الرّيف) لعبد الحق الباديسي الذى ألفه سنة 711هـ/ 1311م ، وقد طالعته وأنا أكتب اللمسات الأخيرة لهذا البحث ، لعل الله يوفقني لاعادة النّظر فيه مستقبلا في أبحاث قادمة ان شاء الله .

الناس في التخوم الاسلامية البيزنطية ، - الاسلامية المسيحية في الاندلس و الفائدة كانت عامة من هذه المصادر المشرقية و المغربية على حدّ سواء فمن الكتب المشرقية في هذا الصنف :

1- فتوح افريقية و الأندلس لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري المتوفى عام 257هـ/ 871م) وأقرب الرّوايات التاريخية للفتح الاسلامي في بلاد المغرب حيث أفادني ابن عبد الحكم في الدّور الحضاري الذى قام به عقبة بن نافع رضي الله عنه من خلال بناء قاعدة القيروان كرباط و منطلق لغزو بقية أطراف افريقية و المغرب .

2- فتوح البلدان لأبي العباس أحمد بن يحيي المعروف بالبلاذري (ت279هـ 892م) أفادني في تتبع الفتوحات الاسلامية في المشرق و المغرب و تبدو غزارة نصوصه في صلب موضوعي من خلال تتبعه لاعمال الخلفاء الراشيدين في ارساء قواعد المرابطة في بلاد الشام و ماوراء النّهر و مصر ، و هذا باقطاع القطائع (13) و سد الثغور وبناء المنارات و تزويد السّواحل بالجند المرابط من الصحابة و التّابعين و القبائل البدوية . وقد استمر الخلفاء الامويون و العباسيون في اعتماد نظام . أو الربط الذى يقوم في أساسه على اقامة قوة نظامية معينة ... الحدود . تتكون عادة من قلاع و من حصون و أبراج و من تنظيمات أخرى إضافة الى أعمال المتطوعة في الصوافي والشواتي .

و يعتبر البلاذري من المصادر الأساسية في د نشأة النّظام الثّغري و نظام القطائع في المشرق .

---

(13) - من الدراسات الجادة التي استفادت من نصوص البلاذري في رسم صورة جيدة لتطور نظام ملكية الارض محمد علي نصرالله تطور نظام ملكية الاراضي في الاسلامي المرجع السابق ص21 و ما بعدها .

3ـ تاريخ الرّسل و الملوك لابي جعفر الطبري (310هـ/ 967م) من أضخم الموسوعات التاريخية العامة أفادني في كثير من المواضع وعلى الخصوص أيام معاوية بن أبي سفيان و الخلفاء العباسيين الأوائل ، ففي هذه الموسوعة مجموعة كبيرة من النّصوص عن الصراع الاموي البيزنطي ، وعن المعارك الثغرية و الصوائف و الشّواتي التي عرفت أيمها الذهبية على عهد معاوية وخلفه من الحكام الامويين .

4ـ كتاب الاعتبار الاسامة بن منقذ الكناني الشيزري و هو عبارة عن مذكرات فارس مجاهد عاصر أيام الاحتكاك الحربي العنيف بين المسلمين على عهد الدولة الأتابكية خاصة أيام الملك العدل نور الدّين محمود ، كما عاصر نهاية الدولة الفاطمية و أمجاد صلاح الدّين الأيوبي ، و الكتاب بصورة حياة الفرنجة و أخلاقهم في المشرق وقوة الدفاع الاسلامي على عهد نور الدين وصلاح الدين الايوبي ، وكتاب الاعتبار شهادة طيبة معاصرة أفادتني في الفصل الاول خاصة أيام الصراع الاسلامي الصليبي وهو لا يخلو من اشارات لدور الفقهاء و الزهاد في هذه الحروب المتواصلة .

5ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير الجزري ت 630هـ/ 1240م موسوعة تاريخية هامة أفادتني في تتبع أعمال المتطوعة و المرابطين في التخوم الاسمية البيزنطية وداخل الدولة الاسلامية أيضا حيث يشير ابن الاثير لدور المتطوعة الاصلاحي من خلال الامر بالمعروف و النّهي عن المنكر . فقد جاء في حوادث 201هـ/ 843م أن المتطوعة تجردت للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وكان للسبب ذلك أن فسّاق بغداد و الشّطار (14)

(14) ـ ظاهرة الشّطار و العيّارين تبين مدى الضعف الذى تعرفه الدولة العباسية وللاحاطة بهذه الظاهرة يرجع الى : د . محمد رجب النّجار حكايات الشطار والعيارين في التّراث العربي (عالم المعرفة) الكويت1981 (464 صفحة)

أذوا الناس و الصبيان علانية وكانوا يأخذون ولد الرجل و أهله) .

و لابن الاثير نصوص قوية عن أحداث المغرب و الأندلس قلما يعثر عليها المؤرخ في الموسوعات المشرقية الأخرى . أما كتابه الثاني (الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل)، فقد أفادني في تتبع أمجاد الدولة الزنكية التى مثلت بداية ((الصحوة الاسلامية)) التى عرفها المشرق في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بالخصوص أعمال عماد الدّين زنكي وابنه الملك العادل نور الدّين محمود هذا الاخير مثلت حياته و أعماله الاصلاحية سيرة مجاهد صادق ، عمل على توحيد المشرق و مهّد لخروج الصليبيين ولا أعرف في كتب التأريخ من سار في المسلمين سيرة حسنة بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ، مثل هذا المجاهد الصادق كما صوره ابن الاثير في الباهر وهذا لما تقدّمه للأمة الاسلامية من أعمال خيرية كبنائه للبيمارستانات و انفاقه للأموال الكثيرة على المؤسسات الاجتماعية و الحربية النّافعة من رُبُط وخوانق بصورة أثارت اعجاب المؤرخين (15) .

6– كتاب الرّوضتين في أخبار الدّولتين ، النورية و الصلاحية لأبي شامة في معرفة بعض الأعمال الحربية للدولة النّورية (الأتابكية) التى خلفتها دولة صلاح الدّين كما في أحداث الحروب الصليبية .

7– مآثر الانافة في معالم الخلافة للقلقشندى (أبو العباس شهاب الدّين

---

(15) – من الكتب الطيبة التى استفادت من الباهر و الكامل لابن الاثير لرسم سيرة هذا المجاهد يراجع كتاب الدكتور حسين مؤنس ، نور الدين محمود ، الطبعة الاولى ، الشركة العربية للطباعة و النشر القاهرة 1959م . و أنظر الموقف المخالف لاجماع الروايات الاسلامية [illegible] (دون [illegible]

821هـ/ 1414م المؤلف الموسوعي ، اتبع في تأليفه (الانافة) طريقة مختصرة كأنه يريد أن يجعله كتاب تراجم الخلفاء و الملوك المسلد منذ نشأة الدولة الاسلامية أفادني في سير الخلفاء خاصة المهدين الأموى والعباسي وفي كتابه هذا اشارات طيبة لاعمال الخلفاء مما يسهل الامرعلى الباحثين في الوزراء والقضاة وأمراء الجند .

كما حفل الكتاب بنصوص خاصة بافريقية و بلاد المغرب لاتخلو من طرافة و دقة لاعتماده على تلخيص المصادر المشرقية الخاصة بتاريخ المنطقة .

أما كتب التاريخية العامة التى اعتمدت عليها في هذا البحث أهمها :

1- كتاب أخبار المهدى بن تومرت لابي بكربن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق ، فهو شهادة كتاب تابع لسيده النهدي ، و هو لا يخلو من قصص وطرائف وان بدت في كثير من الأحيان بعيدة عن الواقع و هو لا حظه الدارسون لاخبار الدعوة الموحدية .

وقد أفادني (البيذق) في مواضع كثيرة من وقائع الدعوة الموحدية وانظيتها الادارية و الاجتماعية و العسكرية .

2- المعجب في تلخيص أخبار المغرب : لعبد الواحد المراكشي ، و هو كتاب يحوم حوله بعض الغموض ما دمنا لا نعرف عن المؤلف الا ما كتبه هو عن نفسه بنفسه فلم يتحدث عنه المعاصرون في تأليفهم ولم تشر اليه كتب التراجم و حالته كحالة ابن ابن أبي زرع و ابن عذاري و صاحب الحلل الموشية و ابن القطان وغيرهم من المؤرخين

و الملاحظ أن لهجة عبد الواحد المراكشي تغلب عليها الرّصانة و الاعتدال في أخبار الموحدين بحيث أنّه يكتب بأسلوب صاحب المذكرات الشخصية الذى يبلغنا ما رآه و سمعه بكل بساطة . وقد أفادني في رسم صورة جيدة لعهد ابي يعقوب المنصور صاحب معركة الأرك الشهيرة و يكاد عبد الواحد المراكشي يصوره في نصوصه كأنه أحد الخلفاء الرّاشدين لما له من أيادى بيضاء على الدولة الاسلامية في المغرب (16) وعهد المنصور الذى صوّره عبد الواحد المرّاكشي صورة طيبة للعهد الذهبي للمغرب الموحدي على الرّغم من التجاوزات المطروحة مثل (حالة أبي مدين شعيب و تزكية المنصور للأولياء و المنحرفين الذين تسّربت معهم الشعوذة و التصوف السلبي : (تقديس الأولياء و الاعتقاد في كراماتهم و التى ترتبط ببعض الجوانب مع عدد من المعتقدات الوثنية التى كانت موجودة بالمغرب قبل الاسلام .

وعبد الواحد المراكشي انتهج في منهجه أسلوب الموسوعات الأدبية في التأريخ للحوادث ، ففي مصنّفه تلخيص لأخبار التاريخ مع تراجم خاصة بالحكام و أعلام الأدب و الفلسفة مع تسجيله لمختارات من أشعارهم و نثرهم ، وقد عالج أخبار الدولة المرابطية بإعجاب من جهة و بنقد و تعريض يعبّر عن هوى موحدي من جهة أخرى على الرغم من الذوق الأدبي الرّفيع لهذا الأديب ، و بعده عن دار سلاطين المغرب أثناء تلخيصه لاخبار بلاده (17) .

---

(16) ـ محمد زنبير ، حفريات عن شخصية يعقوب المنصور ، (مجلة كلية الاداب و العلوم الانسانية) جامعة محمد الخامس العاشر الرباط المغرب الاقصى 1984ص ص38 .

(17) ـ محمد رضا الشيبي ، أدب المغاربة و الأندلسيين في أصوله المصرية و نصوصه العربية الطبعة الثانية ، دار اقرأ ، بيروت لبنان 1984، ص63 و مابعدها .

وتبدو الصورة السوداء التي رسمها المستشرقون لدولة المرابطين، قد أخذت معالمها من المصادر الموحدية وعلى الاخص (المعجب) .

3ـ البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب لابي العباس أحمد بن عذارى المراكشي (18) تاريخ عام للمغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامي حتى بداية عصر بني مرين يحتوى أخبار كثيرة وروايات تجعله يرقى الى مرتبة المصادر الأولية التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة تاريخ المغرب الاسلامي نظراً لاعتماده على كثير من المصادر القديمة المعاصرة أو القريبة من الأحداث التاريخية التي يتناولها كتابه . ومما يزيد في أهمية اقتباسات ابن عذارى أن أصولها فُقِدَت ، فقد كان على معرفة جيدة بمناهج المدارس التّاريخية وأساليب الكتابة التي سادت قبله والتي يأتي في مقدّمتها أسلوب الحوليات وأسلوب الرواية وكتابه تاريخ المدن وجغرافيتها ، وقد وقف ابن عذارى في تدوينه "للبيان المغرب" على منهج خاص به يتمثل في المزج بين أساليب كل هذه المدارس التّاريخية الاسلامية .

وقد أفادني " البيان المغرب " في التمهيد لتطور الرِّبَاط ونشاط الأعمال الثَّغْرية في افريقية ،كما عالج ثورة أبي يزيد مخلد بن كداد معالجة جيدة وأفادني أيضا بأخبار موضوعية عن [illegible] الذين تحاملت عليهم المصادر المغربية والمشرقية على حد سواء (19) فابن عذارى حينما أخذ أخبار الدولة الفاطمية من كتاب (نظم الجمان ووضح البيان فيما سلف أخبار الزّمان) لابن القطان (20) [illegible]

---

(18) ـ من الدراسات الجيدة عن ابن عذارى يراجع : د .عبد الواحد ذنون طه ، موارد تاريخ ابن عذارى المراكشي عن شمال افرقيا (مجلة المجتمع العلمي العراقي) الجزء الرابع المجلد السادس والثلاثون ، بغداد 1406هـ/ 1985م ص201ـ 202 .

(19) ـ آخر ما قرأت عن التشيع بالمغرب الاسلامي وأنا أنهي اللمسات الاخيرة لهذا البحث كتاب : د . محمد طه الحاجري ، [illegible] التشيع في المغرب العربي وأثرها في حياة الادبية الطبعة الاولى دار النهضة العربية بيروت 1983/ 151 صفحة .

القطّان (20) تحرّى الرّقة و الموضوعية و اتخذ موقفا محايدا من الدّولة الفاطمية وعدم الانسياق وراء ابن القطّان في اتهاماته و استنتاجاته، تؤيد النقل الموضوعي المختار الذى كان يقوم به ابن عذارى من كتابه (الجمان لابن القطان) .

كما استفدت من البيان ... في تأريخه الطويل لدولة المرابطين من بناء رباط السنغال الى سقوط مرّاكش و أورد أخبارا طريفة عن الدعوة الموحدية و قيام دولتها .

4 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، موسوعة عامة تتناول تاريخ المغرب الأقصى ، أفادني في القسم الخاص بالمرابطين و الموحدين . و معلوماته جد هامة عن دولتي المرابطين و الموحدين حيث أفادني في كثير من النّصوص الخاصة بدور رباط حوض السنغال و الجماعة الاسلامية التى هيأها عبد الله بن ياسين للانقلاب و التغيير الاسلامي في بلاد المغرب، كما أن معلوماته عن الموحدين جيدة و محايدة بحيث أنها لا تطعن في عقيدة ودور المرابطين كما تفعل جلّ المصادر الموحدية و لا يمكن الاستغناء عن دور الرّباط في المغرب الاقصى و الاندلس و هو من المصادر الخاصة بابن خلدون في تاريخه .

و أفادني ابن أبي زرع صاحب روض القرطاس في وصفه الدقّيق للمدن و الصراي و هي الصفة التى يشهد له فيها بالتّفوق و الدّقة في المعلومات رغم أن منه

(20) ـ أنظر عن ابن القطّان: ذنون طه، موارد ابن عذارى، المرجع السابق ص 225 و ما بعدها .

هذا يثير الطل في نفس القارى (21) .

5ـ الحلل الموشية في الاخبار المراكشية المنسوب لابن الخطيب ،كتاب لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجرى ، يقع في جزء واحد (22) يؤرخ لتاريخ المغرب من بناء مدينة مرّاكش على يد المرابطين و تناول تاريخ الدولتين المرابطية و الموحدية بالتفصيل ، يعتمد مؤلف الحلل الموشية مادته من مصادر بعضهاموجود و البعض الآخر مفقود و أورد وثائق هامّة حول مدينة مرّاكش و النّظام الحربي في عهدى المرابطين و الموحدين حيث ينفرد صاحب (الحلل الموشية) يتتبع حركتي الاصلاح و التغيير في المغرب و الأندلس في العصر الذهبي للصراع الاسلامي الذى قامت به قبائل صنهاجية الجنوب و المصامدة ، ضد الصليبية التى بدأها ألفونسو السادس و خلفه من الاسبان المستردّين (أيام ازدهار حركة الاسترداد المسيحي للاندلس المسلمة) و الحلل لهذا الصّراع و دور الدولتين المرابطيق و الموحديق يتوزع على معظم الكتاب مما سهّل عليّ مهمّتي في رسم صورة تقريبية لذلك الصراع الحضارى حول الأندلس .

6ـ كتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون (832ـ 808هـ/ . . 13 ـ 1406م) خير من استوعب حركة التاريخ و فلسفتها و فائدة العلامة ابن خلدون طيبة في بحثي حيث أفادني في مدحه لجيل المرابطين و الموحدين و دول المغرب الاسلامي في

---

(21) ـ عن المنهج و الاسلوب المتبع عند صاحب روض القرطاس، يراجع : الدكتور عبد الغني مغربي ، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين ، الطبعة الاولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ص60 .

(22) ـ طبعته الاولى كانت بتونس و أعاد تحقيقه عبد القادر زمامه و نشرته دار الرّشاد الحديثة بالمغرب الاقصى .

هذه الفترة ، كما أفادني في كثير من المواضع التي لاتخلو من معلومات طيبة كثورات الموحدين وغيرها من الحركات التي أعقبت قيام دولتهم .
وكما استفدت من بعض التفاسير كالألوسي وابن كثير في تفسير آيات الرّباط والمرابطة كذلك أفادني ابن منظور في معرفة مصطلحات درب ورباط وثغر وغيرها من المصطلحات .

رابعـــا : الدّراسات الحديثـــة (23) .

على الرغم من أهمّية الاعمال الثغرية من خلال الصوائف والشّواتي في العهد الاموى ونضج حركة الرّباط والمرابطة في المشرق والمغرب ،فان الدراسات الجادة حول هذا الموضوع تكاد تكون نادرة الامن بعض الاعمال المشرقية التي تفتقر للتوثيق الجيد والاعتناء الاكبر بالآثار ... على درسة الصراع الاسلامي البيزنطي ، والاحتكاك الحربي الاسلامي الصليبي فيما بعد . ويمكن أن نذكر من بين أهم الدراسات النادرة حول الرّبط والاعمال الثغرية :

1ـ الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والتّواصل الحضارى (ثلاثة أجزاء) والدراسة في الأصل رسالة تقدم بها صاحبها لنيل درجةالماجستير في التّاريخ الاسلامي ، وهي من أوثق المراجع في هذا التّخصص(المرابطة والاعمال الثغرية والعلاقات الاسلامية البيزنطية) نظرا للاطلاع الواسع للاستاذ محمد فتحي

---

(23) ـ سأقتصر على عرض المراجع ذات الصّلة الوثيقة بالموضوع أما بقية المراجع فسيرد ذكرها في هوامش الفصول في نهاية هذه الدراسة .

عثمان على الوثائق التاريخية من مصادرها الأصلية و تمكن الباحث من قراءة ما كتبه المستشرقون حول هذه القضية الدامّة من تاريخ المسلمين ، لهذا أفادني كتاب : الحدود الاسلامية البيزنطية في تتبع تطور الرُّبُط و المرابطة من الفتح الاسلامي الى غاية العهد العباسي الأول .

كما أفادني كتابه الثاني (القِّيم الحضارية في رسالة الاسلام) (24) في التّعرف على أهم المؤسسات الاجتماعية التى عرفها الاسلامي وكذلك أهم الخدمات التى تخدمها هذه المؤسسات كالرّبط و الزوايا و التكايا و البيمارستانات .

[illegible] فتحي عثمان من خلال كتاباته هذه يطرح التّصور الاسلامي الصحيح لقراءة التاريخ قراءة اسلامية بعيدا عن العقلية الغربية ، الماركسية والبورجوازية على حد سواء (25) .

2 ــ الامويون و البيزنطيون (البحر المتوسط بحيرة اسلامية) لابراهيم أحمد العدوى من الدراسات الطيبة في مجال العلاقات الاسلامية البيزنطية فهي من المراجع الهامة في هذا المجال وقد نوّه بها كل الذين درسوا الصراع الحضارى الاسلامي البيزنطي بما فيهم الباحث محمد فتحي عثمان ، وقد أفادني العدوى في تتبع الاحتكاك الحربي بين المسلمين و البيزنطيين و اعتمدت على معلوماته الخاصة بالمتطوعة و المثاغرين و نشاط الصوائف و الشواتي ، كما توسع في طرح اشكالية

---

(24) ــ الطبعة الاولى ، الدار السعود يةللنشر و التوزيع المملكة العربية السعودية 1986م .

(25) ــ من مؤلفات فتحي عثمان الرائدة في توجيه الناشئة و المورخين الكتابة التاريخ الاسلامي أذكر : (المدخل الى التاريخ الاسلامي الفكر القانوني الاسلامي ، الفكر الاسلامي و التّطور ، التاريخ الاسلامي و المذهب المادّى في التفسير) .

تكوين المجتمع الاسلامي الجديد على عهد الأموين و الملابسات التـــي أحيطت بالصراع الأموي البيزنطي حول الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط على الخصوص .

و أفادني ابراهيم العدوى في القسم الثاني من بحثي و هذا من خلال كتابه "المسلمون و الجرمان (الاسلام في غرب المتوسط) " وكذلك دراسته الجيدة عن المجتمع الاوروبي في العصور الوسطى و خاصة حينما درس الديرية و الرهبانية .

3- قيام المرابطين ، لحسن أحمد محمود ، دراسة أكاديمية قدمها صاحبها منذ ثلاثين سنة حول المرابطين و لاتزال رغم مرور هذا الزمن كله من أوثـــق الدراسات الجامعية و هذا الاعتماد حسن أحمد محمود على المنهج التوثيقي النقدى الذى يعتبر من بين أهم المناهج التاريخية في عصرنا الحديث .

وقيام دولة المرابطين ، دراسة عامة للحياة السياسية و العسكرية و الثقافية للدولة المرابطية و تاريخها الجيد في المغرب الاسلامي ، وقد أفادتني هذه الدراسة الجامعية الرائدة في كثير من المواضع و أخص بالذكر الاستنتاجات الجيدة حول التغيير و الانقلاب الاجتماعي الذى كان منطلقـــه جامعـــة (رباط حوض نهـــر السنغال) وقد أدرك الباحث حسن أحمد محمود العقيدة السلفية للمرابطين و تجربتها الطيبة في التغيير الذى أحدثته في الحياة الاجتماعية و الفكرية والانقلاب السياسي و العسكري الذى أحدثته بعد صدامهـــا مـــع الفونســـو السادس في الزلاقة .

كما أفادني في ابراز صورة طيبة للزعيم المجاهد يوسف بن تاشفين (26) وابنه علي من خلال أعمالهما في المغرب والاندلس .

4- الثغر الاعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية (95- 316هـ/ 714- 928م) للأستاذ خليل ابراهيم السامرائي : دراسة نال بها صاحبها درجة الماجستير . تناولت جغرافية الثغر الأعلى الأندلسي وأحواله السياسية والعسكرية منذ الفتح الاسلامي الى عهد خلافة عبد الرحمن الناصر أفادتني في التعريف بمقدرات هذا الثغر الخطير في الصراع الاسلامي المسيحي على مر قرنين من الزمن . وعلى الرغم من أن الفترة بعيدة عن أيام المرابطين والموحدين أنها مهدت لبحثي فيما يخص تطور الأعمال الثغرية في هذه المنطقة الحساسة من بلاد الأندلس .

5- الربط في بلاد المغرب ، نشأتها ، تطورها حتى منتصف القرن 5هـ رسالة ماجستير غير منشورة للسيد الدريدي حسن اسماعيل الليلي قدمها لقسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة ، أفادني في ابراز أهمية المراحل التطورية التي عرفتها الربط والأعمال الثغرية في افريقية والمغرب الاقصى ، وقد أحاط الباحث بملابسات تطور الاعمال الثغرية التي يسميها حركة الرباط والمرابطة واهتم بنتائجها في المغرب أيام الفتح على عهد الاغالبة (العصر الذهبي للربط الاسلامية) وقد عالجت الاطروحة

+++++++++++++++++++++++++++

(26) - يعتبر يوسف بن تاشفين من بين القادة الاسلاميين الذين أعادوا الاعتبارة للاسلام في القرن الخامس الهجري يراجع عنه : ابراهيم محمد حسن الجمل ، أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، قاهر الصليبيين في المغرب وموحد المغرب والاندلس (400-500هـ) مطابع دار الشعب القاهرة 1977 وآخر ما صدر عن ابن تاشفين كتاب: الدكتور سعدون عباس نصر الله ، دولة المرابطين في المغرب والاندلس - عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ، دار النهضة العربية بيروت 1985م .

فترة تعتبر مرحلة تمهيدية للدور الذى قامت به هذه المؤسسة الهامة الحربية في
ـ أيام المرابطين و الموحدين .

6ـ محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب في القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ـ للاستاذ المغفور له عثمان الكّعاك : محاضرات متنوعة تشكل في مجملها صورة طيبة للمؤسسات الثقافية في المغرب الاسلامي ، وقد خص الرّبط بشيء من التفصيل وقد استفدت من هذه المحاضرات في غالب فصول هذه الدراسة ، و هي من الاعمال الجيدة للتطور العمراني و العسكري و الديني لهذه المؤسسة (الرّباط) .

7ـ ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية موسوعة ضخمة لمؤرخ الجيل حسن حسني عبد الوهاب استوعبت أخبار المحارس و قصور الربط الافريقية من خلال (أبو العرب تميم) المالكي صاحب رياض النفوس و معالم الايمان وكتب الرّحالة و الجغرافيين . وقد أفادني حسن حسني عبد الوهاب في رسم صورة طيبة عن نشأة و تطور الرّبط من الفتح الى غاية العهد الحفصي . حينما تغيرت رسالة الرّباط من مؤسسة رائدة الى زاوية لعبت أدوارا سلبية في كثير من الأحيان .

8ـ فضائل افرقية في الآثار و الأحاديث الموضوعة لمحمد العروسي المطوى : درس فيه صاحبه أهم الاثار الموضوعة حول فضائل افريقية و أورد كثير من الاحاديث الشائعة في كثير من الكتب كالدّباغ و مصادره الأولى وقد درس المطوى مصطلح الحديث و تعرّف على الحديث الصحيح من الموضوع و استخلص أن هذه الأحاديث الموضوعة شيلت في فضل افريقية و المرابطة فيها القصد منها تشويق الناس و حثهم

الى تلك الرّبط و ساكنيها (27) ، لمؤازرتهم في مواجهة الرّوم و أساطيلهم البحرية .

9- حول منارة قصر الرّباط بالمنستير و أصولها المعمارية : دراسة تاريخية وأثرية هامة لابراهيم شبوّح الذي سبق أن درس رباط المنستير وقدمه لنيل درجة الماجستير في الآثار الاسلامية ولم أتمكن من الاطلاع عليها على الرّغم من زيارتي لتونس . ويبدو وأن منارة قصر الرباط فصلة مستقلة من أطروحته الجامعية الغير منشورة وقد أفادني شبوّح في معرفة الأصول المعمارية لقصر الرباط و التطور العمراني لربط المغرب الاسلامي عموما و افريقية بالخصوص .

10- رباط سوسة : للوزين (Lezine) بالفرنسية دراسة معمارية جيدة للربط من الناحية المعمارية وقد أفادني في معرفة أقسام الرّباط وطريقة الدفاع والوسائل المستخدمة من أسوار وغيرها .

11- G. Marçais, notes sur les ribats en Berbérie : -
دراسة جيدة للرّبط بالفرنسية و هو عبارة عن خلاصة لما جاء في كتب الاحاديث حول الرّبط و المرابطة و الجهاد و ترجمة واضحة لطبقات علماء افريقية لابي العرب تميم ومع هذا فالدراسة جيدة رغم مرور اكثر من ستين سنة على كتابتها .

12- الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي "لالفرد بل" دراسة طيبة تضاف الى أبحاثه المطولة عن التصوف في . . الاسلامي ، و هي من الدراسات الجيدة

(27) - قام الاستاذ الشاذلي النيفر بجمع هذه الاحاديث ودرسها مع أسانيدها في دراسة جيدة و أكّد المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى عند الكتب السّتة وغيرها من كتب الحديث ما يفيد بصحتها حينما تعرض لمادة : ربط .

التى استفادت من كتب الطبقات وكتب التصوف ، وقد أفادني "بل" في فصوله الخاصة بالمرابطين والموحدين من خلال عقائدهم وله نظرات جيدة عن الرباط والمرابطة .

ويمكن أن أشير الى أن فائدتي كانت كبيرة من دراسات متنوعة في دوريات عربية وأجنبية أشرت لها في فصول بحثي . وخلاصة القول أقول : ان غايتي من هذا التوثيق والتدقيق وإعادة النّصوص الى مصادرها الأولى أن أضع لبنة طيبة يستفيد منها سور التاريخ الاسلامي وعذري في هذا ما جاء في المُزْهِر للإمام السيوطي (... وان أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم حدّثهم قال : حدثنا العبّاس بن محمد الدّوري قال : سمعت أبا عبيد يقول : من شُكْر العلم أن نستفيد الشئ فاذا ذكر لك قلت : خفي علي كذا وكذا ولم يكن لي به علم حتى أفادني فيه كذا ، وكذا فهذا شكر العلم ... قلت : ولهذا لا تراني أذكر في شئ من تصانيفي حرفا الا معزوا الى قائله من العلماء ، مبينا كتابه الذى ذكر فيه ...)

والله من وراء القصد .

—0—0—0—0—0—0—0—0—0—0—0—

الفصـــــــل الاول

الرّبط في المشرق الاسلامي من الفتح الى القرن 7هـ / 13م.

1ــ نشأة الرّبط و المرابطة و الاعمال الثغرية

2ــ تطور الرّبط و الاعمال الثغرية الى قيام دولة السلاجقة ق5هـ / 11م.

3ــ الرّبط في الشرق الاسلامي أيام المواجهة بين العالم الاسلامي و القوى الصليبية الى ق7هـ/ 13م.

نشأة الرابط و المرابطة و الاعمال الثغرية:

أوجد الاسلام امة مجاهدة لا مجال للسكونية و الدعة في حياتها لأن المجتمع الاسلامي تعود على الفعالية و المجاهدة التي رسختها النصوص الدينية ـ القرآن و السنة ـ في نفوس اجياله ، فكان بحق عاملا من أجل إحقاق الحق في جميع بلاد الدنيا ، و منذ أن (فتح المسلمون الشام في عهد الخلفاء الراشدين ، تحولت المدن الثغرية الى رباط للصحابة (رضوان الله عليهم) و للمجاهدين في سبيل الله و للزهاد و العباد المنقطعين الى الله تعالى) (1) .

و الرباط يجمع على ربط و رابطة و أربطة و رباطات أخذه المسلمون من قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أصبروا و صابروا و رابطوا وأتقوا الله لعلكم تفلحون) (2) وفسرت هذه الآية كما جاء في المسند الصحيح : (أصبروا عن الدنيا رجاء السلامة و صابروا عند القتال بالثبات و رابطوا لهوى النفس اللوامة ، و اتقوا ما يعقب لكم من الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة) و قيل : (أصبروا على بلائي و صابروا على نعمائي ورابطوا في دار أعدائي واتقوا محبة من سوائي) و قيل : (وهذه شرائط ساكن الرباط قطع المعاملة مع الحق و ترك الاكتساب اكتفاء بكناية مسبب الاسباب) (3)

و الرباط : هو الاقامة على جهاد العدو بالحرب و رباط الخيل و اعدادها فيقال : (فلان له رباط من الخيل) أي الحصن أو المكان الذي يرابط فيه الجند وأصل الرباط أن

---

(1) ـ عمر عبد السلام التدمري ، الرباط و المرابطون في ساحل الشام من الفتح الاسلامي حتى الحروب الصليبية ، (مجلة دراسات تاريخية) دمشق 1981 ص77 .

(2) ـ آل عمران : آية 200 .

(3) ـ ابن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن دراسة و تحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981 ص412 .

يرابط الفريقان في ثغركل منها معدّة لصاحبه،ثم سمي المقام في الثغور رباطا) (4)
و المرابط هو الزّاهد ، العابد الذي نزّه نفسه عن الدّنيا و أقام ورابط بالثغور لحماية
الديار الاسلامين الامنة من هجمات الأعداء .

ورباط الخيل المذكور المعروف بالحصن أخذه المسلمون من الآية الكريمة (وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم) (5) ، وفسرها
صاحب = روح المعاني = فقال : والآية ومن رباط الخيل ، يعني ربطها واقتناؤهـا
للغزو وهو عام في الذّكور و الاناث و الرّباط إسم للخيل التي تُرْبَط في سبيل اللـه
على أن فعال بمعنى مفعول أو مصدر سميّت به يقال : ربط ربطا و رباطا ورابط مرابطة
ورباطا و اعترض بأنه يلزم على ذلك اضافة الشّئ لنفسه وردّ بأن المُراد أن الرّباط
بمعنى المربوط مطلقا الآ أنه استعمل في الخيل و انتظار الصلاة بعد الصلاة و
الاقامة على جهاد العدو بالحرب ، و الرّباط لفظ مشترك بين معاني الخيل والانتظار
و رابطت لازمت ، وجوّز أن يكون الجمع ربط كفصيل و فصال أو جمع ربط (6) .

---

(4) ـ ابن منظور الافريقي لسان العرب المحيط (معجم لغوى علمي) اعداد وتصنيف يوسف خياط تقديم الشيخ عبد الله العلايلي الجزء الاول ، دار لسان العرب (بدون تاريخ) ص1158 .

(5) ـ الانفال : آية 60 .

(6) ـ أبو الفضل شهاب الدّين الألوسي البغدادي (1270هـ) ، روح المعاني تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، الجزء العاشر " دار احياء التراث العربي بيروت 1985 ص25ـ26 ، أنظر تفسير الآية : ـ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم اشراف على طبعة لجنة من العلماء الجزء الثاني الطبعة الثانية دار الاندلس بيروت 1986 ص188 .

وعرّفت دائرة المعارف الاسلامية ، الرّباط بأنّه زاوية اسلامية محصّنة والرباط في الأصل هو المكان الذى يجتمع فيه الفرسان يتكأكأون متأهبين للقيام بحملة من حملات ويتّصل الرّباط اتصالا وثيقا بمعنى تجهيز نقلة البريد والقوافل بالخيل ،على أن هذه الكلمة أطلقت منذ عهد متقدم على منشأة دينية وحربية فى آن واحد اختصّ بها المسلمون دون غيرهم من الأمم (7) . ورغّب الحديث الشريف المؤمنين فى الرّباط والمرابطة وبين أجر المرابط (8) قال سلمان الفارسي (9) رضي الله عنه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (رباط يوم * وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمّن الفتّان) (10) .

من الجهاد الى الرّباط بالثغور ، هي مقومات الزّهاد والعبّاد من هذه الأمّة لهذا ما ان فتحت بلاد الشّام حتى عرف صحابة رسول الله كيف يعطون للأجيال صورة صادقة للمسلم المجاهد ، فهم القدوة الحسنة (وكان ساحل الشّام كلّه يعتبر رباطا بعد الفتح ، اذ عنده تنتهي حدود الدّولة العربية الاسلامية على الطرف

---

(7) ـ ليفي بروفنسال ، دائرة المعارف الاسلامية مادة رباط ، ترجمة الشنتناوى ص19

(8) ـ عن الاحاديث أنظر : النووى ، رياض الصالحين ، تحقيق شعيب الارناؤوط الطبعة الثالثة مؤسسة الرسالة بيروت 1983 ص ص509ـ515 .

* انظر باب رباط يوم فى سبيل الله : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخارى الجعبي صحيح البخارى الجزء الثالث دار الفكر للطباعة والنشر والوزيع بيروت 1981 ص232 .

(9) ـ كان من مرابطة ثغر بيروت أيام خلافة أبي بكر الصديق .

(10) ـ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 2 / 1883 ، النووى ، رياض الصالحين ص498 .

الشّرقي للبحر الابيض المتوسط في الطرف الآخر حدود دولة الرّوم البيزنطية بأسطولها البحري الذي يهدّد سواحل الشام في كل وقت ، وكانت نقاط المواجهة مع العدو و الرّبط على الساحل (11) .

وأما عن الثغر كما جاء عند ياقوت الحموي (12) (627هـ/ 1229) (الثّغـر بالفتح ثم السكّون ، وراء كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغرا كأنّه مأخوذ من الثّغرة وهي الفرجة في الحائط وهو في مواضع كثيرة منها ثغر الشام وجمعه ثغور ، وهـنا الاسم يشمل بلادا كثيرة) (13) .

و ملازمة الثغور هي أسمى مايصل اليه المسلم من تقوى ، وقد أقبلت الامة عـلى بناء الرّبط مدفوعين بغيرتهم على الدّين ، فكانت الرّبط ترصع ثغور الشّرق في البر وعلى شواطئ البحار استجابة لنداء الجهاد الذي يشكل سنام الاسلام .

---

(11) ـ التدمّري ، الربط و المرابطون ، ص 78 .

(12) ـ أبو عبد الله شهاب الدّين ياقوت الحموي الرّومي ، صاحب رحلات و تجارة و أسفار في أنحاء العالم الاسلامي أمين في نقله حافظ ، من مواليد ديار الروم عام 575هـ/ 1179م ، أسر وهو حدث من مؤلفاته الهامة (معجم البلدان) (وكتاب المشترك وضعا و المفترق صقعا) توفي بحلب في رمضان 626هـ/ 1229م أنظر نقولا زيادة الجغرافية و الرحلات عند العرب ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري بيروت 1962 ص 61ـ65 ، عبد العزيز سالم ، التاريخ و المؤرخون ، دار النهضة العربية بيروت 1981 ص 196 ، كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدّين عثمان هاشم ، القسم الاول جامعة الدول العربية القاهرة 1963 ص 335ـ344 .

(13) ـ ياقوت الرّومي ، معجم البلدان الجزء الثاني ، دار صادر دار بيروت 1979 ص 79 ، انظر عن الثغر : ياقوت الحموي ، كتاب المشترك وضعا و المفترق صقعا تحقيق و نشر فرديناند واستنفيلد ، مطبعة المثنى بغداد طبعة بالأوفست 1846 ص 87ـ 88 .

والجهاد محرك سنن الأمّة النفسية وتطورها ، اذ هو من مكونات النّسق الاسلامي الفكري (14) ، ورد في عدّة آيات من القرآن والأحاديث وألفت حوله الكتب وتناولته من جميع الجوانب .

والمحافظة على ما فتح في حالة ضعف أعطى المفهوم الدّفاعي المحض في بداية الأمر ، وهو ما يدعي بالرّباط أو المرابطة ، ومنذ أمد بعيد صار هو المعنى حين يطلق لفظ الجهاد ، ووظيفة الرّباط وتطورها عرفت مجالات واسعة ، فهو الثبوت والّلزوم ، وربط النفس على الامر والزامها ايّاه معناه الشّرعي ، ملازمة الثّغور والثّبوت بها وفرائضه النّية والزّاد الحلال والعدة والمعقل (15) .

---

(14) ـ الجهاد تاج الامة الاسلامية ، به أسقطت عروش كسرى ، وتحدت بيزنطة والجهاد ليس (الحرب المقدسة) كما يطلق عليه رجال الاستشراق ، ولم يكن الاسلام دينا محاربا كما يحلو للمغرضين أن يقولوا عنه وهو المحور الذي تدور حوله تطورات الحياة الاسلامية ، لهذا نختلف مع لوبون الفرنسي حول السنن النفسية لتطور الامم فهو يراها في العرقيات ونحن نلحظها في حركة التاريخ الاسلامي من خلال رسالة الجهاد التي تدعو الى احقاق الحق بين جميع الامم ليكون الدّين لله ، أنظر : ـ الدكتور غوستاف لوبون ، السنن النفسية لتطور الامم ، ترجمة عادل زعيتر ، دار التّنوير للطباعة والنشر ، بيروت 1957 ص55 وما بعدها .
دومينيك سورديل ، الاسلام في القرون الوسطى ، ترجمة علي المقلد الطبعة الاولى دار التنوير للطباعة والنشر بيروت 1983 ص31 وما بعدها .
مونتغمري وات ، فضل الاسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين الطبعة الاولى دار الشروق بيروت 1983 ص14 .
(15) ـ يرى أحد الباحثين أن الجهاد هو الغزو في حالة القّوة والمحافظة على ما فتح في حالة الضّعف وهذا الاخير هو ما يدعى الرباط أو المرابطة ولكن هذه الصورة تزول بمجيء الامويين والعباسيين لفترة طويلة لأن الأساطيل الاسلامية وغزواة البحر وحتى أصحاب الثغور والربط سيكون لهم شأن آخر في الفتوح أنظر : محمد مفتاح مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي (مجلة عالم الفكر) المجلد 12 العدد الاول أبريل مايو الكويت 1981 ص183 ، أنظر أيضا : ابن منظور ، لسان العرب ج1/ ص1158 .

2ـ تطور الاعمال الثّغرية في المشرق الاسلامي الى قيام دولة السّلاجقة ق5هـ/ 11م

أولا : الرّبط والاعمال الثغرية من عهد الراشدين الى نهاية الدولة الاموية

(11هـ/ 631م ـ 730م)

ان منشأ الثغور والرّبط في التنظيم الاداري والعسكري الاسلامي في بلاد الشام والجزيرة الفراتية وبقية الحدود الشرقية للعالم الاسلامي مبدأ من الاحتكاك الحربي بين المسلمين والفرس والرّوم اذ أن الفتوحات الاسلامية جعلت الاعمال الثّغرية المرابطة ضمن التّعبئة العسكرية (16) وصد غارات الاساطيل البيزنطية في غياب البحرية الاسلامية (17) هذه المواجهة العسكرية بين الدولة الاسلامية والبيزنطيين بدأت أيام الراشدين كأعمال دفاعية وتبلورت في العهد الاموي ونضجت أيام العباسيين .

---

(16) ـ التّعبئة العسكرية ، مفهوم قديم وحديث في آن واحد تعني التعبئة التنظيم والتّهيئة والتعبئة العسكرية هي بناء الحصون وترتيب وتنظيم أفراد الجند ولذلك كانت الثغور المشحونة بالمرابطين احدى أهم خصائص الاستراتيجية الحربية في عهد الراشدين والدول المتعاقبة في العالم الاسلامي . أنظر أحمد علي اسماعيل ، التعبئة العسكرية في صدر الاسلام والعهد الأموي ، الطبعة الاولى ، دار الشورى بيروت لبنان 1982 ص11 .

(17) ـ ان المواجهة الحربية الدّائمة في الثغور والرّباطات استلزمت تنظيمات حربية في عهد الراشدين اعتمدت على القوة البّرية بين بداية ظهور البحرية الاسلامية تعود الى امارة معاوية بن أبي سفيان في عهد الخليفة الرّاشدي الثالث عثمان رضي الله عنه ولهذا يلقب معاوية بأبي البحرية الاسلامية أنظر : ـ العبّادي وسالم ، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، دار النهضة العربية بيروت 1981 ص15 .
العدوي ، الامويون والبيزنطيون (البحر المتوسط ، بحيرة اسلامية) الطبعة الثانية الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1963 ص83 .
بسّام العسلي ، معاوية بن أبي سفيان (سلسلة مشاهير قادة الاسلام) الطبعة الرابعة دار النفائس بيروت 1984 .
عرجون ، عثمان بن عفان ، الطبعة الثانية الدار السعودية للنشر والتوزيع السعودية 1981 ص206 وما بعدها .

و يحدد الجغرافيون منطقة الثغور في الشرق و منطقة التخوم و منها ، الثغورالجزرية و تقع بين نهرين دجلة و الفرات و أهم مدنها الموصل و الحديثة و نصيبين و سنجار و الرّقة و الرّها وآمد و ميافارقين و هي ضمن ثلاث ديار هي ديار ربيعة و ديــــار مضر و ديار بكر(18) و أما الثغور الشامية من الفرات الى العريش بتخوم مصر ، فهي ساحلية و أهم مدنها الاسكندرية اللاذقية طرابلس ، بيروت ، صيدا ، صور عكا قيسارية عسقلان غزّة و تكون الساحل الفنيقي قديما (19) .

و أما الثغور الشمالية غير الساحلية فأهم المدن الثغرية ، حمص و حصن الاكراد و العواصم (20) التي تليها مكونة جبهة مستقلة ذات فعالية هامّة ، و حدد ابن خرداذبة (21) معالم الطريق من الرّقة الى الثغور الجزرية ، و هي سلفوس و كيسوم و شمشاط

---

(18) ـ عن هذه الثغور بالتفصيل راجع : ـ الاصطخري ، مسالك الممالك ، نشره دي خوية الطبعة الثانية بريل 1927 ص ص 71ـ77 .
فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية الجزء الاول ، دار الكتاب العربي القاهرة دون سنة طبع ص ص 142ـ159 .

(19) ـ كانت هذه المنطقة يطلق عليها الساحل السّوري أو الفنيقي أو الكنعاني راجع : ـ أنطوانيت أديب ، ثغور العرب في التاريخ ، الحلقة الاولى (مجلة تاريخ العرب و العالم) بيروت ، يونيو،رمضان 1981م ص63 و ما بعدها .

(20) ـ العواصم اصطلاح عسكري عرفته المنطقة كالجند و المطمورة و الحصن و الرباط و القلعة و العاصم هو المانع ، العواصم ، حصون و مواقع و ولاية تحيط بها بين حلب و انطاكية وعاصمتها انطاكية و قيل منبج و فرّق قدامة بن جعفر بين الثغور و العواصم فقال : (وعواصم هذه الثغور و ما وراءها من بلدان الاسلام انما سمّي كل واحد منها عاصما لأنّه يعصم الثغر و يمدّ في أوقات النّفير) أنظر : ـ ابن خرداذبة ،المسالك و و الممالك ،نشره دي خويه ،مكتبة المثنى بغداد دون طبعة ص253

(21) ـ هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المتوفي عام 300هـ أنظر : كراتسكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ج1/ ص155 و ما بعدها .

وملطية وزبطرة والحدث ومرعش وكمخ وعين زربة والهارونية (22) ، وأهم مدن ثغور حلب ، قنّسرين وهو أحد أجناد الشام(23) .

وأما أهم الأقاليم الثغرية التي دانت للخلافة الاسلامية فهي أرمينية (24) وهي بلاد عظيمة تمتد من جبال القوقاز والبحر الأسود شمالا وبعض الجزيرة الفراتية جنوبا وبحر الخزر (قزوين) وهضبة أذربيجان[25] شرقا وآسيا الصغرى والجزيرة غربا ، وما نظرا لطبيعتها الجبلية ، فقد قسّمت الى مجموعة من الاقاليم فقيل أرمينية الصغرى أو أرمينية الكبرى ومنهم من يقول : ــ أرمينية الاولى والثانيـــة والثالثة ومنهم من يجعلها خمسة أقاليم ، ويجعلها البعض من الثغور الجزرية ، وقد فتحت هذه البلاد التي لا يمكن تحديد حدودها بالتفصيل ، بعد فتح بلاد الجزيـــرة وأذربيجان (وكان غزوها ضروريا لتأمين حدود الدولة الاسلامية في الجزيـــــرة

---

(22) ــ ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، نشره دي خوية مكتبة المثنى بغداد ص253 .

(23) ــ الجند هو الاقليم ، وهناك خمسة أجناد بالشام هي تنّسرين ، وجنــد فلسطين وجند حمص وجند دمشق ، وجند الاردن .

(24) ــ أمينية أمة كالروم كما يصفها الحميري ، فتحت أيام الخليفة الراشدي عثمان فتحها سلمان بن ربيعة الباهلي ، وقد ارتبطت بأسرة الباهلي طويلا وتقسم أرمينية الى مجموعة أقاليم هي : الرّان وشروان وجورجيا ، وأرمينية وهي جعلتها شمالي نهر الرس ، بقيت على حالها الى أن سلمت في عهد المغول بعد حروب تيمورلنك أنظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ج1/ ص160 ــ161 ، عبد المنعم الحميري ، كتاب الرّوض المعطار في أخبار الأقطار تحقيق احسان عباس ، بيروت ص26 .

(25) ــ أذربيجان من أقليم ايران يحدّدها ياقوت من بردعة مشرقا الى أرزنجــان مغربا وتتصل حدودها من الشمال ببلاد الدّيلم والجبل والطّرم وقصبتها تبريز ومن أشهر مدن الاقليم أرديل . ياقوت معجم البلدان ج1 ص128 ــ129 .

والشام ولوجود حدود مشترك ولتضييق الخناق على دولة الرّوم بآسيا الصغرى (26) وأما الثغور المصرية فرباطها وثغرها المفضل الاسكندرية التي قال عنها التّابعي عبد الرحمن بن هرمز (27) (خير سواحلكم رباطا الاسكندرية) (28).

هذه الثغور من أقاصي أرمينية الى حدود مصر الغربية كانت مشحونة بالجند والحصون والرّبط أشبه بالكمّاشة التي تحمي الشرق، وكانت الحدود الاسلامية تتمثل في (قليم العواصم والثغور الشامية للدفاع عن الشام والاغارة على أرض البيزنطيين بآسيا الصّغرى واقليم العواصم والثغور الجزرية للدفاع عن شمالي العراق والحملات تقوم منه على أرضي الدولة البيزنطية) (29).

وقد أحسن المسلمون اختيار استراتيجية الموقع للقتال ولحماية أرضهم اذ (نظرة واحدة الى مواقع الثغور الاسلامية التّي أقاموها على تخوم بلادهم لتقفنا على ما كان لدى المسلمين من فن استراتيجي ... وقد كان لفن المسلمين الحربي في تحركاتهم ما جعلهم ينقلون الجيوش المؤلّفة بخيلها ومتاعها خلال ممّرات جبال طوروس (30) في خفّة تسترعي الانظار) (31) وقد كانت الدّروب الجبلية الوعرة

---

(26) _ فتحي عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية ج1/ ص191.

(27) _ هو عبد الرحمن بن هرمز الاعرج من الطبقة الثانية من التابعين ولد ونشأ في مدينة الرسول وفي مجتمع الخلفاء من العلماء المسلمين رابط ومات بالاسكندرية سنة 117هـ/ 735م انظر الشّيال، أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي دار مصر 1965 ص ص35_47.

(28) _ البلاذري، فتوح البلدان ج1/ ص ص262_29، العدوى 112.

(29) _

(30) _ كانت هذه الجبال الحدودية تتكون من جبل اللكام أو جبل النصيرية مسكن المردة، وطوروس الخارجية وأهم دروب طوروس الابواب القليقية وهو من أهم الممرات اجتازه المسلمون والبيزنطيون يغزو الطرف الآخر ويبلغ طول هذا الدرب نحو سبعين ميلا) أنظر محمد محمد مرسي سياسة الامبراطور البيزنطي ثيوفيل (ثيوفيلوس) تجاه الخلافة العباسية (214= 227= 829= 842) (مجلة كلية العلوم الاجتماعية) جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية العدد الثالث الرّياض 1399هـ/ 1979م ص143.

(31) _ فتحي عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية ج1/ ص357.

تشكل حدود الصّراع الذي فرض على استراتيجية الحرب عند المسلمين القيام بدراسة هندسة القلاع والحصون والجبال ومن ثم يتمّ الشّحن بالرّجال والسلاح والدبابات) (32) .

(وما كاد الفتح الاسلامي يستقر في الشّام ومن بعد ذلك في الجزيرة حتى شرع المسلمون في ارسال حملات استطلاعية تجوب الحدود الشّمالية الشّرقية التي تفصل ديار الاسلام عن ديار الرّوم) (33) ، وكان تخريب الحصون والقلاع والحدّ من نشاط الحاميات والمسالح (34) البيزنطية من بين أهداف الحملات الاستطلاعية وجعل المنطقة الحدودية منطقة جرداء موحشة تكون بمثابة الحاجز بينهم وبين الروم وسمّيت هذه الحملات المتتابعة ، بالشّواتي والصوائف لانّها كانت تغزو في الشتاء والصيف وكان ظهور هذا النّظام العسكري والاصطلاح في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذا النّظام العسكري ، فرض وجود قواعد ثابتة للانطلاق ، لهذا سارع الصّحابة الى سواحل الشام ، وفي هذا يقول البلاذري (35) ، ان معاوية كتب الى عمر بن الخطاب بعد موت أخيه (36) يصف له السّواحل ، فكتب اليه في اصلاح حصونها و

---

(32) ـ نفسه ، ص 355 .

(33) ـ نفسه ص 352 .

(34) ـ المسالح هي الطّوالع المرابطة عند الرّوم على الحدود أو التّيمة وأصبحت عند المسلمين مجموعة من العيون تمهد لهم الطريق : ياقوت الرّومي ، معجم البلدان 5/ 128 . 129 .

(35) ـ توفي عام 279هـ/ 892م مات في طاعون عمواس عام 18هـ .

(36) ـ

ترتيب المقاتلة فيها واقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقد لها ولم يأذن لـه في غزو البحر) (37) . وبعدها انتقل النّاس الى السواحل من كل ناحية فكانت بيروت رباط كل من أبي الدّرداء عويمر الانصاري ، وسلمان الفارسي ، وعبد الملك بن أبي ذر الغفاري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (38) .

(وهكذا كانت بيروت من أوائل ثغور المرابطين وذلك لقربها من دمشق وكونها فرضة بعلبك) (39) ، التي هي الاخرى ، قاعدة خلفية تمدّ المنطقة بالميرة والسلاح في حالة الحصار حتى فتحت طرابس التي دخلت حلبة الجهاد بين المسلمين و البيزنطيين منذ سنة 25هـ/ 646م (40) .

وقام معاوية بن أبي سفيان أيام على بلاد الشام بأعمال تدريجية بعيدة عن المغامرة والاندفاع ، فأعدّ الرّبط لتكون حصونا يتجمع فيها المتطوعة (41) والجند

---

(37) ـ البلاذري ، فتوح البلدان 1 / 152 .

(38) ـ التدمري ، الرّباط والمرابطون ، ص80 .

(39) ـ نفسه ، ص 80 .

(41) ـ المتطوعة : ومفردها متطوع ، رجل عابد تقي يكون شابّا صالحا للجندية أو فارسا قادرا وقد يكون شيخا غير صالح للجندية ، وقد يكون امرأة وقد أشاع هؤلاء المتطوعة في مدن الثغور جوّا خاصّا من الرّوحانية وهم الذين جعلوا للنظام الثغري الاسلامي طابعا دينيا خاصا مضافا الى الطابع الحربي ولهم دورهم العظيم في نشر الاسلام والثقافة العربية أنظر: سعيد الهادي شعيرة ، المرابطون في الثغور البّرية العربية الرّومية عند جبال الطّوروس في صدر الدولة العباسية (دراسة منشورة بكتاب سبعية طه حسين) اعداد عبد الرحمن بدوي ، دار المعارف بمصر ، 1962 ، ص161 .

ـ(40) ـ عمر عبد السلام تدمري ، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور الجزء الاول الطبعة الاولى ، مطابع دار البلاد طرابلس لبنان 1978 ص70 .

و أقطع القطائع للناس * ، و أمّن سواحلهم بالحاميات و الحصون ، كما أوصا ءعمر باتخاذ الأبراج للاعلان المبكر عن الخطر و شحن المنطقة بالجند و بذلك ازداد العمران بالسّواحل و تقاطر عليها المرابطون و المتطوعة ، فكانت هذه السياسة العسكرية مقدّمة عوّدت الناس حماية السواحل بأنفسهم ، و اذ ذاك فالبحر (حدّ فاصل و لكنه بطبيعته ، قد لا يحمي الاقليم من الغزو و الغارات ، و قد أتيح لاقليم الثّغور و العواصم أن يكون على اتصال بطرق تبلغ البحر المتوسط في الغرب و الجنوب الغربي و البحر الاسود في الشّمال ثم الخليج الفارسي في الجنوب الشرقي) (42)

و أما سواحل مصر التى هي امتداد طبيعي لسواحل الشام ، فقد تعرّضت هي الاخرى الى الاخطار العسكرية البيزنطية للارتباط التاريخي و الجغرافي للمنطقتين لهذا (سجّلت الفتوح الشّامية و المصرية تحولا فجائيا في الاستراتيجية الدفاعية للعرب في هذه المرحلة من تاريخهم الاسلامي ، فقد أحسّوا بعد أن افتتحوا ساحلية تمتد من انطاكية شمالا حتى برقة غربا بأهمية الدفاع البحرى عنها) (43) ، فحّصن قادة الفتح الثغور الاسلامية ، و شحنوها بالمقاتلة الذين يرابطون بها طوال فصل الصيف يتولون حراستها في المناظر و الابراج والمنارات

---

* ـ أول من أقطع القطائع في انطاكية و سواحل الشام هو الخليفة عمر بن الخطاب واصبحت استراتيجية في دولة بني أمية .

(42) ـ فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، جـ1/ ص266 .

(43) ـ العبّادي ، سالم ، البحرية الاسلامية في مصر و الشام ص14 .

وقد اهتم عمر بن الخطاب بالشام كما سبق أن ذكرت ، كانت مصر و سواحلها لها مكانة هامة في استراتيجية عمر الدفاعية (فكان يبعث في كل سنة غزية من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية) (44) كما قسم عمرو بن العاص (فاتح مصر) الجند الى قسمين ، قسم رابط معه في الفسطاط وقسم وزّعه الى نصفين أحدهما لرباط الاسكندرية وحدها و النصف الثاني لسائر السواحل المصرية (وقد قيل في فضل الرّباط في الاسكندرية أقوال كثيرة ، وكتب في ذلك رسائل عديدة و قرن اسم الاسكندرية لذلك بالثّواب و الجهاد و لذلك عمّرت بمن وفد اليها من المرابطة و ازداد عدد الحامية المرابطة من ثلاثة آلاف الى 17ألف أيام خلافة معاوية و نزلها عدد من الصحابة و التّابعين و تابعي التابعين) (45) .

و بعد نجاح سياسة منح الاقطاعات للمرابطين بالسواحل (46) ، جاء دور الحملات البحرية في الحوض الشّرقي ليتّم السياسة الدّفاعية التى رسمها معاوية قبل أن يسمح له الخليفة عثمان بن عفان بركوب البحر ، وكان انشاء الحصون و ازدهار العمارة الحربية في عهد مبكر بداية لسياسة بحرية ، تتطلع لها منذ خلافة عمر والى الشام و الجزيرة ، معاوية = أبو البحرية الاسلامية= في حوض

---

(44) ـ . . .

(45) ـ نفسه ، ص17 .

(46) ـ أتت سياسة منح الاقطاعات ثمارها ، فعمّرت الثغور البحرية لأن الناس انتقلوا الى السواحل من كل ناحية وفي هذا المعنى يقول البلاذري : (حدّثني هشام بن الّليث قال : حدّثني أشياخنا قالوا : (نزلنا صور و السواحل و بها جند من العرب و خلق من الرّوم ثم نزع الينا أهل بلدان شتّى فنزلوها معنا وكذلك جمية سواحل الشام) أنظر البلاذري ، فتوح البلدان ج1/ ص140 ، العدوي الامويون و البيزنطيون ، ص85 .

المتوسط اذ ظفر بتصريح من الخليفة عثمان ، بركوب البحر ، وغزو قبرص على ألا يكره أحدا على ركوبه (ولم يلق معاوية عناء في اجتذاب الجند الذى أخذ معه في حملات البحرية اذ كانت المدن الساحلية عامرة بالمغامرين وغيرهم ممن ذاقوا ثمرات الانطاعات وامتيازاتها وتطلعوا الى خوض غمار الميدان البحرى ، تحت راية معاوية مخلدين اسمهم فى طليعة الحملات الاسلامية البحرية لتقليم أظافر البيزنطيين) (47) .

وهذا النقل المعركة الى أرض العدو لان خير وسيلة المدفاع هى الهجوم غير أن = العدوي = صاحب النص يصف الزهاد والصحابة فى السواحل (بالمنامرين) اذ المعروف أن المتطوعة والمرابطين فى السواحل يحرسون تخوم الاسلام اذ أنهم يرجون الخير والجزاء من الله والتعمير فى الارض ليس غاية فى حد ذاته بل هو امتثال لامر الله تعالى والمغامر يحمل فى نفسه = الربح والخسارة = ونحن نستبعد هذه المعادلة فى فجر القرن الاول للهجرة ومن هذا المبدأ أعطى الصحابة والتابعون للربط الساحلية مكانة ورهبة فى النفوس وصلت الى حد عدهم فى طبقات الزهاد والعباد من هذه الأمة .

فالدافع الديني القوى والايمان برسالة = المجاهد المرابط = هي التى انتصر بها معاوية وغيره فى حمل الناس الى البحر وهم لا ثقافة بحرية لهم فى هذه الفترة المبكرة من حياة المجتمع الاسلامي .

وكانت الغزوة الأولى لقبرص فى ربيع 28هـ/ 649م (48) وشارك فيها من

---

(47) ـ العدوى ، الامويون والبيزنطيون ، ص86 .
(48) ـ اختلف المؤرخون في تحديد موسم هذه الغزوة لذا يمكن مراجعة ، البلاذرى ، فتوح البلدان ج1/ ص181 ، فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ج2/ ص28 ، العدوى ، الامويون والبيزنطيون ص90 ، بحيرة ، المرابطون في الثغور البرية ، ص16 .

الصحابة والتابعين ، أبو أيوب الانصاري ، وأبو الدرداء وابو ذر الغفاري و عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد الانصاري وعمير بن سعد بن عبيد الانصاري وواثلة بن الاسقع الكناني وعبد الله بن بشر المازني وشداد بن أوس ابن أخي حسان بن ثابت والمقداد وكعب الحبر بن ماتع وجبير بن نفير الحضرمي (49) اذ كانوا يرابطون بسواحل الشام لصد العدوان البيزنطي عليها في فجر الحروب الصليبية في الشرق ، خاصة أيام الاسرة المقدونية (50) .

وجاءت هذه الحملة لتعبر عن صدق الغزاة والمرابطين في الشام في الدفاع عن الاسلام وشاءت الاقدار أن تبقى رمزا خالدا للمسلمين رجالا ونساء ، فقد استشهدت أم حرام زوجة عبادة بن الصامت على أرض قبرص وعرف قبرها باسم (قبر المرأة الصالحة) (51) ، والمعروف أن الغزوة الاولى قد أدت الى انتصارات مشجعة للمجاهدين ، اذ حيدوا قبرص عن الصراع الاسلامي البيزنطي وأن غدرت قبرص بالمسلمين وتعاونت مع البيزنطيين (52) ، وفي سنة 33هـ / 654م جعل معاوية بقبرص قوة نظامية مرابطة أصبحت قوة أمامية

---

(49) ـ البلاذري ، فتوح البلدان ج1/ 182 .

(50) ـ أسس حكمها باسيل الاول 867ـ887م وأهم حكامها ابو الحكيم و قسطنطين السابع صاحب كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية وأهم أباطرتها على الاطلاق في الصراع الاسلامي البيزنطي = نقفور فقاس= (963ـ 963) (963ـ 963)

(51) ـ المصدر نفسه .

(52) ـ المصدر نفسه ، ص181 .

تحمي سواحل الشام من غارات الاساطيل البيزنطية .

وبعد سلسلة من الحملات البحرية في جزر البحر المتوسط الشرقي (كريت أرواد ، قبرص) ، جاءت ثمرة تفوق الاساطيل الاسلامية في الفتح والجهاد في ذات الصواري 34هـ/ 655م (53) ، لتغيير موازين القوى بين المسلمين والبيزنطيين وبعد هذا الانتصار الحاسم دخلت الدّولة الاسلامية في صراع داخلي دام مدّة طويلة من (35هـ الى 41هـ/ 656م- 661م) ومن حسن الظروف، أن بيزنطة استغلت هذه الفرصة فراحت تطارد أعداءها في الجبهة الشمالية وتأمين حدودها الجنوبية اذ لم تخلو الدبلوماسية البيزنطية من وضع خطط لاستعادة أملاكها في البحر المتوسط من أيدي المسلمين وقد (كان التّخوم الاسلاسلامية خلوّا من الرّباط المدافع عنها لان معاوية سحب معظم قوّاته منها لتشدّ أزره في حربه مع الامام علي بن ابي طالب) (54) و لانكاد نعثر على نص يذكر هجومات بيزنطية على ثغور المسلمين في هذه الفترة العصيبة سوى قيام البيزنطيين بتحصين ثغورهم وزيادة مسالحهم في دروب جبال الطّوروس وتحصين العاصمة القسطنطينية وشحن صقلّية بالمقاتلة

---

(53) ــ بسام العسلي ، معاوية بن أبي سفيان ، ص ص45ــ48 .

(54) ــ العدوي الامويون والبيزنطيون ، ص107 .

في الحوض الغربي للمتوسط (55) .

وبوصول معاوية الى الحكم وتأسيسه لدولة الامويين ، اشتدّ الصراع في حوض المتوسط الشّرقي بين الدولة الاسلامية في الشام وبيزنطة ، وبدأ معاويـــــة نشاطه = الثّغري = باعادة نظام الشّواتي والصوائف ، وهي حملات دوريـــة منتظمة تتوجّه الى الاراضي البيزنطية في آسيا الصّغرى ، يشرف عليها قـــادة محتسبون متخصّصون في هذا النّوع في الحروب الخاطفة ، كان في طليعتهم المرابط عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذي (عظم شأنه بالشّام ومال اليه أهلهـــا لما كان عند هم من آثار أبيه خالد بن الوليد ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه حتى خافه معاوية ، وخشي على نفسه منه لميل الناس اليه) (56) ، ومالك

---

(55) ـ وعن هذه النقطة يقول ابراهيم العدوي : (فأتّجه الامبراطور قسطنطين الى تأديب عناصر السلاف بالبلقان ، وكانت قد جدّدت نشاطها ضد البيزنطيين وأراضيهم أثناء انشغالهم بالحروب مع المسلمين ثم ذهب الامبراطور بعد أن فرغ من هذه المشكلة السلافية الى صقّلية ليقوي جبهة دولته الغربية ضد أي زحف اسلامي قد يبدأ بمصر ، أنظر العدوي ، الامويون والبيزنطيون ص107 .

(56) ـ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، مجاهد ، مرابط دافع عن تخـــوم المسلمين ، مات وهو على ولاية حمص بالسّم بأمر من معاوية أنظر : الطبري تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الجزء 5 الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر 1979 ص227 .

بن عبد الله الخثعمي المعروف بمالك الصوائف (57) ، وكانت أهداف معاوية الوصول الى بيزنطة وقاعدتها الحصينة ، ونجحت حملات الصوائف والشواتي في تثبيت قواعد المسلمين في سميساط (58) ، وملطية (59) ، وفي هذه الاخيرة كان قد وضع بها رباطا قويا ، ونقل اليها جماعة محتسبة من خيرة رجال الشام والجزيرة فأصبحت مقدمة أمامية للاغارة على أرض الدولة البيزنطية (60) .

وأما الغزو البحري ، الذي باشره معاوية ، بحملة كبيرة جمع لها كبار الصحابة وأردفها بابنه يزيد ، الا أنها فشلت في اقتحام قلعة الروم الحصينة وخلفت وراءها الشهيد أبي أيوب الانصاري .

وأصبحت جزيرة رودس منذ سنة 53هـ/ 673م رباطا للمسلمين لها ناظور

---

(57) ـ مالك بن عبد الله من أهل فلسطين ، مجاهد اشتهر بمالك الصوائف أنظر العدوي ، الامويون والبيزنطيون ص114 .

(58) ـ سميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طريق بلاد الروم على غربي الفرات لها قلعة يسكنها الارمن وسميساط من أعمال الشام وهي غير شمشاط من بلاد أرمينية أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ج3/ ص258 . فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ج1/ ص238 .

(59) ـ ملطية : من الثغور الجزرية لها رباط معظم ، ياقوت ، معجم البلدان ، 5/ 182ـ193 .

(60) ـ العدوي ، الامويون البيزنطيون ، ص111ـ

يحذرهم من كيد الرّوم حتى أصبحوا أشد شيئى عليهم فيعترضوهم فى البحـــر فيقطعون سفنهم (61) وقبل رحيلة الى مثواه الاخير بعد البلاء الحسن الذى قام به فى سدّ ثغور دولته ترك معاوية ابنه يزيد على فوهة بركان وهو ما أوقف الاعمال الثغرية .

ولم يستطع يزيد اتمام ما خلّفه معاوية من حملات دورية على ثغور الرّوم البحرية والبّرية ، كذلك لم تعرف حملات جاءت في عهد مروان بن الحكم (62) الى أن جاء الى الحكم عبد الملك بن مروان (65هـ ـ 86/ 685ـ705م) (63) الذى عرف عصره القلاقل والفتن (64) ، ومع هذا نشّط العماليات الثغرية وحركة المرابطـــــة والاستقرار بالسواحل والثغور ، واستأنف المرابطون الجهاد بعد توقف طويــــل حتى أرمينية وجبهة الثغور الشمالية ، عرفت حركة جديدة ، بزعامة شقيق الخليفــــة

---

(61) ـ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ5 / 288 .

(62) ـ صاحب الفرع المرواني فى الدولة الاموية بقي فى الحكم سبعة أشهر وثمانية عشر يوما القلقشندى ، مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد السّتار أحمد فرّاج الجزء الاول الطبعة الثانية عالم الكتب بيروت 1980 ص125 .

(63) ـ مجدد قوة الدولة الاموية أشبه بمعاوية فى حزمه وحنكته له أخبار طوال أنظر القلقشندى ، مآثر الانافة جـ1 / ص126 .

(64) ـ أهم هذه القلاقل ، ثورة عبد الله بن الزبير ، وثورة المختار بن أبي عبيد الثّقفي وثورة الخوارج وخروج ابن الاشعث أنظر: محمد فتحى الحدود الاسلامية البيزنطية جـ2/ ص ص54ـ 67 .

(محمد بن مروان) أمير الجزيرة و أرمينية ، فقد (استطاع هذا القائد الاسلامي أن يستميل اليه الصقالبة ثم أسكنهم عبد الملك بن مروان فى ثغور الشام و قبـــرص .

ورمّم الخليفة الثغور البّرية و البحرية ، وعادت حملات الشواتي و الصوائف الى سابق أمجادها ، كما تجدد الصراع حول أرمينية بين المسلمين و البيزنطيين و مازاد المسألة الارمينية حدّة انشغال المسلمين بمشاكلهم الدّاخلية ، وعلى الرغم من هذا ، تطورت الحصون و الرّبط بأرمينية ، ممّا زادها عمقا و بعدا اسلاميا بقاء المتطوعة و المرابطين بها بها رغم تقلبها على المسلمين بيـــن الحين و الاخر و نجحت الاعمال الثغرية ، وقطف ثمارها الوليد بن عبد الملـك (86ـ 96هـ/ 705ـ715م) (65) الذى كان (محبوبا عند أهل الشام لانـــه صاحب عمارة و بناء عمّر الضياع و وضع المنار فى الطّرق ... وبلغ فى عهـد ه قتيبـــة بن مسلم (66) كاشـــغر و هي أول مدائن الصين) (67) .

---

(65) ـ سادس خلفاء بني أمّية ، فتحت فى عهد ه الأندلس (طليطلة بالذات) و بلاد السند و ما وراء النّهر و بلاد الترك و الهند و أول من اتخذ البيمارستانات للمرضى و المجذومين أنظر : القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ1/ ص134 .

(66)ـ هو قتيبة بن مسلم بن عمر بن الحصين الباهلي (669ـ715م) .

(67) ـ مؤلف مجهول ، العيون و الحدائق فى أخبار الحقائق جـ3 نشره دى خوية بريل 1979 ـ ص11 .

وعرفت الفتوحات عصرها الذهبي في المشرق و المغرب ، و أصبحت العراق و الشام و مصر ، أرضا اسلامية بل عرف التعريب و سلك طريقة ، حتى غدت بفضل انتشار الزهد . سواحل المسلمين عامرة بالمرابطين و الزهاد ، وهذا يعود الى مجموعة من العوامل هي :

1- انقطاع الزهاد ، فى السواحل للدفاع عن الثغور الانتشار الفتن بين المسلمين .

2- البحث عن الصفاء الروحي و الابتعاد عن الدنيا و مفاتنها .

أما عمر بن عبد العزيز (68) الذى وصل الى حكم الدولة الاموية بفضل الله و لرجاحة عقل (رجاء بن حيوة العالم المسلم الذى غيّر نظام الحكم الاموى فى دمشق) (69) فقد اتّبع سياسة ثغرية خاصة تختلف عن سياسة جميع الخلفاء

---

(68) - وصل الى الحكم الاموى ، فجدد العهد الرّاشدى بزهده ، وعدله ، و حزمه لمدة قصيرة . انظر ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، مراجعة نخبة من العلماء ، الجزء الرّابع ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1980 - ص153 و ما بعدها .

(69) - هو أبو المقدام ، و يقال أبو نصر ، رجاء بن حيوة بن جرول أو جندل بن الاحنف بن السمط الفلسطيني و يقال الاردني شيخ أهل الشام وكبير الدولة الاموية نشأ حياة اسلامية و خدم ملوك الفرع المرواني خاصة سليمان بن عبد الملك الذى اعاده الى جادة الطريق و نصحه بترك الخلافة لعمر بن عبد العزيز ، توفى رجاء فى خلافة هشام عام 112هـ . أنظر : - صلاح عبد الفتاح الخالدى ، رجاء بن حيوة ، عالم مسلم غيّر نظام الحكم الاموى ، فى دمشق (مجلة الامة العدد 50 السنة 5 ، قطر 1984 ص58 .

الذين سبقوه حيث أعاد اعتبارات الجهاد الاسلامية (فكان يدعو حصن الرّوم الى الاسلام أو الجزية أو القتال ، كما جعل الرّباط في الثغور أربعين يوماً يرجع بعده المرابط الى أهله ليستجم) (70) كما تفاوض مع البيزنطيين في فداء الاسرى ، وهدّم الحصون ما بين المصيصة (71) وانطاكية وحمى ثغر قزون (72) وحارب الترك ناحية أذربيجان (73) وبذلك تغيرت سياسة الزّحف على القسطنطينية ، واستبدلت ببناء الحصون والقلاع والرّباط (قد تابع المروانيون العناية بمدن الساحل وتحصينها كما تابعوا سياسة اجتلاب جماعات شديدة البأس والسّطوة ووضعهم في المواقع الاستراتيجية الهامة عند السواحل) (74) .

فشمل العمران كافة المناطق الثغرية بالشام (نظرا لموقعها الاستراتيجي الهام على الدّروب (75) المؤدّية من قلب هضبة

---

(70) ـ فتحي عثمان الحدود الاسلامية البيزنطية جـ2/ ص97 .

(71) ـ على نهر جيحون من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم : ياقوت ، معجم البلدان جـ5/ ص145 .

(72) ـ البلاذري ، فتوح البلدان جـ2/ ص394 .

(73) ـ فتحي عثمان الحدود الاسلامية البيزنطية ، جـ2/ ص97 .

(74) ـ نجدة خماش ، الادارة في العصر الاموي ، الطبعة الاولى ، دار الفكر دمشق 1980 ص218 .

(75) ـ الدروب جمع درب قال ابن منظور (وكل مدخل الى الروم درب من دروبها وأصل الدّرب المضيق والجبال ومنه قولهم (أدرب القوم اذا دخلوا أرض العدو في بلاد الروم) ابن منظور لسان العرب الجزء الاول مادة (درب) ص961 .

الأناضول الى بلاد الشام والعراق) (76) وأمّا الفترة التى قضتها الدولة الاموية بعد هشام بن عبد الملك، فقد عرفت الاضطرابات ودخلت الدّولة في دوامة مشاكلها الداخلية، فأصبحت الحروب الثغرية وحركة المرابطة يسودها المّد والجزر، اذ غلبت عليها الحرب الدفاعية الى أن أنهارت وظهرت دولة جديدة بشعارات اسلامية مثالية هي الدولة العباسية.

ولا يفوتنا أن نذكر، أن سواحل الشام على عهد الامويين، قد حفلت بمجموعة من التّابعين، منهم الامام الاوزاعي (77) الذى كانت بيروت رباطه، حيث (لاتزال تتمثل بأخلاق الصحابة والتّابعين (آنذاك) الذين نزلوها ورابطوا فيها، وتحيا بزهادها وحكم أقوالهم وبلاغة مقصدهم وغاياتهم وتواضعهم في الملبس والمظهر (78) وكانت للاوزاعي رسالة

---

(76) ـ مصطفى على الحيارى، حياة الناس فى مدن الثغور (مدينة طرسوس) مجلة دراسات تاريخية العدد 4، جمادى الثاني، أبريل 1401هـ/ 1981م، ص85.
(77) ـ هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الاوزاعي من مواليد بعلبك عام 88هـ وتوفى عام 157هـ/ 774م، صبحي محمصاني، المجاهدون فى الحق دار العلم للملايين بيروت 1974 ص33.
(78) ـ التدمري الرّباط والمرابطون فى ساحل الشام ص87.

أداها كمرابط في سبيل الله، فبعد استقراره في بيروت اشتغل كاتبـــا لديوان الساحل وهي دائرة تجنيد حرس السواحل . وخرج في الغـــزوات والبعوث التي وجهتها الدولة الاموية (كان يأخذ العطاء كغيره من جند الساحل المرابطين الى أن أصبح عالما للجند في العصر الاموي) (79) .

وأدرك الامام الاوزاعي عهد المنصور العباسي ووعظه في رسالة هامة يصـــف فيها حال الجند المرابط في الساحل ، ما يواجهونه من خطر الغزو ووطـــأة البرد وقلّة الزّاد والمال ومما جاء فيها قوله : (... وأهل الساحل بمنزل عظيم غناؤه عن المسلمين ، فانه لا يستمر لبعوث أمير المؤمنين فصول الى ثغوره ولا سياحه في بلاد عدوهم ، حتى يكون من وراء بيضتهم وأهل بل سواحل الشام من يدفع عنهم عدوا ، ان هجم عليهم وانّهم اذا كان القنط تناوبوا على ساحل البحر رجالا وركبانا واذا كان الشتاء قاسوا طول الليّل وقرّه ووحشته حرســا في البروج والناس خلفهم في أجنادهم في البيوت والأدفاء) (80) .

---

(79) ـ التدمري ، الرّباط والمرابطون في ساحل الشام ص83 .

(80) ـ نفســــــــه ، ص85ـ 86 .

ثانيا: الربط والأعمال الثغرية في العهد العباسي الى قيام دولـــــة الســـــلاجقة.

وبظهور الدولة العباسية التي ورثت مشاكل الامويين والساسانيين مـــن قبل مـــن البيزنطيين، في المتوسط وأرمينية (81) بدأت استراتيجيـــة جديدة وظهر التحول الاسلامي بمظهر ايجابي في العصر الذهبي لدولة بني العبـاس، على الرغم مما عرفته من اضطرابـات فان المنصور (82) قد واصل حمـلات الشواتي والصوائف التي انقطع خبرها منذ سنـــة 133هـ/ 751م (83) وعرفت الجبهة البرية لثغور جبال الطوروس فـــي

---

(81) ـ رغم هذه المشاكل التي ورثوها الا أنهم واصلوا الفتح الى غاية المعتصم أنظر: ـ حسن أحمد محمود، أحمد ابراهيم الشريف، العالم الاسلامي في العصر العباسي، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي 1973 ص156.

(82) ـ يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية تولى حكمها من 134هـ الى 158هـ، كان من دهاة الدولة وأخباره كثيرة أنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك جـ7/ ص471، القلقشندي، مآثر الانافة، جـ1 ص 175، أحمد شلبي، التاريخ الاسلامي والحضارة الجزء الثالث الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية 1966، ص51، ثريا حـافظ بركه، الخراسانيون ودورهم السيـاسي في العصـر العباسـي الاول، الطبعـة الاولى، دار تهـامة جـدة، 1982 ـ ص431.

صد ر الدولة العباسية جهودا لا يكاد يتصرر الباحث مداها الاول ودلـــة

وأما القـائمون بهذا الجهد فهم أربعة خلفاء : المنصور والمهدى (84)

والهادى (85) ، والرشيـــد (86) ، ولاشك أن المنصور هو واضع الخطة

وأن خلفاءه جروا من بعده على نفس الطريق (87) .

ونقطة البداية فى الصراع العباسي البيزنطي ، تبدأ منذ آخر خليفة أمـــوى

وابتداء الايام العباسية ، فقد قام قسطنطيـــن الخامس (741–775م) (88)

بنفســه سنة 133هـ/ 751م بحملة خرّب على اثرها الحصون فى الثغور الاسلامية

بشماتة وحقـد صليبي (89) فاستسلـمت لـه القـلاع ، لاعن ضـــعـف

تحصينهـــــــا ، بل عن يأس من المدد كما عبر البلاذى (90) واشترط

---

(84) _ ثالث خلفاء بني العباس ، ناسك هذه الدولة شبه بعمر بن عبد العزيز ولما مات والده المنصور أوصاه كما يقول اليعقوبي بالسّيرة الحسنة وحفظ الاطراف وسد الثغور واكمال البعوث ، حكم من 158 الى 169هـ أنظر اليعقوبي ، تاريـــخ اليعقوبي ، الجزء الثالث المكتبة المرتضية ، النجف الاشرف العراق 1358هـ ص ص125 _ 133 ، القلقشندى ، معالم الانافة جـ1/ ص185 .

(85) _ رابع خلفاء بني العباس بقي فى الخلافة حوالى سنة (169 _ 170) كـــان كالمنصور فى الحزم قيل مات مقتولا راجع أخباره ، القلقشندى معالم الانافة جـ1/ 190 .

(86) _ ستأتي ترجمته .

(87) _ عبـــد الهادى شعيرة ، المرابطون ، ص147 .

(88) _ ثاني أباطرة الاسرة الايسورية عاصر أوخر خلفاء الدولة الاموية ، من عهد هشام بن عبد الملك الى مروان بن الحكم ، وعاصر من العباسيين السفّاح والمنصور وحكم بيزنطة من 741 الى 775 حوالى 34 سنة راجع : بورفير وجينيتوس (قسطنطين السابع) ادارة الامبراطورية البيزنطية عرض وتحليل محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية بيروت 1980 ص234 .

(89) _ عبد الهادى شعيرة المرابطون ، ص148 .

(90) _ البلاذري ، فتوح البلدان جـ1/ ص222 .

على المرابطين اخلاء القلاع و بهذا أصبح النّظام الثغرى الاسلامي محروما من التحصينات خاليا من المرابطين و المتطوعة (91) وأصبحت منطقة خالية مخرّبة بعد تعميرها و شحنها بأناس من أنحال العالم الاسلامي * وكان الخليفة المنصور أول من استطاع من العباسيين أن يعيد الموضع الى ما كان عليه (92) ثم أتم عمله من بعده خلفاؤه، ففي السّاحل بنى المصيصة وأذنه (93) و ملطية و شمشاط (94) وأصبحت المنطقة كلّها حربية ** . يلاحظ أن الدّولة هي التي تولت بناء الحصون و الرّبط و منازل الجند و المرابطين و معونة الناس عند الحاجة ، فأصبح المجهود الفردى الذى عرفته الدّولة الاموية ضئيلا بالمقارنة بمجهودات الخلفاء الأوائل لدولة بني العباس(95) .

(91) ـ عبد الهادى شعيرة ، المرابطون ، ص149 .

* ـ نصرت عبد الرّحمن ، شعر الصراع مع الروم فى ضوء التاريخ (العصر العباسي حتى نهاية القرن الرّابع) الطبعة الاولى مكتبة عمان المملكة الاردنية الهاشمية 177، ص 11 .

(92) ـ نفســـــه ، ص 14 .

(93) ـ أذنة : وتسمى أضنة (ADANA) وتقع فى جنوب تركية و هي من كبريات المدن فيها بناها المنصور ، بها قوة مرابطة من خرلمات و الشام ، البلاذى فتوح البلدان جـ1 / 199 ص.

(94) ـ شمشاط : على شاطئى الفرات و هي فى طرف أرمينية و هي ثغر الجزيرة عند الاصطخرى واعتبر ملطية من الثغور الشامية: الاصطخرى ، مسالك الممالك ،نشره دى خويه، بريل 1927 ـ ص75 ياقوت ، معجم البلدان جـ3/ ص362، فتحي عثمان، الحدود الاسلامية جـ1/ 238 ص.

** ـ نصرت عبد الرحمن ، شعر الصراع مع الرّوم ، ص12 .

(95) ـ عبد الهادى شعيرة ، المرابطون ، ص150 .

فبالاضافة الى ترميم الثغور و بناء المدن فان الخلفاء الاوائل الى عهد هارون الرشيد (96) ، استحدثوا مدنا ثغرية جديدة (و بفضل هذ الانشاء زاد الثغر حصانة و اتساعا و أمنا حتى صار منطقة كبيرة عامرة و الانشاءات هي عين زربة و الكنيسة السوداء ، و الهارونية و طرسوس) (97) و بناء طرسوس كان يعبر عن جعل مقدمة أمامية لتهديد بيزنطة ، حتى صار الثغر أعظم عمرانا وعدّ من الاقسام الادارية الحربية القائمة بذاتها وسّد فراغ نظام الاجناد الشامية التي زال وجودها بزوال منك بني

---

(96) ـ هارون الرشيد بن المهدي كان شجاعا كثير الحج و الغزو ، ارتبط عهد بعصر المرابطة و الاعمال الثغرية و هو أول من نشّط أعمال الغزو البر و البحر ، شوهت بسيرته رواية ألف ليلة و ليلة ، و كتب شعوبية و صليبية ، حكم من 170 الى 193 ، هو الذي أسس رباط أرمينية و طرسوس و طرابلس الغرب المنستير على يد قائد ، هرثمة بن أعين راجع أخباره ، المسعودي ، كتاب التنبية و الاشراف ، مكتبة خياط بيروت 1965 ، ص345 ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، الجزء الرّابع تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت 1974 ص225 الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود الاخبار الطّوال ، الطبعة الاولى مطبعة السّعادة مصر 1330هـ ص365 .

(97) ـ أشهر هذه الانشاءات طرسوس ، وهي بين أنطاكية و حلب و بلاد الرّوم بينها و بين أذنة ستة فراسخ يشقها نهر البردان ، بها قبر المأمون ، ياقوت معجم البلدان ج4/ ص ص28ـ29 .

أمية (98) .

وفي هذه المدن الثغرية المستحدثة ، قلاع للمرابطين ، أصبحت هدفا للتدمير لذلك فانه لا ينزل بها سوى المقاتل أو المتطوع الشجاع أو المحتسب أو التقي الورع ، وقد ميزتهم الدولة العباسية في عصرها الذهبي عن غيرهم من الاجناد بخصائص أربع هي :- (99) .

1- معونة يتلقاها المرابط عند البدء ليستعين بها على تجهيز نفسه للنزول في الموطن الجديد .

2- سكن تبنيه له الدولة يسعه ويسع أهله .

3- زيادة في العطاء الرسمي ، وتكون هذه الزيادة ، بحسب الوارد في بعض النصوص عشرة دنانير .

4- اقطاع في ريف الثغر يتوسع المرابط به زيادة على العطاء الرسمي .

وأصبحت هذه الخصائص داعية لان يستشهد المرابط في الثغر ورباطه دفاعا عن بيضة الاسلام وحفاظا على ماله وولده وأهله من أهل الثغر .

وحققت الدولة العباسية أمن الدروب وأمن الروابط والثغور ، بل قضت على الوحوش المفترسة باطلاق آلاف الجواميس (100) وهذا لقيام منطقة

---

(98) - شعيرة ، المرابطون ص149 .

(99) - نفسه ، ، ص157 .

(100) - عن قضية الجواميس الهندية التي ظهرت بالدروب القليقية من عهد بني أمية راجع : البلاذري فتوح البلدان ج1/ ص ص198-199 ، شعيرة، المرابطون ص160 ، والقصة الطريفة التي يوردها البلاذري في شأن الجواميس ، تعود الى العهد الاموي فيذكر أن الطريق الموجود مابين انطاكية والمصيصة مملوءة بالوحوش تعترض الناس فأرسل محمد بن القاسم فاتح السند للوليد بن عبد الملك أربعة آلاف جاموسة ألقى مجموعة منها في آجام الاسود ، ثم جعل بعض القطعان مع رعاتها من الزط الذين يسميهم شعيرة الغجر ، قرب المنطقة .

عمرانية وحياة رعوية على طول الطريق المؤدى الى المدن الثغرية ، وعلى ضوء هذه السياسة ، حققت الدولة العباسية على المستوى الحربي والحضارى نجاحات كبرى ، منها تكوين قوة دفاعية لتحقيق الاهداف التى كان تقوم من أجلها الاجناد الشامية في العهد الاموى ، وعلى المستوى الحضارى حققت الامن والسلم ، والملاحظ أن نظام الربط فى بلاد الشام وبلاد ما وراء النهر (تركستان) حقق توازنا بين الحياة الروحية والحياة العسكرية .

ومثل هارون الرشيد عصر التفوق فى الجهاد الثغرى البرى والبحرى ، على الرغم من توقف النشاط البحرى فى العهد العباسي ما يقارب نصف قرن نظرا لاهتمامات بالثغور البرية وبأرض خراسان وأرمينية وكذلك انشغلت الدولة البيزنطية بمشاكلها الداخلية مع الصرب والبلغار ، ويلاحظ البلاذرى (101) والطبرى (102) من بعد ، أن انتشار دور الصناعة البحرية كان فى عهد هارون الرشيد ، وعرفت الاعمال الثغرية عصرا حاسما بين المسلمين وبيزنطة* كما ارتبطت فترة هارون الرشيد بتطورات حروب الثغور اذ كان أول من استحدث

---

(101) ـ البلاذرى ، فتوح البلدان جـ1/ ص193 .

(102) ـ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ8/ ص38 وما بعدها .

* ـ أنظر : ـ نصرت عبد الرحمن ، شعر الصراع مع الروم ص15 وما بعدها .

اقليـــــم العواصم ، ضمن التقسيـــــم الاداري الجديد .*

والعواصـم عند ياقوت الحموى (103) هي حصون ، ومواني ، وولايـــة تحيـط بها بين حلب وانطاكية وهذه الحصون كما هي عند قدامة (104) سمّيت كذلك لان المسلمين كان يعتصمو .بها فتعتصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر وعاصمة العواصم هي منبج (105) والعواصم قواعد خلفية وأما الثغور فقواعد أمامية .

وعن جهاد الخليفة هارون الرشيد يقول البلاذري : (وقد رأينا من اجتهـــاد أمير المؤمنين هارون الرشيد في الغزو ونفاذ بصيرته في الجهاد أمــرا عظيمــــا أقام من الصنــاعة ما لم يقم قبلـه ، وقســـــم الامــــوال في الثغور والسواحـــل

---

* ـ حسن ابراهيم حسن ، علي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1962 ص186 .

(103) ـ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج4/ ص165 وما بعدها .

(104) قدامة بن جعفر ، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ملحق المسالك والممالك) لابن خرداذبة ، ص253 .

(105) ـ منبـــج : مدينـــة عامـــرة على بعد 10 فراســخ من حـــلب ، ومنها الـى ملطيـــة أربعـــة أيـــام كانـــت عاصمـــة للعواصـــم ، يــــاقوت الحموى معجم البلـــدان ، ج1/ ص193 .

وأشجى الرّوم وقمعهم) (106) .

وكانت سياسة هارون البحرية ترمي الى استعادة السّيادة الاسلامية في الحوض الشّرقي للبحر المتوسط (107) بل نجده أيضا ، اتبع سياسة حزم ودهاء في بلاد المغرب ، فابتعد عن الاعمال الجريئة في الاندلس (108) والمغرب (109) .

وأما أرمينية المضطربة الاحوال ، فقد ثارت على هارون الرشيد عام 183هـ/ 799 (110) حيث انتهك الخزر (111) حرمات المسلمين

---

(106) ـ البلاذري فتوح البلدان ، ج1/ ص193 .

(107) ـ تمكن هارون الرشيد بفضل قائد ، في البحر المتوسط من اقتحام قبرص عام 190هـ لاعادتها للسيادة الاسلامية من جديد ، أنظر: العبادي ، سالم البحرية في مصر والشام ص38 .

(108) ـ حاول في البداية أبوجعفر المنصور استعادة الاندلس عن طريق أحد الثوار العرب العلاء بن مغيث الجذامي الذي يسيطر على غرب الاندلس إلا أن محاولة هذا الثائر باءت بالفشل بفضل حنكة عبد الرحمن الداخل ، وفشلت المؤامرة الدّولية التي دارت بين شارلمان من ايكس لا شبيل والمهدي العباسي حول صقر قريش لذا أدرك هارون بسياسته البعيدة أن الاندلس لا يمكن استعادتها بل يمكن ايقاف أحلام صاحبها الاموي باقامة امارة خليفة بالمغرب ، لذا شجع قيام دولة الاغالبة في افريقية التونسية: أنظر: عبد العزيز فيلالي الدولة الاموية في الاندلس ودولة المغرب ، الطبعة الثانية الدار العربية للكتاب المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983 ص69 .

(109) ـ قتل أحد أعوانه ادريس الاول في مغامرة طريفة تعبر عن سياسة ميكيافيللية أنظر اسماعيل العربي دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة دار المغرب بيروت 1983 ص66 .

(110) ـ الطبري تاريخ الرسل والملوك ج8/ ص270 .

(111) ـ الخزر هم سكان باب الابواب من الترك زار بلادهم ابن فضلان حينما زار البلغار والرّوس في رحلة وسفارة من قبل الخليفة العباسي آنذاك ياقوت معجم البلدان ج2/ ص367 .

رتعدّوا على أهل الذمّة ، فوجّه اليها هارون أحد قواده ،، اسد الثغور والثلمة التي دخلوا منها فطردهم من البلاد وأصلح ما أفسد ،، وان بقيت أرمينية بعد ذلك مثار اضطراب دائم في منطقة الثغور الشرقية ، ومع ذلك يبقى عصر هارون الرشيد في الامارة والخلافة ، من المعالم الواضحة في الجهاد الاسلامي رغم تشويه شخصيته من طرف الروايات الشيعية (112) والمسيحية (113) .

أما المأمون (114) فقد واصل أعمال والده الثغرية بقوة وفتح الحصون والقلاع وأمن المرابطين ، ومات دون تحقيق آماله الفكرية والحربية (115) ، ثم شهد عصر المعتصم (116) تحولات أخرى فبعد مرحلة أولى للفتوحات الاسلامية ، دخلت الدولة

---

(112) ـ جاءت هذه الدعايات في روايات ألف ليلة وليلة وكتابات ابن طباطبا و الاصفهاني .

(113) ـ يعتبر جرجي زيدان وكتب الغرب منطلق التشويه الى وقتنا الحالي وعن هذه القضية الحساسة أنظر : شوقي أبو خليل ، هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا ، الطبعة الثالثة دار الفكر دمشق 1981 ص123 وما بعدها .

(114) ـ تولى الخلافة من 198 الى 218 هـ أنظر : المسعودي ، التنبيه و الاشراف ص349 .

(115) ـ فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ج1/ 182 .

(116) ـ المعتصم صاحب عمّورية الشهيرة مثل آخر مرحلة من مراحل الفتح الاسلامي أنظر : المسعودي ، التنبيه و الاشراف ص352 .

العباسيين تعيش مرحلة الوهن رغم ما عرف عن الواثق (117) و المتوكل (118) من نشاط الغزاة و المرابطين في بلاد الروم فالمتوكل قد أمر(بترتيب المراكب في جميع السواحل وأن تشحن بالمقاتلة و ذلك سنة سبع و أربعين و مائتين (119) غير أن الانقلاب الذي عرفته الاعمال الثغرية و حركة المرابطة بدخول العهد التركي (120) هو تغير الاعمال الثغرية حيث أن القلاقل و الفتن التي صاحبت عددهم الذي لا يرجى منه خيرا للثغور أو الجهاد ضد الروم ومع ذلك لم يحدث تغيير كبير بوجه عام في الحدود بين المسلمين و البيزنطيين و يلاحظ في هذا الشأن (أن الرباط اختلف عن أصله، فيما بعد عندما غلب الاتراك على الجيش، وعلى ثغور المشرق الاسيوي البعيد ، أما الثغور التي احتفظت بالعنصر العربي فانها ظلت محافظة على نفس التقاليد الاولى ... و وجه الاختلاف أن الصفة الحربية كانت أغلب على أجناس الترك على حين أن الصفة التعبدية كانت أغلب على الاجناس العربية و المستعربة من أهل المغرب) (121) ، و بذلك اختار العرب منطقة الثغور ، يشدون التقوى ، و الجهاد

---

(117) ــ تابع خلفاء الدولة العباسية .

(118) ــ دامت خلافته 15 سنة ، القلقشندي ، معالم الانافة ، ج1/ ص224.

(119) ــ البلاذري ، فتوح البلدان ج1/ ص193.

(120) ــ برتولد شبور ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ترجمة أسعد عيسى ص7.

(121) ــ عبد الهادي شعيرة ، المرابطون ، ص154.

فظهر بينهم جيل أحبّ الحروب وتغنّى بالشجاعة والفروسية وأما العاصمة بغداد ، فقد كانت مسرحا للصراع السياسي (122)(والظاهرة الرئيسية في في العلاقات الاسلامية هي رجحان كفّة البيزنطيين باضطرار في ميدان العمليات الحربية وتأرجح كفّة المسلمين) (123) هذا في عهدة الاسرة المقدونية التي مثّلت عمليا الصراع الديني بينها وبين المسلمين ،(بينما تفاقم النفوذ التركي في الدولة العباسية ، وتفاقمت الثورات الكبيرة ، مثل ثورتي الزّنج (124) و والقرامطة) (125) (126) وبدأ عهد الدّويلات المتغلّبة ، التي واجهتهم

---

(122) ـ فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية جـ1/ ص314 .

(123) ـ نفــــــسه ، ص229 .

(124) ـ ثورة الزّنج : قامت بزعامة علي بن محمد ضد دولة الاتراك (في العهد العباسي) التي قضت على الخليفة العباسي العادل المستنصر ، وكانت بدايتها عام 255هـ ، في البحرين وقد اختلف المؤرخون في عقيدة صاحب الثورة ، وان دعت الى العدل وهذا ما أدى الى التفاف الفقراء والزنوج حولها ، انتهى أمرها عام 270هـ في عهد المعتمد (ت 892م) أنظر : الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ9 ص410 ، محمد عمارة ، ثورة الزّنج ، دار الوحدة بيروت دون طبعة ص46 .

(125) ـ ماكادت ثورة الزنج تضع أوزارها حتى قامت حركة جديدة لها نفس الاتجاه العلوى والمضامين الاجتماعية الداعية للعدالة والقضاء على الخلافة العباسية عن هذه الثورة التي بقيت الى غاية الزحف المغولي في آلموت راجع : دي خويه القرامطة ، ترجمة حسني زينه ، الطبعة الثانية دار ابن خلدون بيروت 1980 ص161 .

(126) ـ فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية جـ1/ ص9 22 .

بيزنطة واحدا واحدا ، وأصبح باسيل الاول مؤسس الاسرة المقدونية سيـــد الثغور الجبالية في طوروس ، بل اعترف بدولة أرمينية المستّقلة تحت أســـرة بغراتيـــد ([illegible]) وهذا في عام 261هـ/ 885م (127) .

وبظهور الحمدانيين (128) نشطت الاعمال الثغرية وتجدد غزو بلاد الرّوم وأرمينية (129) وغم اهتمام الدولة الحمدانية بقضايا داخلية هامشيـــة وبعدهـــا عن أمجاد المسلمين في بلاد الشـــام وآسيـــا الصغـــرى

---

(127) ـ فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، 1 / 229

(128) ـ امارة أسسّها حمدان بن حمدون التّغلبي في بلدة ماردين ، مـــن أعمال الموصل في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ،كان حارسا للثغور له مواقف جليلة مع القرامطة والخوارج وتظهر حقيقتها كولاية مستقلة منذ تولـــى أبي الهيجاء ، ولاية الموصل من قبل الخليفة المكتفي عام 293هـ ،عن هذه الدولة التى رفع ذكرها شعر المتنبي راجع : مصطفى الشّكعة ، سيف الدولة الحمدانـــي أو مملكة السّيف ودولة القلم ،عالم الكتب المتنبي بيروت القاهرة 1977ص29وما بعدها .
فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ،جـ2/ ص230 .
Canard, Les Hamdanides et l'Hamdanide, [illegible] de l'Institut d'Études, Tome VII, année 1951 [illegible]
Alger P 94

(129) ـ كان العهد الذهبي لأرمينية من حيث الاعمال الثغرية في عهد المتوكل (852ـ855م) وهذا باقطاع القطائع وبناء الرّبط والقلاع ويعترف (لورنت) بأن التنظيمات العسكرية للمسلمين في هذه المنطقة كانت ممتازة ومحكمة منـــذ عهد هارون الرشيد راجع :
J. Laurent, L'Arménie entre Byzance et l'Islam depuis la conquête arabe jusqu'en 886 PARIS 1919 P 243

فان حركة المرابطة و الاعمال الثغرية عرفت نشاطات معتبرة ، و أما الدولة الطولونية (130) و الاخشيدية (131) من بعدها ، فان ظروف الصراع تغيّرت لصالح قوى جديدة مما لم تسمح لهما الفرصة للدفاع عن ثغور المسلمين فالدولة الطولونية حاولت الدّفاع عن الثغور الشامية الّا أن باسيل الاول تمكن من الاستلاء على جميع المعابر التى تنفذ منها الجيوش الاسلامية الى آسيا الصغرى ، وعرف الصراع البيزنطي الاسلامي ذروته فى بلاد الشام بدخول الفاطميين الى ميدان الصراع : (فجاهدوا = الفاطميون = رستعاد أراضي المسلمين الضائعة . . . وتعتبر الدولة الفاطمية صاحبة الفضل فى منع التّقدم البيزنطي الى البلاد الاسلامية فى القرن العاشر الميلادى فى وقت لم يكم فى استطاعة العباسيين القيام بهذا الواجب) (132) .

وكان من الحتمي أن تشهد بلاد الشام (مجابهة عسكرية عنيفة

---

(130) ــ أسس هذه الدولة بمصر أحمد بن طولون ، و طولون هذا مملوك تركي تركي أهداه نوح بن سامان عامل بخارى للمأمون العباسي عام 200هـ . وحكم أولاده أحمد و غيره مصر و الشام الى غاية 293هـ . وأهم مآثرهم: جامع ابن طولون ، وقناطر السّقاية ، أنظر أحمد فاعور و الناطور ، تاريخ الدولة العربية حتى نهاية الغزو المغولي مطبعة الخالدى عّمان 1982 ص194 .

(131) ــ أسسها أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد وحكمت مصر ما بين 323ــ358/ 935 ــ 965 .

(132) ــ ابراهيم بيضون ، السلاح البحرى ، الادارة العملية لمفهوم الجهاد عند الفاطميين (مجلة الباحث) السنة الثانية عدد 02 بيروت سبتمبر أكتوبر 1979 ص143 .

بين دولتين تتحكم فيهما خلفيات تكاد تكون متشابهة من وجهة النظر الخاصة في كل منهما فالبيزنطيون تحت حكم الاسرة المقدونية كانوا يطمحون الى تحقيق سيطرتهم على بلاد الشام ومصر ولاسيما بيت المقدس . . . وأما الفاطميون فكان قتال البيزنطيين بالنّسبة اليهم واجبا دينيا يفرضه الالتزام بالجهاد الرّكن البارز في عقيدتهم الاسلامية الشيعية (133) وأما السلاح البحري ، فقد كان الادارة الفعالة لجهاد الفاطميين اذ لم يكن من المبالغ فيه حينئذ أن يقال : أن البحر المتوسط بحيرة فاطمية (134) ومع اطلالة القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، ظهرت في الافق الاسلامي قوّة السلاجقة (135)

---

(133) ــ ابراهيم بيضون ، السلاح البحري ص143 .

(134) نفسه ص 143 .

(135) ــ ظهرت هذه الدّولة في القرن الخامس الهجري، واعتبرها المؤرخون فاتحة خير رنها فترة تاريخية تمثل أحد الرّموز الخاصة بالبعث الاسلامي ، كانت لهم حروب مشهورة مع الحسن بن الصّباح زعيم الاسماعيلية والفداوية في ايران ، ومع الصليبيين في الشام ، راجع : مصطفى غالب ، الثائر الحميري ، الحسن بن الصّباح الطبعة الثانية دار الاندلس بيروت 1979 ، صص15ــ 29 .
ــ كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدّين القاسم ، الطبعة الثانية ، دار الحقيقة بيروت 1977 ص235 برتولد شبولر ، العالم الاسلامي في العصر المغولي ، ص13 .

التى أعتبرت ظاهرة بعث اسلامي في المشرق الاسلامي وقد أعطت بعدا جديدا للجهاد وأما في الأفق الاوروبي ، فقد ظهرت قوّة النورماند (136) (وكلا الفريقين هدّدا الدولتين الاسلامية والبيزنطية وغدا عالم العصور الوسطى مقبلا على عهد جديد ، قرامه السلاجقة في الدّولة الاسلامية ، والنورماند في الغرب المسيحي فودّع المسرح العالمي الوسيط نجمين وشاهد بروغ آخرين، وصطدما في ذلك الصراع المعروف بالحروب الصليبية بين الشّرق والغرب ، وأصبحت علاقة الغرب بالعالم الاسلامي ، تمثل نقطة تحول جديد في ميزان العلاقات الدّولية في العصور الوسطى ومن خلال ما سبق .. يمكن أن نستخلص أن الرّبط والاعمال الثغرية قبل المواجهة بين العالمين الاسلامي والمسيحي في الحروب الصليبية في المشرق قد نشأت وجاءت استجابة لرغبة المسلمين في الدّفاع عن حدودهم البّرية والبحرية في مناطق الاحتكاك بينهم وبين بيزنطة.

هذه الرّبط تشكل حجابا أو ساترا حديديّا يقف في وجه الأساطيل البيزنطية

---

(136) ـ ظهرت هذه الدولة في جنوب ايطاليا وصقّلية في مطلع القرن الخامس الهجري تمكنت من غزوة صليبية واحتلت بعض سواحل افريقية التونسية أنظر : الشّيال التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوروبي في عصر النهضة دار الثقافة بيروت ص46 د . عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامي ، ترجمة أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب تونس ليبيا 1980 ص57 .

فى مرحلة ما قبل تأسيس البحرية الاسلامية فى عهد الخليفة الراشدى عثمان رضي الله عنه ببلاد الشـام ، و تمذن المسلمون من اقامة الحصون و القـلاع و الرّبط اللازمة للدفاع عن بلادهم ثم تطورت الرّبط البّرية و البحرية ، الـتى أن أصبحت تحمي الغزاة الذين يدخلون الى تخوم الروم أيام الشواتـــى و الصوائف ونظرا لقيمة الرّبط و المرابطة فان التراث الاسلامي غني بكثيــر من الاحاديث الصحيحة و الموضوعة فى فضائل بلاد الشام و سواحلها ، و مصـر و ثغرها البحرى الاسـكندرية (137) فكان المرابطون الاوائل من الصحابـة و التابعين قد أعدلوا للجهاد بعده الاسـلامي ، بحيث أن المتطوعة والمرابطين كانوا يشكلون أحد أركان الجيوش الاسلامية النظامية فأدوا رسالتهم الدفاعيـة و الثقافيـة بشكل واضح فى الشام و بلاد ما وراء النّهر وغيرها من تخـوم الاسلام .

وفى عهد عمر بن الخطاب ، بدأت حركة المرابطة مبكرا فى سواحل الشـام و تطورت الاعمال الثغرية فى الدولة الاموية التى لم تعرف بعد الجند النظامـي

---

(137) ـ يفضل ابن تيمية ، انطلاقا من الحديث الشريف الحرس فى السواحـل برسم الرّباط و الجهاد أفضل من سكني مكّة و البيت المقدس ، و المدينة المنورة على نية العبادة و الانقطاع الى الله تعالى . أنظر : تقي الدين ابن تيميـة الفتاوى الكبرى المجلد الرّابع ، دار المعرفة للطباعة و النشر بيروت 1978 ص330 .

وأهم ما يلاحظ في عهد هشام بن الملك أنّه (ابتدع تنظيما عسكريـــا جديدا لتأمين الثغور الشرقية هو (الرّابطة) وهي وحدة خيالة متحرّكة ميزتها الانتقال بسرعة من منطقة الى أخرى فانتشرت في كل مكان مـــن خراسان وبخارى وسمرقند وشاش وغيرها) (138) وبتوسع الدولة العباسيـة وتجدد الصراع الاسلامي البيزنطي ،عرفت حركة المرابطة والاعمال الثغرية ثمّة ازدهارها خاصة في العصر العباسي الاول وعرف العالم الاسلامي والشرق بالخصوص ظاهرة انتشار الحصون والقلاع والرّبط بشكل أثار اعجاب الجغرافي ابن حوقل النّصيبي (139) خاصة في بلاد ما وراء النّهر (140) فيقـول : (وبلغني أن ما وراء النّهر زيادة على عشرة ألاف رباط) (141) ومـــدح أخلاق أهلها وطاعتهم للولاة وحسن اسلامهم وفضلهم في الجهاد عظيـــم

---

(138) ــ الدكتور فاروق عمر ، النظم الاسلامية ، مقدمة تاريخية ، الطبعة الاولى العين الشّارقة الامارات العربية 1983 ص163.

(139) ــ ابن حوقل : هو أبو القاسم النّصيبي من رجال القرن الرّابع الهجري عاصره الاصطخري صاحب المسالك والممالك وأهم كتبه صورة الارض قـدّمـــه لسيف الدّولة الحمداني بعد اتمامه اياه عام 356هـ/ 967م أنظر : كراتشكوفكي تاريخ الادب الجغرافي العربي ج1/ 201ص، شوقي ضيف ، الرحلات ، الطبعة الثالثة دار المعـــارف مصـــر 1979 ص19 ، نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ص39.

(140) ــ ما وراء النهر / هي البلاد التي تقع في آسيا الوسطى وراء نهر جيحون وهي تضم خوارزم وبخارى ، وسمرقند وفرغانة وغيرها من الأقاليم والمدن.

(141) ــ ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، ص 386

لقرب بلادهم من بلاد الثغور وأرضهم دار حرب .

أما في مصر الفاطمية فان ابن زولاق (142) (قد حفظ لنا نصّـا غاية في الاهمية سجّل فيه ما كان بمصر من الثغور والرّباطات التي تؤدي مهمة المراقبة والحراسة للحدود البحرية والبّرية) (143) فتحت عنوان (ذكر ما بمصر من الرّباطات والثغور ذكر رباط البرس ورباط رشيد ورباط الاسكندرية ورباط ذات الحمام ورباط الفرما ورباط العريش ورباط بئـر أبي اسحاق وما يضاف لهذه الثّغور ورباط الحرس من جهة الحبش والبّجـة وما يقرب منهم ورباط أسوان على النّوبة ورباط الواحات على البربر والسودان وتشكل الرّبط من برقة غربا الى أذنه شرقا كمّاشة تحمي المشرق الاسلامي من أي اغارات مرتقبة وبالاضافة الى وجوده كمؤسسة ، فقد أدّى وظيفته الدّفاعيـة والدينية والعمرانية والاجتماعية .

من الجانب العسكري وقف الرّباط كقلعة شامخة أمام الاساطيل البيزنطيـة وشكّل الثكنة العسكرية والقلعة الحضارية ، ففيه يتكون المجاهد والمحتسـب حامل رسالة الاسلام ، وجانبه الدّيني أدّاه في جوانب كثيـرة فهنـاك

---

(142) ـ ابن زولاق : هو محمد أبو الحسن على قول بعضهم الحسن بـن ابراهيم بن الحسن اللّيثي من مواليد الفسطاط عام 306هـ/ 918م توفي عـام 387هـ/ 997م أنظر كراتشكوفسكي تاريخ الادب الجغرافي العربي جـ1/ ص169 .

(143) ـ ابراهيم شبوح ، حول منارة بالمنستير وأصولها المعمارية ص11 .

من يقوم بتعليم الناس ، و آخر ينشـــر الاســـلام ، و التّصور العقـــائدى الصحيح أما الجانب العمراني ، فهو يبرز لنا صورتين ، صورة تطور العمـــارة العسكرية و الهند ســـة الاسلامية وصورة ثانية يبرز دوره كنقطـــة مركزيـــــة تحلقت حولها الخطط و القلاع ، فأصبح الرّباط نواة المدنية الاســـلاميـــــة فى كثيـــر من الاحيان .

أما من الناحية الاجتماعيـــة فمدينة الرّباط و المرابطة أبرزت صورة مّميـــــزة للمجتمع الاسلامي ، بمختلـــف أجناسه ، وطبقاته ، فهذه مدينـــة طرســــــوس صورة مصغّرة للمجتمع الاســـلامي (فهي من أجلّ مدن الثغور وأكثرها أهـــلا وأقصدها أسواقا ، أقبل الناس من المجاهدين و المتطوعة اليها من مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، اذ ليس هناك مدينة كبيرة من مدن الاســـلام معروفة مـــن حدّ سجستان وكرمان وفارس وخوزستان والرّى وأصبهان وجميع الجبال و طبرستان و الجزيرة الفراتية و أذربيجان و العراق و الحجاز و اليمن و الشـــــام ومصر و المغرب الّا و بطرسوس لأهل هذه البلاد ، دار و رباط ينزله غـــــزاة تلك البلدة و يرابطون بها اذا وردوها اذ كانت الجماعات التى تفد عــــــلى طرسوس لتكريس حياتها للجهاد و الغزو أولا ثم لنمط حياتها العاديـــــــة ثانيـــا ، وتمثل مختلف اجناس وطبقاتهم فى المجتمع الاسلامي) (144) .

---

(144) ـ مصطفى على الحياري ، حياة الناس فى دن الثغور ، ص87 .

هذه الربط والثغور بين النشأة والتطور الى بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، فما ذا عن أيام المجابهة بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي أيام الحروب الصليبية ؟

3- الربط والأعمال الثغرية في المشرق الاسلامي أيام المواجهة بين العالم الاسلامي والقوى الصليبية الى ق7هـ/ 13م .

(أيـــام الحروب الصليبية)

من الحقائق المسلم بها في تاريخ العصور الوسطى أن الانتصارات الكبرى والمكاسب الضخمة التي حققها الصليبيون في المشرق الاسلامي غداة وصولهم اليه أول مرّة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، لم يكن مردها قوة خارقة أو شجاعة نادرة أبداها الغزاة ، بقد رما كان مردها ضعف القوى الاسلامية في المنطقة ، ووقوعها مع بعضها البعض في منازعات وخلافات مكنت الأعداء عند ئذ من النفاذ الى صميم بلادهم والاستقرار بالشام نحوا من قرنيـــن من الزمان (145) .

---

(145) - سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى (شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية) جامعة الدول العربية دار الأحد بيروت 77 ص165 .

وقد حل الخراب في بعض البلاد الاسلامية نتيجة لتكالب العمّال والولاة على جمع المال من الرعية وعدم انفاقه في شؤون البلاد ، أضافة غياب السلطان العادل (146) وكثرة الحروب والخلاف بين السّنة والشيعة وهو الخلاف الذي خلق صداما فكريّا وأوجد صراعا روحيا وولد بعثرة وفرقة سياسية بين المسلمين بعضهم بعض، واذا كان الخلاف قد ظهر في صورة واضحة داخل الدولة العباسية السّنّية في العراق ، وداخل الدولة الفاطمية الشيعية في مصر فانه كان لابد أن يظهر بالشام صورة صدام عنيف بين الخلافتين العباسية والفاطمية (147) وجاء هذا الانقسام على حساب وحدة الجبهة الاسلامية وعلى تماسك بناء المسلمين في المشرق الاسلامي ، الامر الذي سهّل مهمة الصليبيين في الشام الذين تحركهم الاطماع الماديّة في المشرق وتوجههم الروح الدينية الصليبية التي تبثها الحركة الكولونية * ، التي لعبت دورا أساسيّا في فرنسا في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي وأعادت للكنيسة هيبتها ، وساعدتها

---

(146) ـ احسان العمد ، الوضع السياسي في العالم العربي الاسلامي أيام الحروب الصليبية (مجلة الجيل) المجلد 6 العدد 4 . قبرص أفريل 1985/ ص48 .

(147) ـ عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ص166 .

* ـ أنشأ كونت اكيتانيا عام 910م ديرا كولونيا ، وبانتهاء القرن العاشر أضحى ديركلوني الذي تولى أمر طائفة من الرؤساء المشهورين مركزا لنواة ضخمة بالغة التنظيم شديدة التعلق ووثيقة الاتصال بالبابوية واعتبر الكولونيون أنفسهم حفظة للضمير في العالم المسيحي الغربي وهم الذين نشروا مبادئ محاربة المسلمين الذين يسيطرون على القدس.

على نجاح محمّدها الافكار السّائدة فى أوروبا التّي تفيد بقرب نهاية الدنيا فأخذ المسيحيون ، يبحثون عن الطّرق التى تكفّر عن خطاياهم ، فكان هذا الجو مساعدا لبطرس النّاسك (148) من أجل نشر دعوته فى أوروبا وبدأت المواجهة الفعلية بين القوى الاسلامية المتفرّقة ، والقوى الصليبية المجتمعة فى بلاد الشام .

والحملات الصليبية حلقة من حلقات الصدام بين الاسلام والمسيحية ومهما تجرّد الانسان الاوروبي من عواطفه ، تبقى هذه الحروب الصليبية جزءا من تاريخه وأماجده فى عصر كان ينادى فيه الغرب المسيحي الى الوحدة الاوروبية الشعبية ، وفى هذه الحروب = ولاول مرّة = أجتمعت شعوب وملوك أوروبا على تحرّك واحد ، ورجال الحروب الصليبية هم رجال المؤرخ والانسان العادى الاوروبي ، وهم الابطال الذين نشأ الغرب على حبّهم واتخاذهم مثلا أعلى لذا لاعجب أن قام الباحثون فى الغرب بتجسيد رجال الصليبيين ، فأضفوا عليهم صورة من القدرة والشجاعة الخارقة (149) .

---

(148) ــ يعرف بالرّاهب الطّواف وهو من أشد الرّهبان الذين شجعوا على قيام الحرب الصليبية التى دعا الى قيامها الباب اربان الثاني (1088ــ1099) في مجمع كليرمونت عام (نوفمبر 1095) أنظر : ستفن رنسيمان ،تاريخ الحروب الصليبية ترجمة الباز العريني ، الجزء الاول الطبعة الثانية دار الثقافة العربية 1981/ ص179 .

(149) ــ سهيل زكار ، فى التاريخ العباسي والأندلسي (السياسي والحضارى)، المطبعة الجديدة دمشق 1981ــ1982 ، ص186 .

وأول ما أصابت عاصفة الصليبيين كانت دولة سلاجقة الرّوم (150) وهي أول دولة اصطدمت بالحملة الصليبية الاولى من القوى الاسلامية وعلى اثر هذا نقل سلاجقة الرّوم العاصمة من نيقية الى قونية على اثر سقوطها في أيدي الصليبيين سنة 491هـ/ 1097م وكان حكام هذه الدولة في نزاع مستمر مع غيرهم من سلاطين المسلمين .

وأما الشام فقد كانت بوابته مدينة انطاكية في خطة الفرنجة ، فسقطت المدينة بعد أشهر من سقوط عاصمة سلاجقة الروم (151) .

وبعد ما احتلّ الصليبيون انطاكية بعد حصار طويل دام تسعة أشهر* أخذوا يعدّون أنفسهم لمتابعة الزّحف جنوبا ، وكان قبل أن تسقط أنطاكيا وحتى قبل أن يصل الفرنجة اليها كان ان انفصلت مجموعة منهم بقيادة أحد زعمائهم واسمه بلدوين وتوجّهت هذه الفئة من مرعش الى الشّرق ، فتمكنت من الاستلاء على بعض الثغور الشامية والبيزنطية ثم وصلت أخيرا الى الرّها فاحتلتها واتخذتها قاعدة أولى الامارات الصليبية الاربع في الشّرق .

---

(158) ـ أسسها سليمان بن قطلمس بن أرسلان في آسيا الصغرى سنة 470هـ 1077 أنظر: فؤاد عبد المعطي الصّياد ، المغول في التاريخ ، الجزء الاول ، دار النهضة العربية بيروت 1980 / ص89 .

(159) ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ جـ8/ ص185 (حوادث 491هـ) .

* ـ مجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة وتعليق: حسن حبشي ، دار الفكر العربي القاهرة 1958 ص64 .

وقف الفاطميون فى مصر من احتلال الصليبيين لانطاكية موقفا سلبيا بسبب كونها تابعة للعباسيين **، واعتقد الافضل بن بدر الجمّالي وزير الخليفة الفاطمي المستعلي بالله أن أطماع الصليبيين قد تقف عند هذا الحد ، لذلك أرسل سفارته الى الصليبيين يعرض عليهم التفاوض وعقد اتفاق معهم يتضمن انفراد الصليبيين بحكم انطاكيا بينما تستقل الدولة الفاطمية بمصر وبيت المقدس على أن يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدّسة بفلسطين ، وتكون لهم الحرية الكاملة فى أداء شعائرهم الدينية ، على أن لاتزيد مدة اقامتهم بها عن

** — تظهر شخصية الدولة الفاطمية أيام الحروب الصليبية فى صورة باهتة لم يعهدها الدارسون أيام صراعها مع بيزنطة فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ويرجع الدكتورعبد الفاتح عاشورأسباب هذا الفتورالى عوامل أربعة هي :

1— انشغال حكام مصرالفاطمية بسوء الأوضاع الداخلية على اثر الصراع الدائر بين الخلفاء والوز .

2— تحكم روح العداء بين الفاطمين فى مصر والسلاجقة بالشام خاصة حكام دمشق وهو العداء الذى جعل الفاطميين ينظرون دائما الى سلاجقة الشام نظرة شك وريبة .

3— أن الخلفاء الفاطميين أنفسهم لم يتحمسوا فى الدور الاول للحروب الصليبية لفكرة جهادهم ، بل على العكس ربما رأى بعض أولئك الخلفاء فى الصليبيين درعا يحميهم من خطر السلاجقة .

4— لم يقدر الخلفاء الفاطميون خطورة الوجود الصليبي نظرا لسوء تفاهم بين الحكام وتفنية الجهاز السياسي والعسكري فى الدولة أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية (بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى) ص ص169—170 .

شعر واحد والا يدخلوها بسيوفهم ، فلقيت هذه السفارة ترحيبا كبيرا من جانب الصليبيين الذين أدركوا انحلال القوى الاسلامية في المشرق (152) .

(والواقع أن الخلافة الفاطمية لم تدرك طبيعة الحركة الصليبية عند وصول الحملة الصليبية الاولى الى أطراف بلاد الشام سنة 1097م وربما كان عدم فهم طبيعة هذه الحركة هو الذى جعل الدولة الفاطمية تتخبط في سياستها تجاه الصليبيين في أول الامر) (153) وهذا بسبب عدم ادراكها حقيقة نواياهم ، وكان صاحب السلطة الفعلية عندئذ في مصر هو الوزير الافضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي الذى ظل يحكم البلاد طوال عهد الخليفة الفاطمي المستعلي (1094-1101) وبحكم الاتصال بين بدر الجمالي والصليبيين استولى الفاطميون على بيت المقدس في رمضان 491هـ/ 1098م (154) ، وبعد أن احتال الصليبيون على صاحب دمشق بعدم تدخله في شؤونهم ، سار الصليبيون عن طريق الساحل وقد أمنوا تدخل أمراء المسلمين الى بيت المقدس حيث تمكنوا من دخول المدينة بعد أشهر قليلة من استيلاء الافضل ابن بدر الجمالي عليها ، وكان لسقوطها ، وقتل سبعين ألفا من المسلمين

---

(152) - د. خاشع المعاضيدي ، العلاقات الفاطمية البيزنطية (360-491) المجلة التاريخية مطبعة المعارف العدد الثالث السنة 1974 بغداد ص124 .
(153) - عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، ص170 .

(154) - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ8/ 189 .

صداه القوى فى العالم الاسلامي (155) ،حينما عرف الافضل ، وان كان ذلك متأخرا ، طبيعة الحركة الصليبية ومدى الخطر الذى يهدد مصر والاسلام (156) (ومنذ ذلك الوقت حمل لواء الجهاد ضد الصليبيين مادّا يده الى أمراء السّلاجقة فى الشام متناسيا ما بينهم من أحقاد وخلاف) (157) فخرج الى عسقلان فى رمضان 492هـ/ 1099م وأرسل الحملات ، ولكن هذا لم يأت بنتيجة ،فقد مات ولم يبق بيد مصر من بلاد الشام الّا صور وعسقلان .

ورغم محاولات بعض الوزراء الفاطميين كابن السّلار السنّي المذهب الذى تحالف مع نور الدين زنكي ومحاولته تقوية ثغر عسقلان بالجند والمتطوعة واحكام وسائل الدفاع ، فان الدولة الفاطمية قد أفل نجمها ، وظهرت فى الافق الاسلامي أسماء اسلامية تحملت أعباء الجهاد وتطوعت الامة معها لصد عدوان الغرب الصليبي هذه الاسماء هي عماد الدين وابنه نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي (158) .

فقد حدد عماد الدين زنكي فى الواقع البدايات الاولى الصحيحة للجهاد الاسلامي ضد الصليبيين سواء على صعيد الاصلاحات الدّاخلية أوفى مجال

---

(155) ـ محمد حمدى المناوى ،الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمي دار المعارف ص227 .
(156) ـ نفسه 227 .
(157) ـ نفسه 227 .
(158) ـ جوزيف نسيم يوسف ،العرب والرّوم واللّاتين فى الحرب الصليبية الاول الطبعة ،الثالثة دار النهضة العربية بيروت 1981م ص276 .

الاعداد للحرب وكان من نتائج أعمال ظهور عائلة = بني أيوب = فيما بعد وكان بنو أيوب حكاما لتكريت (526ـ541هـ/ 1131ـ1146م) (159) وخلال حكم العائلة بالعراق تكن رجالها من تنظيم المقاومة الاسلامية ضد الامارات الصليبيــة وكان لاستيلاء عماد الدين زنكي على حلب فى شهر محرم سنة 522هـ 1127م وضمها الى الموصل حسنة جليلة للمتطوعة فخاضت عساكر الموصـل وحلب معارك مشرقة ضد الغزو الصليبي الذى تعرضت له المنطقة الشماليــة لبلاد الشام (سوريا) (160) (وانطلاقا من وحدة الاهداف والمصير المشترك خاضت الموصل وحلب سلسلة من المعارك البطولية على أرض الشام ضد القلاع الصليبية هناك وتجسّدت وحدة القوى المقاتلة من أجل تحرير الوطن مــن آثار الغزو الاجنبي) (161) وأظهرت حلب كمدينة ثغريــة برّية دور المتطوعة من أهل الشام ، وهذا لما أبرز عماد الدّين البعد الاسلامي لجهاد الصليبيين. (وجرت العادة على تقسيم الحروب الصليبية الى سبعة أقســام أو أكثر وذلك حسب عدد الحملات العظمى التي جاءت من الغرب ومرّة أخرى فى هـــذا مغالطة . ذلك أن الصليبيين لم يتوقف تدفقهم على الشّـــام برّا و بحــرا وانما كان هذا التدّفق متفاوت الحجوم ولهذا فمن العبث الحديث عن حملات

---

(159) ـ بسام العسلي ، صلاح الدين الايوبي ، الطبعة الثالثة دار النفائس بيروت 1981 ص43 .

(160) ـ رشيد الجميلي ، كفاح الموصل وحلب ضد الصليبيين فى عصر نور الدين محمود المجلة التاريخية العدد السابق ذكره ، ص 8 1 .

(161) ـ نفســه ، ص128 .

ذلك أنه كان هناك خطة واحدة بدأت قبل سنة 1098م وانتهت بتصفية آخر معاقل الفرنجة والشام) (162) .

ويتصور الباحث المسلم الحروب الصليبية على هذه الصورة ويمكن أن نقسمها الى مراحل أربع ،ارتبطت كل مرحلة من هذه المراحل باسم مدينة من مدن العرب المسلمين ، وتأثرت أبعد التأثير وأعمقه بدجات الاستفادة والوحدة التى حلت بين صفوف المسلمين فى المشرق وهذه المراحل التى حدّدت الاعمال الثغرية والجهاد فى سبيل الله هي مرحلة الموصل ، ثم مرحلة حلب ،ثم مرحلة دمشق وأخيرا مرحلة القاهرة (163) .

ومثل الشّهيد عماد الدين مرحلة المقاومة الاسلامية ،وهذا باعتماده على المتطوعة والمرابطين والجيش النّظامي لتحرير الاقاليم من الغزاة الصليبيين ومن ثم التّف حوله الشعب المسلم فى الموصل وبلاد الجزيرة والشام ، وبهذا استطاع تخليص الرّها (164) من أيدى الصليبيين (165) (غير أن سقوط

---

(162) ـ زكار ،فى التاريخ العباسي والاندلسي ،ص192 .

(163) ـ نفســــــــه ص 192 .

(164) ـ شارك عماد الدّين فى فك الحصار الذى ضربه الرّوم والفرنجة على قلعة شيزرعام (532هـ/ 1137م) قبل فتح الرّها عام (539هـ/ 1144) وفتح هذه المدينة العتيدة مقدمة بعيدة الاثر فى استراتيجية القضاء على بقية الامارات الصليبية الاخرى : أنظر: ابن الاثير الباهر فى الدولة الاتابكية بالموصل تحقيق عبد القادر طليمات،دار الكتب الحديثة القاهرة مكتبة المثنى بغداد (دون تاريخ) ص66 أسامة بن منقذ كتاب الاعتبار،حرره فيليب حتّى مطبعة جامعة برنستون بالولايات المتحدة ، الدار المتحدة للنشر1930 ص2 .

(165) ـ أبو شامة،كتاب الرّوضتين فى أخبار الدولتين النّورية والصلاحية تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ،مراجعة محمد مصطفى زيادة الجزء 1 القسم 2 المؤسسة المصرية العامة 1962م .

الرّها قد أثار في أوروبة ، موجة من الغضب مشوب بفزع و هلع ، مما أهاب ببعض رجالاتهم الى القيام بدعوة الى : صليبية جديدة)(166) و وحّد عماد الدين زنكي أجزاءا كثيرة من الجزيرة الفراتية و الشام في ظل دولة واحدة يتولى قيادتها و الدّفاع عن ثغورها ، تدين بالولاء الاسمي للخلافة العباسية (167) ، يلقبها ابن الاثير الجزري (168) بدولة الاتابكة نسبة الى لقب أتابك .

وكان فتح الرّها عام 539هـ/ 1144م ضربة قاسمة لظهر الفرنجة لأنّها من أشرف المدن عند النّصارى (169) ومن نتائج الاعمال الثغرية ، ومن خلال همّة المتطوعة و المرابطين فتح حصن الاثارب وطرد الفرنجة منه ، وفك الخطر الجاثم على مدينة حلب ، و الأثارب قلعة معروفة بين حلب وانطاكية ، بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ (170) و هي من الاعمال المتقدمة لاعادة الاعتبار

---

(166) ـ زكي النقّاش ، العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الافرنج خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب اللبناني 1957ص40 .

(167) ـ ابن الاثير ، الباهر في الدولة الاتابكية ص5 (مقدمة المحقق) .

(168) ـ عاصر هذه الدولة وأيام صلاح الدين الايوبي توفي عام 630هـ/ أهم كتبه في هذا العصر ، الكامل في التاريخ و الباهر في الدولة الاتابكية أنظر: ابن الاثير الباهر (مقدمة المحقق) ص7 وما بعدها ، نظير حسان سعداوي ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الايوبي مكتبة النهضة المصرية 1962 وص6 وما بعدها .

(169) ـ ابن الاثير الباهر في الدولة الاتابكية ص167 .

(170) ـ نفسه ص39 .

للاعمال الثغرية فى آسيـــا الصغـــرى .

وكان عماد الدين زنكي أول من تلقب من المسلمين بالشّهيد (171) واذا خاطبه النّاس ، قالوا : عماد الدّين ، السلطان الاعظم ، العادل ، العالم المؤيد المجاهد المرابط الثاغر (172) وكان لمصرعه أثر مفجع على نفوس المسلمين ورغم كثرة الشـــهداء فى التاريخ الاسلامي ، فان عماد الدّين هو الوحيـــد الذى عرف بهذا الاسم ، ولما قتل عام 541هـ/ م قال عنه أحد أعدائــــه من النصارى : (ان أمة ، قتلت عميدها يوم عيدها فى بيت معبودها الحـــق على اللـــه أن يبيدها) (173) .

وبعد موت عماد الدين ، استلم أبنه نور الدّين محمود زمام القيادة الذى تميّز عن أبيه بتقواه وزهده وسلامة نيته فقد كان يعتقد بأن الله قد أوكل اليـــه مهمّة اقتلاع الفرنجة من ديار المسلمين وتوحيدها وأهلها تحت راية واحدة ولهدف واحد (174) وقد مدحه ابن الاثير فقال عنه : (قد طالعت تواريـــخ الملوك المتقدمين من قبل الاســلام وبعده الى يومنا هذا فلم أر فيها بعـــد الخلفاء والرّاشدين وعمـــر بن عبـد العزيز ، ملكا أحسن سيـرة من الملك

---

(171) ـ زكّار ، فى التاريخ العباسي والاندلسي ص199 .
(172) ـ وصفه ابن العديم فقال : (كان زنكي ملكا عظيما شجاعا جبّارا كثير العظمة والتجبر وهو مع ذلك يراعي أحول الشّرع وينقاد اليه ويكرم أهل العلم) نفسه ص179 .
(173) ـ ابن الاثير ، الباهر فى الدولة الاتابكية ص19 .
(174) ـ سهيل زكّار ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، 200 .

العادل نور الدّين) (175) ومن أعماله اعادة أسوار حلب ، ودمشق، وحماه وحمص وشيزر وزوّد هذه المدن بالقلاع والحصون والمتطوعة (176) واعتبر نفسه وبلاده من أهم ثغور المسلمين فبنى فيها الرّبط والخوانق فى جميع البلاد للمرابطين والصوفية ، ووقف عليها وعلى البيمارستانات الاموال الوفيرة، وبنى أيضا الابراج على الطّرق وبين بلاد المسلمين والفرنجة ، جعل فيها من يحفظها ومعهم الطيور الهودى ، فاذا رأوا من العدد واحد أرسلوا الطّيور فأخذ الناس واحتاطوا لانفسهم فلم يبلغ العدو منهم غرضا وكان هذا وكان هذا من الطف الفكر وأكثرها نفعا) (177) .

وكانت فاتحة أعمال نور الدّين محمود استعادته مدينة الرّها من الصليبيين الذين استغلوا ، حادث اغتيال عماد الدين زنكي ، فاستولوا عليها ، فبعث نور الدين محمود روح الجهاد فى الامّة وزرع فيها روح الفداء والتضّحية ، فلبى المتطوعة والمرابطون النداء ، وكان والده قبل هذا قد فرض على شعب دولته نوعا من أنواع الجندية الالزامية ، حتى صار معظم جند قواته متطوعة من أبناء الشعب (176) وبذلك أكمل نور الدين خط والده ، وأسهم فى ايجاد جيلا

---

(175) ــ ابن الاثير ، الباهر فى الدولة الاتابكية ص 163 .

(176) ــ نفســـــه ص170 .

(177) ــ نفسه ص171 .

(178) ــ زكّاره فى التاريخ العباسي والاندلسي ص189 .

اسلامي جديد له روح جديدة ، تضحي في سبيل الله ، فمكنت هذه الروح ، نور الدين محمود من الذهاب الى دمشق عام 549هـ/ 1154م بناء على دعوة أهلها ، فوحـــد لاول مرّة ، منذ قرون شمال الشام مع جنوبه (179) .

وكان اسهام قوات الموصل في انقاذ دمشق وارغام الفرنجة على التراجع وبقاء هذه القوات مرابطة في حمص حتى تم انسحاب كافة قوات الصليبيين (180) قد أنهى المرحلة الاولى من مراحل التاريخ الاسلامي زمن الصليبيين وبتسلم نور الدين لمدينة دمشق قد أنهى مرحلة حلب وابتدأ المرحلة الثالثة وهي مرحلة دمشق (وبلا شك كانت هذه المرحلة أهم المراحل وأخطرها فبعدها وحد نورالدين بين شمال بلاد الشام وجنوبها اتخذ من مدينة دمشق مركزا لاعماله) (181) وساعدته بلاد الشام على قيام كثير من القلاع والحصون والربط .

وكان نور الدين يكاتب الزهاد العباد والمنقطعين عن الدنيا يذكرهم ما لقي المسلمون من الفرنجة ، وما نالهم من القتل والاسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم أن يحثوا المسلمين على الغزاة (182) .

---

(179) ـ زكار في التاريخ العباسي والاندلسي ، ص200 .

(180) ـ الجميلي ، كفاح الموصل وحلب ضد الصليبيين في عصر نور الدين محمود ص129 .

(181) ـ زكار ، في التاريخ العباسي والاندلسي ، ص ص201ـ202 .

(182) ـ أبو شامة ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية جـ1/ ق2/ ص340 .

وكانت هذه الروح الاسلامية العالية التي تميزت بها شخصية الملك العادل نور الدين محمود ، هي التي أعطت للاعمال الثغرية وجهاد الصليبيين صورة مميزة في هذا التاريخ ، الذي عرف يقظة اسلامية في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي (183) .

وبعد أن وحد نور الدين محمود الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، توجّهت أنظاره الى مصر الفاطمية ذات الاوضاع الدّاخلية السيئة (184) ، وفكر في بعث مشاعر الجهاد في شعب مصر ضد الصليبيين وسرعان ما تجاوب معه زهاد مصر وثغرها الاسكندرية ، واخفقت سياسة (أملريك (ملك بيت المقدس) (185) الذي بدأ يتدخل في شؤون مصر ، لهذا فوّت نور الدين محمود على الصليبيين الفرصة وهذا باحكام السّيطرة على مصر وثغورها منذ عام 562هـ/ 1167م (186) (كان صلاح الدّين قد وقع من العاضد (الخليفة الفاطمي) بموقع أصحابه وأعجبه عقله وسداد رأيه وشجاعة) (187) فأصبح صاحب الوزارة بعد موت ممثل نور الدين محمود في

---

(183) ـ جوزيف نسيم يوسف ، العرب والرّوم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى ص27 ، اسماعيل عبد العزيز الخالدي ، العالم الاسلامي والغزو المغولي مكتبة الفلاح الكويت 1984 ص58 .

(184) ـ جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها ومظاهر الحضارة في عهدها دار الفكر العربي القاهرة 1974 ، ص

(185) ـ هو أموري الاول الملقب بأملريك تولى الحكم بعد بودوين الثالث مدّة 1162 1174م .

(186) ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ جـ9/ ص94 وما بعدها .

(187) ـ أبو شامة ، كتاب الرّوضتين جـ1/ ق2/ ص439 .

القـــــاهرة (188) .

و نجح صلاح الدين فى القضاء على الحملة الصليبية التى دعا اليها أموريك ملك بيت المقدس الذى وصلت قواتهم فى أول صفر 565هـ/ 25اكتوبر 1169م (189) الى دمياط (فأرسل اليها صلاح الدّين العساكرفى النّيـل وحشرفيها كل من عنده وأمدّهم بالمال والسلاح والذّخائر) (190) وأثناء قيام الصليبيين بعده الحملة هاجم نورالدين محمود ثغورهم ومســالكهـــم فانهزموا ورجعوا خائبين (191) ولما عرف صلاح الدّين أهمية ثغر دميـاط والاسكندرية أرسل جنوده للمرابطة فى جميع هذه الثغور ، ووعد المتطوعـة والمرابطين فى الثغور المصرية بامدادهم بالعساكروالالات والميرة ، ومـن هنا بدأ الدورالرابع لتاريخ المسلمين أيام الحروب الصليبية وهذا بتحمــل صلاح الدّين والقاهرة رسالة تحرير بيت المقدس وتوحيد بلاد الشام والجزيرة بعد وفاة الملك العادل نورالدّين محمود فى شوال 569هـ/ 1173م (192) .

ومنذ أن عمل صلاح الدّين على اضعاف المذهب الاسماعيلي فى مصر وبدأ

---

(188) ـ أبو شامة كتاب الروضتين ، جـ1/ ق2/ 439 .

(189) ـ نفســـــــ ، ، 456 .

(190) ـ نفســـــــ ، ، ص456 .

(191) ـ نفســـــــ ، ، ص457 .

(192) ـ ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ جـ9/ ص124 .

نجم الدولة الفاطمية فى الافول (193) (وظلّت الخلافة العبّاسية قائمة على الرّغم مما أصابها من الضعف والانحلال ، ويرجع السبب فى ذلك الى رغبة المسلمين الاحتفاظ بها لاعتقادهم أنها نظام لابّد منه لصلاح العالم الاسلامي واسقامة شؤونه) (194) واذا اعتبرنا سقوط الدّولة الفاطمية ، وقيام الدولة الايوبية من أهم النتائج السياسية الكبرى التّى تمخضت عنها الحركة الصليبية فى المشرق ، فان هذه الحركة ذاتها دخلت دورا نشطا حافلا بالحوادث بقيام دولة بني أيوب فى حكم مصر والشام (195) .

وقد عرفت حركة المرابطة والاعمال الثغرية أيّامها الحاسمة فى المواجهة بين العالمين الاسلامي والمسيحي ، فقد كتب المرابطون مع صلاح الدّين بجهادهم صفحات رائعة فى تاريخ المسلمين ، وقد أقام صلاح الدّين الابراج ورتّب الغزاة والمرابطة فى الثغور الثّلية والبحرية (البحر المتوسط) وبذلك أصبحت مصر قاعدة قويّة تنطلق منها الاعمال الثغرية ، وكانت معركة حطّين (196) الشهيرة سنة 583هـ/ 1178م مرحلة جدّة فى تصفية الثغور الشامية والتطلع لثغور آسيا

---

(193) ـ ابن الاثير ، الباهر فى الدّولة الاتابكية ، ص156 .

(194) ـ سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر سياستها الدّخلية ، ص136 .

(195) ـ عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية (بحوث ودراسات) ص223 .

(196) ـ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج3/ 273 وما بعدها .

الصغـــرى (197) .

وباستيلاء صلاح الدّين على ثغور الشام واسقاط مملكة بيت المقدس أصبحت له دولة مترامية الاطراف وحقق الوحدة الاسلامية فى الشرق قبل تدهور الاسـرة الايوبية وسقوطها على أيدى المماليك الذين اكملوا المرحلة الرابعة من تاريـخ المسـلمين أيام الحروب الصليبية (198) .

وبعد حطين بات أمر وجود الصليبيين فى المشرق قضية زمن لا أكثـــر وهي الرسالة التى حمل شرفها مماليك مصر والشام (199) .

(وقد صادف ظهور المماليك على المسرح السياسي فى مصر بروز خطر كبيـر يتمثل فى زحف المغول بقيادة هولاكو على بلدان العالم الاسلامي الشرقية، حيث دخلوا بغداد فى محرم 656هـ/ 1258م وقتلوا الخليفة العباسي المستعصـــم بالله وأنهوا بذلك خلافة بني العبّاس فى الشرق) (200) وكان ظهور المغـول

---

(197) ـ عن تحرير ثغور الشام بالتفصيل أنظر: بسّام العسلي ، صلاح الدين الايوبي ، المرجع سابق ، 172 .

(198) ـ زكّار فى التاريخ العباسي والاندلسي ، ص205 .

(199) ـ عن ظهور قوة المماليك أنظر: طه ثلجي الطّراونية ، مملكة صفد في عهد المماليك ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت لبنان 1981 ص40 وما بعدها فايد حماد عاشور ، العلاقات السياسية والمغول فى الدولة المملوكية الاولى تقديم ومراجعة جوزيف نسيم ، دار المعارف بمصر 1976 ص19 .

(200) ـ طه ثلجي ، الطراونة ، مملكة صفد فى عهد المماليك ، ص 41 .

كقوة هدّامة أول ما قضت على الثّغور الخوارزمية (201) التى كانت تحمي الدولة العباسية وهي بداية لعاصفة شـــديدة حلّت بالعالم الاســلامي ، وكانت مدينة حلب البائسة أول مدينة شــامية واجهت الغزو المغولي باعتبارهــا مفتاح البــلاد الشامية 202) وكان قبل هذا قد استولى المغول على (ماردينــن) وميافارقين وحرّان والرّها ومنبج وكان كل هذا بمساعدة الفرنجة والارمــن والاعرب من هذا تحالف القوى المسيحية الكاثوليكية والصليبية مع المغول وهــو ما تشير اليه الكتابات الصينية المعاصرة للاحداث من خلال سجلات ورحلات السفراء الذين جاء من الفاتيكان وانجلترا وأوربا الى البلاط المغولي (203) .

وفي هذه الاثناء لم يبق فى العالم الاسلامي قوة تستطيع مواجهة المغــول الذين دمّروا المدن وطمسوا معالم الحضارة والمدنية (204) سوى مصــر المملوكة وبالفعل تصدى المماليك للخطر المغولى فى موقعة عين جالوت (26 رمضان 658هـ/ 1260م) وبدد المسلمون فى هذه المعركة التى تمثل المرحلة الرابعة من الصراع الاسلامي والصليبي المتحالف مع المغول خرافة الجيش المغولــي

---

(201) ـ عبد العزيز فهمي ، الدولة المغولية فى ايران ،هر3الخالدى العالم الاسلامي والغزو المغولي ، ص .

(202) ـ عبد العزيز فهمي ، الدولة المغولية فى ايران ، ص139 .

(203) ـ رينيه غروسيه ، جنكيزخان قاهر العالم ،نقله الى العربية خالد أسعد عيسى دار حسان للطباعة دمشق 1982، ص404 .

(204) ـ عبد العزيز فهمي ، تاريخ الدولة المغولية فى ايران ، ص123 .

القهار ، وعادت مصر والشام موحدة من جديد تحت قيادة واحدة هي السلطنة المملوكية (وبعد هزيمة المغول في عين جالوت اتّجه المماليك الى الخطر المزمن في بلاد الشام والمتمثل في الامارات الفرنجية التى رزالت متمكنة في سواحلها الى أن تمكنوا من تصفيتها) (205) .

وكان ازدهار الرّبط في العهد المملوكي لا مثيل له الاّ أنّها أصبحت ملجأ للصوفية والعّباد ، ويمكن أن نذكر من هذه الرّبط ، رباط علاء الدين البصير شمالي الطريق الموصلة الى بيت المقدس أنشأه الظّاهر بيبرس ، وقد وقفه على الفقراء القادمين الى بيت المقدس للزيارة ووقف عدّة قرى بأعمال الشام والقدس لصرف ريعها لمن يرد الى القدس من العباد والسّواح (206) وفي عهد السلطان المنصور قلاوون ، أنشأ السلطان نفسه الرّباط المنصوري بضواحي القدس في سنة 681هـ/ 1283م ووقفه على الفقراء القادمين الى بيت المقدس .

وواضح من هذا أن هذين الرّباطين كانا يؤديان مهمات اجتماعية تمثّلت في سدّ حاجات الفقراء الوافدين ، ومن الجدير أن الرّباطات التى نشئت في ظل ازدهار التّصوف الذى نال تشجيعا كبيرا في العصر المملوكي والعصر الايوبي قبله (207) .

---

(205) ـ طه ثلجي الطراونة ، مملكة صفد في عهد المماليك ص ص41ـ42 .
(206) ـ عبد الجليل حسن عبد المهادي ، الحركة الفكرية في ظل المسجد الاقصى في العصرين الايوبي والمملوكي ، 74 .
(207) ـ نفســــــــــــ ، ، ص75 .

والعهد المملوكي يمثل صورة أخرى للعلاقات الاسلامية مع الغرب المسيحي (208) وأرمينية الصغرى (209) واستارية رودس (210) أيام القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، الرابع والخامس عشر للميلاد .

وخلاصة القول أن حاجة المسلمين الدّفاعية فرضت وجود سلسلة من القلاع والحصون والرّبط وضعت في تاريخ المسلمين في المشرق بداية أخرى لمفهوم جديد للجهاد في الاسلام .

والرّبط والمرابطة في المشرق الاسلامي وتطور الاعمال الثّغرية في الشام وبلاد ما وراء النّهر ، عرفت تطورات مختلفة من الفتح الى نهاية الوجود المغولي

---

(208) ـ كان الصّراع بين المماليك من جهة والجمهوريات الايطالية حول زيادة تجارة حوض البحر الابيض المتوسط ، كما كانت لهم علاقات مع أوروبا المسيحية أنظر : ـ أحمد درّاج ، المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي دار الفكر العربي القاهرة 1961 ، ص 7 وما بعدها .

(209) ـ بدأ الاحتكاك الحربي بين المماليك وأرمينية منذ عهد الظاهر بيبرس أنظر : طبيعة هذا الصراع ، عبد السلام تدمرى ، تاريخ طرابلس السياسي ، والحضا عبر العصور (عصر دولة المماليك) الجزء الثاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1981 ص107 ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى (بحوث ودراسات) ص ص 225 ـ 278 .

(210) ـ ينظر عن هذا الصراع : سامي سلطان سعد ، استبارية رودس أطروحة دكتوراه جامعة القاهرة 1975 (غير منشورة) .

والصليبي ومنها نستخلص أن اعادة كتابة تاريخ المشرق لا يمكن أن يتّم الاّ اذا وضعنا في الحسبان أن الجهاد الذى قام به المتطوعة والمنقطعون الى الله هو الذّى عبّد تاريخ المسلمين نحو الامجاد الخالدة ،كما حقــق الجهاد الدّور الحاسم لحركة التاريخ الاسلامي وحضارة المسلمين المميّزة .

فاذا كانت هذه التّطورات التى مّرت بها الثّغور والرّبط فى المشرق الاسلامي فنودعه لنتعرف على تطور حركة الرّبط والمرابطة والاعمال الثغرية فى بلاد الغرب الاسلامي ،لنتمكن من معرفة دور الرّبط فى العصر الذهبي لهـــذه المنطقة أيام المرابطين والموحدين .

الفصـــــل الثـــــاني

الرّبط في المغرب الاســـلامي

أولا : ظهور الرّباط بولاية افريقية وبداية الاعمال الثغرية الى

قيـــــام دولة الاغالبــــــة .

ثانيا : دولة الاغالبة وعصر الرباط الذهبي .

ثالثا : الرّبط وعصر الصراع المذهبي .

رابعا : الرّبط والمرابطة بالمغرب الاقصى الى قيام المرابطين .

خامسا : حركة الرّباط والمرابطة والجهاد في صقلية والاندلس

والجـــــزائر الشّـــرقيــــة (البليـــــار) .

أولا : ــ ظهور الربـــــاط بولاية افريقيـــة وبداية الاعمال الثغريـــة الى قيــــام دولـــة الاغالبــــة

يعتبر قيام قاعدة القيروان حدث ،له مكانه هامّة فى تاريخ افريقيـــة الاسلامية (لأنها أصبحت نواة لولاية جديدة هي ولايـــة المغرب) (١) .

ولان كل المراحل السابقة كانت للتصرّف على المنطقة وكان اختيار مكـــان القيروان الحالي مجال معارضة من طرف أصحاب عقبة (فقد كان الذيـــن معه يرون أن مركز القيادة ينبغي أن يكون قريبا من البحر ليجمعوا بيـــن الجهاد والمرابطة ، ولكن عقبة بن نافع قال بهم : انّي أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية ويهلكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها معه صاحب البحر ولا تقصر معه الصلاة فيكون لكم أجر المرابطة والجهاد) (2) ومن هذا يمكن أن تكون قصور طرابلس الغرب (3) ، وقاعـــدة المغرب الاسلامي (القيروان) هي فجر حركة الرّباط والمرابطة فى هذه المنطقة (اذ كان على هذه العاصمة الاسلامية الاولى فى المغرب الاسلامي

---

(1) ــ موسى لقبال ، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة ونظم ، الطبعة الثانية الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع الجزائر 1981 ص 33 .

(2) ــ محمد العروسي المطوى ، سيرة القيروان ، رسالتها الدينية والثقافية فى المغرب الاسلامي الطبعة الثانية الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1981 ص 14 ــ 15 .

(3) ــ أصبحت قصور ليبيا مناطق آمنة لرباط المسلمين بعد مقتل عقبة بن نافع ومنها تجدّدت الفتوحات الاسلامية أيام الخليفة عبد الملك بن مروان. أنظر موسى لقبال عقبة بن نافع الفهرى (الموسوعة التاريخية للشباب) الجزائر 1985 ص 75 .

أن تقوم بدور رئيسي فعّال فى تشر الاسلام وامتداد نفوذه فى القارة الافريقية وأوروبا الغربية والجنوبية وجزر البحر الابيض المتوسط وحوضه الغربي (4 .) ومنذ ظهور القيروان على يد عقبة بن نافع الفهرى سنة 51هـ/ 671م أصبح للمسلمين مركز (ثابت للانطلاق نحو عـالم المغرب وبدأت تبرز نشاطات ولاية افريقية فى ممتلكات المسلمين، ثم حراسة السّواحل والثغور الاسلامية فى البدء ثم الانطلاق منها للفتح البرى والبحرى، وبذلك خدمت الولاية (الرابطة الاسلامية والمجتمع الجديد فى منطقة كانت حتى هذا الوقت خليطا دينيّا عجيبا) (5 -) .

واذا تتبعنا سير الفتوحات الاسلامية منذ اتخاذ القيروان نقطة ارتكاز وانطلاق سارت الفتوحات نحو الغرب سالكة طريق البر، فشمل الفتح المغرب الاوسط والمغرب الاقصى والاندلس وجنوب فرنسا، واتجاه آخر حصّن سواحل المنطقة الشمالية واتّجه فيما بعد الى جزر الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط (6 -) وبهذا أصبحت القيروان رباط المسلمين، ومجال ذكريات طيبة مع الصحابة والتابعين حتى كتب عنهم أصحاب الطبقات وجعلوا هم ضمن طبقات النّساك والعبّاد والمرابطين (7 -) وهم الجيل الذى أعطى للمغرب الاسلامي

---

(4) ـ المطوى، سيرة القيروان، ص17 .

(5) ـ لقبال، المغرب الاسلامي، ص126 .

(6) ـ نفســــــ ص19

(7) ـ أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التّميمي) كتاب المحن، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري الطبعة الاولى دار الغرب الاسلامي بيروت 1983 ص271 وما بعدها .

ثقافة و دينا جديدا ، هذا الجيل هو الذى أدخل المنطقة الغربيـــة كلّها ضمنَ دائرة العالم الاسلامي ، وقبل ظهور نظام الرّباط والمثاغر(8 -) والاساطيل الاسلامية ، تطلبت استراتيجية الفتح اقامة سياسة دفاعية ضـــد الاساطيل البيزنطية التى تحاول اعادة ممتلكاتها المفقودة فى المشرق عـــن طريق العودة الى قاعدتها قرطاج (9 -) فى افريقية ، ثم الوصول للاسكندرية .

وقد تأثر البيزنطيون بسقوط قرطاج بين أيدى المسلمين (فأرسلوا فى تلـــك الاثناء أسطولا قويّا . . . فلم يلاق أية صعوبة فى استرجاع المدينة اذ أن حسانا كان قد تراجع بجيشه الى برقة بعد هزيمته على وادى مسكيانة(10 -) فلم يجد الرّوم بقرطاج الّا حامية لاطاقة لها بمدافعهم ، فاحتلوا المدينـــة وعاملوا من كان بها من المسلمين معاملة قاسية 76هـ / 695م) (11 -) وبهذا

(8 -) ــ يذكر الدكتور موسى لبقال أن الرّباط والمثاغرة ، حركة ناتجة عن الفتح مثل النّتائج الاخرى التى جاءت بعد الفتح ، كنشر الاسلام ، والهجرة العربية الـــى بلاد المغرب، أنظر : ــ موسى لبقال و رفاقه ، العهد الاسلامي من الفتح الـــى بداية العهد العثماني (الجزائر فى التاريخ) المؤسسة الوطنية للكتاب ، وزارة الثقافة والسّياحة 1984 ص32 .

(9 -) ــ تعتبر كنيسة قرطاج أكبر مركز للدعاية البيزنطية لهذا ، فالقضاء عليها هو الذى أنهى الوجود البيزنطي . أنظر عنهـــا :
El Maliki [illegible], Kitab [illegible] traduction A. [illegible] tome I, Librairie orientaliste Paul Geuthner 1923 p.160.

(10 -) ــ ادى العذارى أو نهر البلاء : أنظر : ابن عبد الحكم، فتوح افريقية و الاندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، مكتبة دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1964 ص63 . موسى لقبال المغرب الاسلامي ص63، موسى لبقال، العهد الاسلامي ص53 .

أدرك المسلمون أن فتح المغرب لا يتّم الا بالقضاء على المقاومة التى تتزعمها بيزنطة متحالفة مع بعض القوى المحلّية .

لهذا أدرك حسان بن النّعمان أن المرابطة بقصور برقة (12) أطول قد يساعد التحالفات البيزنطية و المحلّية للوقوف فى وجه الفاتحين ، لذلك ما أن سمح له الخليفة بالسّير حتى عرف أبعاد سياسة الكاهنة التى أذنت لقومها باتباع ما يسمى (بسياسة الارض المخرّبة) (13) ، لان فى تصورها أن حسانا وصحبه من المسلمين طلبوا من افريقية (المدائن و الذّهب و الفضّة و الشجر و نحن نريد المزارع و المراعى ، فما نرى لكم الّا خراب افريقية) (14) فخرب المغاربة بيوتهم بأيديهم فحطّموا الحصون و خرّبوا المدن وقطعوا الاشجار لييأس المسلمين فينصرفوا عن التفكير فى العودة الى افريقية (15) (وكانت افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة قرى متصلة

---

(12) ـ رابط حسان بقصور طرابلس الغرب أكثر من ثلاثة سنوات يرتقب صفاء الجو السياسي و العسكرى فى المشرق على اثر ثورة عبد الله بن الزّبير على الخليفة عبد الملك بن مروان لذلك تعتبر هذه الفترة بداية للمرابطة و مقدمة ناجحة للفتح الاسلامي للمغرب وكان خلال هذه الفترة يراسل التابعي العبسي، يزيد بن خالد (أو خالد بن يزيد العبسي) فى روايات أخرى أنظر : ـ أبو العرب ، كتاب طبقات علماء افريقية ، دار الكتاب اللبناني بيروت (بدون تاريخ) ص18ـ19 المالكي رياض النفوس الجزء الاول تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الاسلامي بيروت 1983 ص53 ، معالم الايمان ج1/ ص64، لقبال موسى ، المغرب الاسلامي ، 64 .

(13) ـ تعرضت بلاد المغرب على عهد الوندال فى القرن الخامس الميلادى الى ما يسمى بحريق افريقية الاول و ربما بالغ المؤرخون الرومان فى هذه الاحداث الا أنه على كل حال أن سياسة الارض المحروقة من الاعمال الوحشية التى عرفتها المنطقة: لقبال موسى : المغرب الاسلامي ، ص65 .

(14) ـ معالم الايمان ج1/ ص64 .

(15) ـ المالكي ، رياض النفوس ج1/ ص55 .

فأخرجت ذلك كله) (226) فخرج عليها قومها واستغاثوا بحسّان فيما نزل بهم من الكاهنة من خراب الحصون وقطع الشجر (7) (وكان قد وجّه اليه عبد الملك بن مروان يأمره بالنهوض الى افريقية قبل أن تخربها) (8) .

ويمكن اعتبار سياسة حسان بن النعمان فى فتح المغرب بداية (العمران الجديد) بعد انتصاره على الكاهنة ، هذه السياسة الحضارية ، شملت تجديد القيروان ومسجد عقبة وتأمين الطرقات واكمال سياسة المؤاخاة التى بدأها أبو المهاجر دينار (9) ، فحسن اسلام المغاربة(0)

(6) ـ يعتبر حسن حسني عبد الوهاب الكاهنة من الخالدات فى الشمال الافريقي بآدائها لرسالتها الحضارية أنظر: ح ح عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات الطبعة الثانية مكتبة المنار تونس 1965 ص21 .

(7) ـ المالكي ، رياض النفوس ج1/ ص53 .

(8) ـ معالم الايمان ج1/ ص65 .

(9) ـ كان هذا القائد (أبو المهاجر دينار) من موالي مسلمة بن مخلد فولّاه على افريقية وعزل عقبة وأساء معاملته وكانت ولاية هذا المولى قد توزعت بين سياسة المؤاخاة بين المغاربة والعرب المسلمين وتهديد قرطاجة التى صالحته وفتح جزيرة شريك وبناء قيروان جديدة و بعد أن جاء عقبة فى ولايته الثانية أساء معاملة هذا الوالي وحليفة المغربي كسيلة حتى أرجع بعض الدارسين مأساة (تهودة) ومقتل هذا الصحابي الجليل ورفاقه فى اقليم الزاب لهذه المعاملة التى فصلتها كتب التاريخ عن شخصية عقبة والمولى أبي المهاجر دينار ومأساة تهودة راجع : ـ ابن عبد الحكم ،فتوح افريقية ص60 وما بعدها الحميرى ، الروض المعطار ،ص142 وما بعدها ، بسام العسلي ، عقبة بن نافع ط5 ،دار النفائس بيروت 1984 ص61 ، لقبال عقبة ،ص55 .

(0) ـ معالم الايمان ج 1 / ص67 ، لقبال موسى العهد الاسلامي ، ص58 .

ودانت له افريقية ودوّن الدراوين (1 2) وأشرك السكان المحليين في خطط المدينة وأدخلهم في جنده (2 2) وأجزل العطاء لقوادهم من أبناء الكاهنة ، وعمر المدن الخربة ومسح الاراضي ووزعها على أبناء الصحابة وقادة الجند وبنى المساجد من برقة الى كل المدن التى وصلت اليها جيوش الفتح ثم ختم هذه السياسة العمرانية ببناء قاعدة الاسطول الاسلامي في تونس (3 2) بعد العدوان الذى تعرضت له رادس (4 2) التى أقام بها مرابطا (فكتب علماء المشرق الى افريقية ، من رابط عنا برادس يوما حججنا عنه حجّة وعظم قدر رادس عند العلماء وفضلها) (5 2) لهذا أرسل والي مصر وافريقية عبد العزيز بن مروان ألف أسرة قبطية من مصر للقيام على

(1 2) ـ اهم هذه الدواوين ديوان الخراج وديوان الجند . انظر: معالم الايمان جـ1/ ص67، لقبال ، المغرب الاسلامي ، ص73 .

(2 2) ـ معالم الايمان جـ1/ ص67 .

(3 2) ـ كانت ترشيش/تونس قرية صغيرة أهتم بها حسان وبنى بها جامع الزيتونة وأقام بها دارا للصناعة وأكملها عبد الله الحبحاب عن تطورها أنظر: العبادى ، سالم ، تاريخ البحرية الاسلامية ص32 وما بعدها .

(4 2) ـ رادس من أهم الرّبط الساحلية وهي قريبة من (تونس العاصمة) راجع أخبارها في الحِميري ، الروض ، ص266 .

(5 2) ـ نفســـــــــــــ ، ، ص266 .

دار الصناعة بها ، ومن ذلك الحين أصبح للأسطول الاسلامي مكانة فى هذه البلاد (وأبرز نشاطات ولاية افريقية وقاعدتها البحرية -في نظري- تمثلت فى حماية السواحل والثغور الاسلامية فى البدء ، ثم فى الانطلاق منهـا للتوسع البحرى) (26) وعمل حسـان بن النّعمان بنصيحة الخليفة الذى (نصحه اثنان من الصحابة وهما أنس بن مالك وزيد بن ثابت بامداد هذه البلاد ونصرة أهلها وبيّنا له فضل المرابطة فيها ... وقدّر لهذه المدينة أن تصبح أعظم ثغور افريقية بعد ذلك بثلاثين عاما على يدي عبيد اللـه بن الحبحاب (116هـ/ 122هـ/ 734-740م) (27) وثغرا للجهـاد البحـرى والغزو) (28) .

وبمجئ موسى بن نصير الى بلاد المغرب اسـتكمل الفاتحـون عصـر

---

(26) - لقبال ، المغرب الاسـلامي ، ص126 .

(27) - كان عبيد الله بن الحبحاب واليا على خراج مصر حينما ولاه هشام بن عبد الملك على المغرب والأندلس وبهذا أصبح عام 116هـ/ 734م يحكم من العريش شرقا الى المحيط الأطلسي غربا والى جبال البرانس شمالا ومـن مآثره أنه أتم بناء تونس وجدد دار صناعتها ، أنظر السّلاوى ، الاستقصـا لاخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق الابنين جعفر ومحمد الجزء الأول المغرب 1954 ص105 .

(28) - العبادي ، سالم ، البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ص33 .

الفتوح وقضوا على تمرد القبائل المغربية ، وقد نجح موسى بن نصير في تطوير تيار الرباط (9 2) ونشط الاعمال الثغرية بحملاته على أطراف الأندلس (0 ؛) ثم ختمها بفتح هذه المنطقة من أوروبا كخطوة أولى لفتح القسطنطينية (1 ؛) .

(وباتساع حركة الفتح في عصر موسى بن نصير أصبحت طنجة رباطا وآخر قواعد الاسلام الثابتة في ولاية افريقية وتحولت مدن اشبيلية والجزيرة وقرطبة وطليطلة الى رباطات اسلامية ثابتة في عدوة الاندلس) (2 ؛) .

وعرفت حركة الدعوة الاسلامية نشاطات معتبرة في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز وواليه على افريقية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي (3 ؛) وكثرت المساجد وأشهرها جامع الزيتونة (4 ؛) هذا الوالي سار في أهل افريقية سيرة حسنة فأسلم على يديه عامة سكان المغرب (5 ؛) وبهذا انتشر الاسلام والثقافة العربية وقد ساهم بهذه الرسالة

---

(9)ـ تعتبر تجربة موسى بن نصير (86ـ92هـ) في المغرب الاسلامي تجربة رائدة اذ ربي أبناء المغاربة (الرهائن) في طنجة تربية اسلامية بهم تمكن من اخضاع المتمردين وفتح بهم بلاد الاندلس وتأكيد السيادة الاسلامية على هذه المنطقة ، أنظر: شوقي ابو خليل ،فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، الطبعة الثالثة دار الفكر دمشق 1980 ص22، موسى لقبال المغرب الاسلامي ص89 .

(0 ؛)ـ كانت هذه الحملات قبل فتح الأندلس هي حملة طريف على الجزيرة الخضراء ثم ابنه عبد الله بن موسى على جزر البليار أنظر: أخبار مجموعة لمؤلف مجهول تحقيق ابراهيم الأبياري الطبعة الأولى دار الكتاب اللبناني بيروت 1981 ص16 ، عصام سالم سيسالم جزر الأندلس المنسية الطبعة الاولى دار العلم للملايين بيروت 1984 ص53 وما بعدها موسى لقبال المغرب الاسلامي ص92 .

(1 ؛)ـ تذكر المصادر أن المسلمين منذ أيام عثمان يفكرون بفتح القسطنطينية من جهة أوربا بعد فتح الأندلس وفي هذا قول عثمان: (ان القسطنطينية انما تفتح من قبل البحر وأنتم اذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر في آخر الزمان) وكان موسى بن نصير يدرك هذا أنظر: شوقي أبو خليل فتح الأندلس ص27ـ28 بسام العسلي موسى بن نصير دار النفائس بيروت 1984 ص63 .

.../...

الدينية و الثقيفية في بلاد المغرب جملة من المساجد و الربطات و القصور و المحارس على طول ساحل الولاية من الاسكندرية الى طنجة و الى حدود الاندلس ودور الارساليات العلمية و الهجرات العربية (6 م) و بذلك صبغ الاسلام بلاد المغرب بصبغة اسلامية بفضل هذه المؤسسات المذكورة وكانت الربط احدى هذه المؤسسات الدينية و الحربية التي أعطت هذا البعد الاسلامي للمغرب ، فساهم هو الآخر في حركة الفتح مساهمة فعّالة و أصبحت هذه الولاية تمد الجند الاسلامي بالمؤن و الاساطيل و سجّلت اسمها الى جانب سائر الولايات الاسلامية الاخرى الداخلة في حظيرة الدولة الاموية و المشتركة في حرب البيزنطيين) (7 م) .

.../...

(2 م) ـ لقبال موسى ، المغرب الاسلامي ، ص89 .
(3 م) ـ كان فقيها صالحا زاهدا استعمله عمر بن عبد العزيز على افريقية ليحكم بينهم و يفقههم في الدين سنة 99هـ قبل سنة 100 راجع اخباره معالم الايمان ج1 ص203 و ما بعدها .
(4 م) ـ تم تشييد جامع الزيتونة من طرف الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب مجدد تونس وراسم قاعدة أسطولها البحري و هو الذي في عهده عرف المغرب ثورات الخوارج وعن الزيتونة راجع : ـ
Mahmoud Abdelmoula, L'université Zaytounienne et la société Tunisienne Tunis 1971 P29
الطاهر المعموري ، جامع الزيتونة و مدارس العلم في العهدين الحفصي و التركي ، الدار العربية للكتاب ليبيا 1980 ص15 .
(5 م) ـ معالم الايمان ج1/ 203 .
(6 م) ـ لقبال موسى ، المغرب ، ص134 .
(7 م) ـ العدوي الأمويون ، ص263 .

وأما الرّباط كمؤسسة دينية وحربية في بلاد المغرب الاسلامي فقد ظهرت في صورتها المعروفة في رباط المنستير (8) بافريقية التونسية وهو من بناء الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة 180هـ/ 796م من قبل الخليفة هارون الرشيد .

هذا القائد المسلم المخلص لدولة العباسيين تصفه الكتب بأنه: (من خواص قواده الذين يندبهم للملمات) ويدخل هذا العمل لتحصين الثغور البحرية واقامة مراكز مراقبة وقائمة ضد هجمات الاسطول البيزنطي بصفة خاصة وقد سجّل له المؤرخون ما شيده من الاربطة بأرمينية وعسقلان وبمواضيع أخرى واعادة بناء سور

---

(8) ـ مدينة عتيقة كانت تعرف باسم (روسبينا) قيلت فيها أحاديث كثيرة موضوعة ترغب في الرباط والمرابطة أنظر : ياقوت ، المعجم ج5/ ص210 ابراهيم شبّوح ، حول منارة قصر الرباط ، ص5 ، الطيب الفقيه أحمد ، المنستير وبطل التحرير ، تونس 1962 ص23 . زبّيس ، المنستير ماضيها ومعالمها التاريخية الدار التونسية للنشر دون طبعة ص4 . محمد العروسي المطوى ، فضائل افريقية في الاثار والاحاديث الموضوعة ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1983 ص43 وما بعدها .

Georges Marçais, notes sur les ribats en Berbérie (Mélanges René Basset) édition Ernest Le Roux PARIS 1925

مدينـــة طرابلس (9 3) من ناحية البحـر) (0 4) لان هذه السواحل لم يمض زمن طويل على فتحهـا والتى لم تنتظم فيهـا بعد وسائل دفاع ناجعة تحتاج الى هذه البنايـة الحربيـة (1 4) .

وكان رباط المنستير من الآثـار الخالـدة لافريقية الاسلامية (فهـو بنايـة مربعة الشكل قد أقيمت بجهاته الشمالية والجنوبية والغربية أبراج مستديرة للاستكشـاف ، أما من الناحيـة الشرقيـة فقد بني به مرصد على هيئة منـارشـاهق) (42) .

وبهذا الرباط ينقطع العباد والزهاد للعبادة وتأمين سلامة السواحل ودرء أخطـار تهديـد غارات خارجيـة قد تتعرض لها البلاد أو أخطار عمليات انزال محتملة تقوم بها الاساطيل البيزنطية (3 4) .

(9 3) ـ يرى البعض أن أول رباط فى صورته المتعارف عليها هو قصر المنستير وهذا باجماع (المدرسة التاريخية) التى تحدثت عن النشاط الحربي للوالي هرثمة من قبل هارون الرشيد ولا يعارض هذا الاجماع الا بحث مستقل للدكتوره نجاح القابسي تقول فيه بأن أول رباط فى المغرب الاسلامي هـو رباط طرابلس عن هذه المسألة راجع :ـ الطيب الفقيه ، المنستيـر ، ص24 مصطفى زبيس ، المنستيـر ، ص4 ، نجاح القابسي ، المعاهد والمؤسسـات التعليمية فى العالم الاسلامي ، مجلة الثقافة العربية (ليبيـا مـارس 1982) ص80 .

(0 4) ـ ابراهيـم شبوح ، حول منارة قصر الرباط ، ص6 .

(1 4) ـ مصطفى زبيس ، المنستير ، ص4 .

(2 4) ـ الطيب الفقيه أحمد ، المنستير ص24 .

(3 4) ـ لومبارد ، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر دمشق (دون تاريخ) ص92 .

وبهذا يكون هارون الرشيد قد أرسل قائده هرثمة بن أعين الى أطراف ملكه لبناء قاعدة حربية تتمم برنامجه الدفاعي البنّاء (44).

---

(44) ـ الطيب الفقيه أحمد ، المنستير ، ص24.

2ـ دولـــــة الأغالبـــــة وعصر الرّباط الذّهبـــي

انتهى عصر الولّاة في المغرب الاســـلامي بدخول ابراهيـم بـن الأغلـب (45) الى القيروان ، وأصبح أقوى شخصية تلعب الدّور الواضح في افريقية منذ رحيل هرثمة بن أعين فضلا عن تعلق المنطقة بروح استقلالية (46) .

وقيام دولة الاغالبة (184ـ 296هـ / 800ـ910م) صاحبته متـــاعب كثيرة ، لهذا تطلب الامر من الامراء اتمـــام سياسة ابراهيم بن الاغلب وبذلك أسهم هؤلاء بقسـط وافر في تأمين الامارة من الفوضى السياسية و هـــذا باقامة علاقة طيبة مع السّكان ومحاولـة تهدئــــة الاوضـاع أمام التّحـرش

---

(45) ـ ابراهيم بن الاغلب مؤسس أول أسرة عربية حكمت البلاد الافريقية بنوع من الاستقلال الذّاتي الدّاخلي بعد الفتح الاسلامي نشأ بمصر وتلقى العلوم الاسلامية من الراوية الشّهير والمجتهد الكبير اللّيث بن سعد ،كان مع والده بمنطقة الزّاب ،ثم دخل القيروان عام 184هـ.له كثير من الاعمال الجليلة في دولة الاغالبة في السياسة والعمران أنظرعنه، حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التّونسيات ، ص38 وما بعدها .

(45) ـ تؤكد الدراسات أن للمغاربة روحهم الاستقلالية المميزة التي استجابت لها الأسرة العربية التي أسسها ابراهيم أنظرعن هذه القضية: حسن حسنـــي عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص38 . محمود اسماعيل ، الأغالبة ، سياستهم الخارجية ، الطبعة 2 ، مكتبة وراقة الجامعة فاس 1978، ص32 .

الأموي والعلوي والخارجي (47) الذي تمثله دولة الأندلس الأموية وتاهرت الخارجية وفاس العلوية.

لهذا نجحت امارة الاغالبة في تهدئة الأوضاع بعد فشل ولاة الخلافة الأموية الذين اتسمت جهودهم بالعنف وكان قيام دولة الأغالبة بداية الاستقرار والبناء وبروز مظاهر الدولة الاسلامية في افريقية ولا يفوتنا أن نذكر أن قيام الدولة الاغلبية قد أعاد للخلافة الاسلامية بعض الهيبة التي كانت على شفا الزوال من المغرب، بل ضمت بقاء سيادتها الاسمية نحو قرن من الزمان) (48).

وشهدت افريقية الاغالبة سياسة دفاعية وعمرانية هامة، فمن الناحية الدفاعية ظهر بشكل واضح دور الربط التي جاءت لحماية الثغور المهددة من العدو، وأعطى المتطوعة صورة صادقة لحماية تلك الثغور (49) وكانت هذه الحركة في الساحل التونسي، ومن الناحية العمرانية بدأت تونس تعرف ازدهار المدن الثغرية بشكل أكثر بروز من عهد الولاة (50).

---

(47) ـ كانت دولة الأغالبة تمثل رؤية واضحة لهارون الرشيد من أجل وقوفها في وجه الزحف العلوي والأموي والخارجي ولهذا نجد أن علاقات الامارة الأغا[لبة] مع بيزنطة أو الامارات المغربية والأندلسية المستقلة تنطلق في غالب الأحيان من تصور الخلافة العباسية عن هذه القضية أنظر: ـ إسماعيل محمود، الاغالبة، ص97 ومابعدها، عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ص95.

(48) ـ محمود اسماعيل، الاغالبة، ص42.

(49) ـ محمد شيت خطاب، عقبة بن نافع الفهري، الطبعة 5، دار الفكر، دمشق 77 ص163.

(50) ـ محمود اسماعيل، الاغالبة، ص44.

فمن النّاحية الدّفاعية أنشأ الامراء الاغالبة منشآت عسكرية هي الرباطات وهي شبيهة بالقصور ولكنها كانت تخصص للمجاهدين والمرابطة من بين أفراد يدفعهم ايمانهم للمجاهد وحماسه دينية حملتهم الى هذه الحياة الجديدة، وأما الجند الاغلبي فقد كانت تخصص له المعسكرات ويحيط عادة بالرّباط الاسلامي في عهد الاغالبة سور (مرتفع تقوم على أركانه وعلى مسافات منه أبراج يقف فيها الحراس وتوقد فيها النيران) (51) ،وكان أول رباط أغلبي هو رباط سوسه* ويطلق عليه قصر الرّباط وهو كما جاء في

---

(51) ـ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس الطبعة الاولى ، مؤسسة المعارف بيروت 1980 ، ص96 .

* ـ كانت عبارة عن قرية صغيرة معمورة في العهد السابق للاسلام وأثناء ارتقاء ابراهيم بن الاغلب دوره الامارة الافريقية 184هـ ـ 800م حقق لبنيه المجد و السلطان اعتنى بشؤون حراسة البلاد فيأمر بعد ذلك تابعه أبا هارون موسى ببناء حصن في مكان قصر الرباط الحالي بسوسة قاصدا الدفاع عن ذلك الجانب من الساحل اذا أن رباط المنستير المتقدم عنه في السّن يبعد عنه بنحو عشرين كيلومترا ، ومن بعد ابراهيم تواصلت جهود أمراء الامارة الاغا لتعمير سوسة فمدّت اهم المنارات الحضارية في المغرب الاسلامي بعد القروان وتونس، وعن سوسة الاغلبية وقصر الرّباط وتطور المنشآت الحربية أنظر ح ح عبد الوهاب ورقات ج2/ ص21 وما بعدها ياقوت ، المعجم ، ج3/ ص283، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير (العصر الاسلامي ، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية) موسوعة تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية بيروت 1981 ص449 .

الحلل السنوسية (مأوى الصالحين داخله حصن ثان يسمّي القصبة وهو بجوفي المدينة متصل بدار الصناعة فى سفح الجبل) (52) ومنه انطلق المسلمون ففتحوا صقليـــة .

و(كان الخوف من غارات الرّوم على السّواحل التّونسية ، من جهة والاستعداد الدائم للجهاد ضد الرّوم فى صقلية حافزا على عناية الاغالبة بتحصين هـــذه السواحل وذلك باقامة المحارس والاربطة) (53) هذه الاخيرة (الاربطة) لعبت دورا هاما فى الحياة الدينية والحربية ببلاد افريقية وكانت المحارس والاربطـة المجاورة كثيرة وقريبة من بعضها البعض لاعلان الرسائل الخاصة بالانذار المبكر لملاقاة العدو برا وبحرا ولذلك كثر عدد الاربطة على السواحل التونسيـــة (54) فهذا الامير أحمد بن أبي العباس محمد (55) الذى (أحســـن السيرة وأكثر العطاء للجند ، وكان مولعا بالعمارة فبنى بافريقية نحوا مـن عشـرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد) (56) هذه الرّوايـــة التي تتضمن مبالغة واضحة حسب رأى الدكتور عبد العزيز سالم (57) تـدل

---

(52) ـ محمد بن محمد الاندلسي الوزير السّراج ، الحلل السنوسية فى الاخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الجزء الثاني الدار التونسية للنشر 70ص297 .

(53) ـ السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير (العصر الاسلامي) ص449 .

(54) ـ نفســــــــه ، ص449 .

(55) ـ لسادس أمراء الدولة الاغلبية تولى الامارة عام 242، وتوفى عام 249هـ انظر ترجمته عند ابن خلدون التاريخ جـ4/ ص429 .

(56) ـ نفســــــه ص429 .

(57) ـ من رواد المشارقة المصريين الذين تخصصوا فى تاريخ المغرب والاندلس .

على اهتمام هذا الامير بتحصين البلاد قد أقامها البيزنطيون على عجلة على تخوم الصحراء ابتداء من طرابلس شرقا حتى (نوميديا) غربا وأهم أمراء الاغالبة الذين اهتموا بالعمارة العسكرية (القلاع والابراج والمحارس والحصون والرّبط) هو الامير ابراهيم بن أحمد (53) الذى بنى المحارس والحصون على ساحل البحر (حتى كانت النار توقد فى ساحل سبتة للنذير بالعدو فيتصل ايقادها بالاسكندرية فى الليلة الواحدة) (59) ، فمن صفاقس الى بنزرت على الساحل ثمانية أيام وفى جميع المراحل حصون متقاربة ينزلها العباد والمرابطون (60) فقد كان بين الرّباط والرّباط ستة كيلومترات (ولما كانت المسافة بين سبتة والاسكندرية 6000 كلم فقد كان هناك ألف رباط أى خط (ماجينو) أو خط سيجفريد عربي) (61) .

---

(58) ـ ابراهيم بن أحمد أخو أبي الغرانيق من كبار أمراء الاسرة الاغلبية الذين حكموا البلاد بحزم وشدّة لمدة 28 سنة ، مات فى حملة على صقلية وقد تناقضت وتضاربت المصادر الاسلامية فى تقييم هذه الشخصية ، فهذا ابن خلدون يقول (كان عادلا وحازما فقطع البغي والفساد ، وجلس لسماع شكوى المتظلمين فأمنت البلاد) وقد عزله المعتضد لشكوى أهل تونس به فرحل الى صقلية الغربية والانتجاع ، انظر: ابن خلدون ، جـ4/ ص435 وما بعدها .

(59) ـ نفســـــــه ، ص434 .

(60) ـ

(61) ـ الاستاذ عثمان الكعّاك ، محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب من القرن السادس الى القرن التاسع عشرة معهد الدراسات العالية القاهرة 1958 ص18 .

وكان القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي هو العصر الذهبي للرباطات (فقد ضاعف الاغالبة عدد الرّباطات العتيقية و المحارس على طول الشواطئ الشرقية والمحرس منطقة محصنة تضم حامية صغيرة أو برج مراقبة) (62) وهو ما يظهر تخوف الامراء الاغالبة على سواحل البلاد التى ظلّت تتعرض لغارات الاسطول البيزنطي من قواعده في صقلية وسردانية وجنوب ايطاليا وكانت المدن الساحلية تتضرر من جرّاء هذه الغزوات المفاجئة فاضطر الناس الى تحصين الساحل وشحنها بالامراء وبالجند المحتسب وهذا للحيلولة بين المقاتلة البيزنطيين وبين النزول الى البر وكان المغاربة أنفسهم في هذه المنطقة من افريقية الاسلامية يرون فى هذه المرابطة لونا من ألوان الجهاد في سبيل الله(63) فكانوا يتسابقون الى الرّبط يحرسون عورات المسلمين وينالون الشهادة دفاعا عن عقيدتهم فكانت الرّبط فى الواقع فى البداية مجرد حصون (64) تقام في الجهات الاكثر تعرضا لغارات العدو (65) .

---

(62) ـ جورج مارسي ، مادة رباط ، دائرة المعارف الاسلامية ، ص20 .
(63) ـ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1957 ص129 .
(64) ـ الحصون ، جمع حصن وهي ضرب من العمارة الحربية مبنية عادة من الحجارة الكبيرة وتتكون من عدّة أدوار وذات بوج صغيرة فى أعلاها ، مربعة الشكل ومستطيلة ولاتكاد تخلو مدينة ساحلية من هذه العمارة . على صالح السلوك منطقة بلاد غامد وزهران مجلة الفيصل ع 100 المملكة العربية السعودية جويلية 85 ص57 .
(65) ـ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص129 .

لقد كان المحارس والقصور الاغالبة تقف للاساطيل البيزنطية بالمرصاد وكان المتطوعون الرّاغبون في الجهاد يخرجون للعبادة والحرس على المسلمين بقلوب مطمئنة فانتشر الامن ونجحت حركة المرابطة والاعمال الثغرية في هذا العهد هذا النجاح يتمثل في فتح الجزر القريبة من سواحل تونس وقد كان في السابق مكان انطلاق الاساطيل البيزنطية للهجوم على بلاد المشرق أو المغرب حيث اتخذت هذه القواعد ضد الملاحة الاسلامية في البحر المتوسط ، ومنها شنّت وحدات من الاسطول البيزنطي في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي غارات على سواحل الشمال الافريقي ودرءا لهذه الهجمات ، قام هرثمة ببناء سور مدينة طرابلس وبانشاء رباط المنستير (66) كما مرينا ، ورغم المحاولات الاسلامية الاولى لفتح صقلية (67) الا أنها لم تكن ذات أهمية تذكر لان فتحها جاء نتيجة لنجاح حركة الرّباط والزّهد والمجاهدة في بلاد

---

(66) ـ عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، ترجمة أمين الطّيبي ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1980 ص14 .

(67) ـ كانت أولى النزوات الاسلامية للجزيرة سنة 652م في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وفي أوائل القرن الثامن غزاها المسلمون أكثر من مرة الا أن النجاح لم يكن حليف هذه الحملاة وعن هذه المحاولات لفتح صقلية أنظر : عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، ص10 وما بعدها .

(الرّبط والمحارس) وخاصة المنستير وسوسة الاغلبية ورغم ماكان من عقد سلم بين حاكم صقلّية وزيادة الله الاغلبي الّا أنّ فقهاء القيروان وعلى رأسهم الغازي أسد بن الفرات رحمه الله (68) المتحمس للجهاد رفضوا هذا العهد فأخذ الامير بمشورته وولّاه على رأس هذه الغزوة والذي لاتنسب له خبرة عسكرية سابقة تذكر (ويبدو أن اختيار الامير زيادة الله لاسد كانت تقليدا دينيا للخليفة عمر بن الخطاب الذي كان يختار من آن لآخر رجالا كأبي عبيدة بن الجراح لاسرة الجيوش الاسلامية لورعهم ومنزلتهم الدّينية أكثر من اختياره لهم لمهارتهم الحربية) (69) وكانت هذه الحملة التي أقلعت صوب صقلّية في ربيع الاول من سنة 212هـ/ يونيو 827م تظم مرابطة المنستير ومحارس قصور سوسة وعلماء القيروان وغالبية عناصر منطقة المغرب الاسلامي ، مما فيهم أهالي أقريطس (كريت) (70) في الجهاد لفتح

---

(68) ــ أصله من خراسان ، من نيسابور ولد بحرّان من ديار بكر ، تفقه على مالك بن أنس توفي شهيدا بصقلية عام 214هـ/ 829م هو من أعلام أهل السنة والجماعة بافريقية وعنه عرف سحنون فقه مالك : أنظر : ــ أبو العرب تميم ، طبقات علماء افريقية ص83 .
المالكي ، رياض النفوس ج1/ ص254 وما بعدها .

(69) ــ قسم العلماء والفقهاء العالم الى دار الاسلام التي يؤمن فيها المسلم على نفسه ويطبق فيها شرع الله ودار الحرب وهي دار الكفر التي لا يؤمن فيها المسلم على دينه وعرضه ودار الصلح وهي التي دخلت مع دار الاسلام في عهد وهي دار مؤقتة . انظر . الونشريسي ، (كتاب الولايات ومناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية ، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث ، دار لافوميك الجزائر 1985م . ص 18ــ 19 .

(70 اسماعيل محمود ، الأغالبة ، ص127 .

هـــذا الثغر البيــزنطي الخطير (71) .

وفي واقع هذه الحملة برز فتح صقلّية في صورة واقعية تكاد تتســـم بالمبالغة وتنفر من الاستسلام والذهاب الى غاية طلب الشهادة (وقـــد كانت الاوبئة والمجاعة والخسارة في الأرواح كافية لأن تخلق اليأس في نفــوس الجند المحاربين ولكن أن يكون فتح صقلية عنادا مستمدا من قوة النفسية التي خرج بها أسد فاتحا أكثر من كونه ساعيا وراء غنيمة أو كسب) (72) وأظهر هذا الفتح دور الجهاد والرّباط في حفز النفوس لطلب الشهادة في سبيـــل الله ورغم الوباء الذي هلك من جرّائه كثيرون فيهم أسد نفسه (73) وأصبحت من هذا الفتح صقلية منطقة ثغرية تلعب دورها كما سنعرفه في حينه.

ورغم هذه الانتصارات الأغلبية فان البحرية الاسلامية في هذه المرحلة لا تزال عاجزة عن السيطرة الكاملة على هذه البلاد وهو ما يفسّــر إنشـــــاء الحصون وبنـاء الرّباطات الكثيرة على طـول السّـــاحل الافريقي وهــذا دلـــيل على مـدى أثر السّيـــطرة البيــزنطيــة وتفوق البحريــة المعادية

---

(71) ـ المالكي ، رياض النفوس ، جـ1/ ص272.

(72) ـ الدكتور احسان عباس ، العرب في صقلية ، دراسة في التاريخ والادب الطبعة الثانية دار الثقافة بيروت 1975 ص35.

(73) ـ عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، ص15.

للمسلمين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط (74) .

والواقع أن القوى البحرية المتصارعة في هذه المنطقة هي البحرية الاسلامية لمصر والشام والبحرية الاندلسية الا أن البحرية الاسلامية في حوض المتوسط بأكمله في هذه المرحلة في الشام والاندلس كانت اقليمية تعمل على حماية سواحلها من الاغارات البيزنطية المفاجئة لهذا كانت سلسلة الحصون والقلاع والمنارات والربط عبارة عن منطقة حربية تدفع الأخطار البيزنطية وغزوات (الفايكينج) (75) عن السواحل الاسلامية الا أن البحرية الاسلامية في الحوض الغربي ظهرت بصورة أكثر دقة وتنظيما في عهد الأغالبة وفي الدور الفاطمي .

وفي افريقية الاغا نشطت الربط عسكريا ودينيا بصورة ملفتة للنظر أكثر من أي عصر في بلاد المغرب الاسلامي ، هذه المنشآت الدينية والحربية التي عرفت عصرها الذهبي في عهد الاغالبة ، قد قامت بدورها الدفاعي فوصلت

---

(74) ـ أرشيبالد . لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال مكتبة النهضة المصرية القاهرة بدون تاريخ ص159 .

(75) ـ النورماد أو الشماليون هم الأقوام الذين نزحوا من بلاد اسكندناوة في أقصى الشمال الأوربي ونظرا لصعوبة خلجانهم والأحراش التي ملأت بلادهم فقد اختاروا عالم المغامرة البحرية والنهرية في شكل أعمال القراصنة وقد خشي الأندلسيون منهم . وتسميهم بعض الكتابات الاسلامية كابن حيان مؤرخ الأندلس بالمجوس لأنهم يبالغون في اشعال النار ليلا ، عنهم راجع : ـ أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية بيروت 1978 ص200 وما بعدها ابن حيان المقتبس من أنباء أهل الأندلس تحقيق محمود علي مكي دار الكتاب العربي بيروت 1973 ص596 .

بزهادها وعبّادها الى أن عدّوا من طبقة النّسّاك فى كتب الطبقات(76)
وبقيت تونس الافريقية ثغرا ورباطا عند المخلصين من هذه الأمة منذ عصر
الولاة وهؤلاء الزّهاد والمرابطين فى ساحل بلاد المغرب صورة اجابية
لفعالية الزّهد والنّسك قبل ظهور التّصوف السّلبي فى عهود متأخرة (77) و
قد احترم أمراء الاغالبة هذه الطبقة من الزّهاد والمنقطعين عن الدنيا فهذا
الزّاهد الورع أحمد بن عبد الله المكفوف المتعبد (78) من أهل سوسة
قد وقف فى وجه ابراهيم بن أحمد لجوره ووعظه بشدّة بل وصمه بالجور
والفسق ولم يستطع الأمير الانتقام منه ، ونجد من الأمراء الأغالبة
من زهدوا فى الدّنيا وأبصروا عيوبها ومنهم علوان بن الحسن الأغلبي ويكنى

---

(76) ــ موريس لومبار ، الاسلام فى مجده الأول ، ترجمة اسماعيل العربي
الشركة الوطنية للنشر الجزائر 1979 ، 97 .

(77) ــ عرف التّصوف فى نهاية الموحدين تطورات جديدة اعتبرها بعض
المؤرخين انحرافا عن رسالة التصوف الحقيقية . راجع أبو الفيض المنّوفى
المدخل الى التّصوف الاسلامي (مذاهب وشخصيات) الدار القومية
للطباعة بدون تاريخ (تونس) ص39 .

(78) ــ هو المتعبد أبو الأحوص أحمد بن عبد الله المكفوف الشيخ الصالح
أحد زهاد رباط المستير توفى عام 284هـ أنظر : ابن عذارى ، البيان المغرب
فى أخبار الاندلس والمغرب تحقيق كولان وبروفنسال الطبعة الثانية دار الثقافة
بيروت 1980 ص130 .

أبا عقال (79) ـ الذي يعد من فضلاء الزّاهدين وهو من العلماء و الأدباء (انقطع الى بعض السّواحل فصحب رجلا يكنى أبا هـــارون الأندلسي منقطعا متبتلا الى الله) (80) .

لهذا نجد الرُّبُط في سواحل افريقية تشكل خطرا ومعارضة قويّة أمـــام الدولة الفاطمية والتّشيع في بلاد المغرب الاسلامي .

لهذا أصبحت افريقية بفضل هذه المنطقة وطبقات زهادها موضع احترام و تقدير من الأمة الاسلامية وفضائلها حاضرة في الأحاديث والآثار الموضوعـــة في كتب الطبقات وهي تدل على تعلق الأمة بهذا الجناح الهام من العالم الاسلامي، وعاصر الأغالبة إباضية الدّولة الرستميـــة بالمغرب الأوسط (81)

---

(79) ـ أمير أغلبي توفي بمكة عام 296هـ شكر زهده وفضله الامام الطرطوشي أنظر: أخباره أبوبكر الطرطوشي سراج الملوك ط1 المطبعة المحمودية القاهرة 1935 ص37 .
(80) ـ نفســه ص37 أنظر ترجمة معالم الايمان ج2/ ص214ـ215 .

(81) ـ ارتبط قيام هذه الدولة بعبد الرحمن بن رستم الفارسي ، بايعه الناس بالامامة عـــام 162هـ ويعتبر عبد الرحمن بن رستم وابنه عبد الوهاب وأفلح العصر الذهبي لهذه الدولة المترامية الأطراف، على إثر تعفــــن جهازها السياسي وبروز الفتن المذهبية وظهور الدعوة الشيعية بافريقيـــة . أنظر : ـ أبو زكريا ء (يحي بن أبي بكر) كتاب سيّر الأئمة وأخبارهم تحقيق اسماعيل العربي ، المكتبة الوطنية الجزائر 1399هـ/ 1979م ص112 وما بعدها اسماعيل محمود الخوارج في المغرب الاسلامي (ليبيـــا ـ تونس الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا) دار العودة بيروت 1976 ص107 .

والتي أحاطت بها من جميع الجهات تقريبا (82) وحكمت معظم أقاليم المغربين الأدنى والأوسط ، قرابة قرن وربع قرن من الزمان (83) (161هـ 297هـ/ 778–911م) وعاشت الدولة في حالة صراع وتوازن بين الامارات المحيطة بها الا أن العداء التقليدي بينهم وبين العباسيين ، قد انتقل الى خلفائهم بافريقية – الأغالبة – الذين قضوا على السيطرة الرستمية نوعا ما بافتكاكهم لمنطقة قفصة وبلاد الجريد عام (224هـ/ 838م) (84) وهو المضيق الذي يربط بين تاهرت وطرابلس الغرب وعلى هذا فدولة الرستميين دولة صحراوية لذلك احتكرها جيرانهم الاغالبة في حوض البحر المتوسط(85) وهو ما جعل الربط الساحلية وحتى الروابط الداخلية في الغالب من تأسيس الأغالبة والأدارسة وعلى الرغم مما عرف عن علماء الاباضية من تعفف وتسامح

---

(82) – كانت دولة الأغالبة محاطة من جميع الجهات بالدولة الرستمية وهو ما يفسر الاحتكاك الحربي بين الامارتين ، وعلى الرغم مما عرف عن بني رستم من سياسة موادعة ودفاع مع الأغالبة وامارات المنطقة فانها كانت من حين لآخر تعلن الحرب على جيرانها أنظر: – أبو زكريا كتاب سير الأئمة ، ص9 .

(83) – اسماعيل محمود ، الخوارج في المغرب الاسلامي ص114 .

(84) – أبو زكرياء ، كتاب سير الأئمة ص9 .

(85) – اسماعيل محمود ، الخوارج في المغرب الاسلامي ص136 .

فاننا لا نكاد نعرف أسلوب الدعوة و المرابطة فى المحارس و الأبراج والرّابط التى اشتهر بها جيرانهم مالكية المغرب الاسلامي اللّهم الّا اذا اعتبرنا العزابــة (86) صورة من صور المرابطة لطلب العلم .

(86) – عوض محمد خليفات ، النظم الإجتماعية و التّربوية عند الاباضيــة فى شمال إفريقية فى مرحلة الكتمان ، عمان 1982 ص27 .

+ ـ الرّباط وعصر الصّراع المذهبي (نهاية ق3هـ ـ 5هـ/ 9م ـ 11م)

بإنتهاء دولة الأغالبة السّنية على اثر انتصار الدّاعية الصنعاني ابي عبد الله الشيعي (87) في كثير من أوطان المغرب الاسلامي ورحيل آخر أمير أغلبي زيادة الله بن عبد الله (88) عرفت حركة الرّباط والمرابطة صورة جديدة للصراع المذهبي في الدّاخل كما عرفت العمليات الثغرية صراعا عنيفا في حوض المتوسط بين بيزنطة والدولة الأموية في الأندلس ودولة الفواطم الإسماعيلية التي ترى أن عبد الله المهدي هو المهدي المنتظر ، مخالفة بذلك بعض الفرق الشيعية الأخرى

---

(87) ـ أبو عبد الله الصنعاني داعية فاطمي شأن كل الدّعاة أرسى رسالة الفواطم على غرار ما فعل أبو مسلم الخراساني مع العباسيين وعرف نفس مصير صاحبه في المشرق وعن طريق التعليم والدّعوة للمذهب الاسماعيلي في بلاد كتامة بالجزائر (المغرب الأوسط) تمكن من الانتصار وتنصيب عبد الله المهدي إماما شيعيا في رقادة وبلاد افريقية والمغرب: قُتِلَ مع أخيه أبي العباس عام 298 هـ بسبب معارضتهما لسياسة المهدي الشيعي الضرائبية وأشياء أخرى ذكرها المؤرخون أنظر: ـ ابن عذاري ، البيان جـ1/ ص164

محمد شعبان ، الدولة العباسية ، الفاطمية ، ص227.

(88) ـ توفي هذا الشكير ببلاد الشام عام 303هـ أنظر أخباره ، ابن عذاري ، البيان جـ1/ ص173.

فى ظاهرة المهدويـــــة (89) .

وعلى اثر تنصيبه اماما شرعيا أعلن عبيد الله المهدي أنه المهـــدى المنتظر(وأمر أن تقلع من المساجد والمواجل والقصور والقناطر أسمـــاء الذين بنوها وكتب عليها اسمه وأظهر التّشيع النبيح على حد قول ابـــن عذارى المرّاكشى (90) وسب أصحاب النّبي وأزواجه حاشى على بـــن أبي طالب والمقداد بن الاسود وعّمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبـــي ذر الغفارى (91) وأحدث فى البلاد أشياء أغضبت حتى معلم كتامـــة (92) فقتله مدّعيا لخاصته فى المشرق أنه تلهيزالهمن الشيطان (93) .

---

(89) . أخذت ظاهرة المهدى المنتظر مجالا واسعا من الدراســـات الاسلامية والاستشراقيـــة وكل ذهب مذهبه وعن هذه القضية الهامة راجع: مرتضى مطّهرى ، نهضة المهدى فى ضوء فلسفة التاريخ تعريب محمد علـــى آذرشت الطبعة الثانية مؤسسة البعثة طهران 1401هـ / ص8 .
محمد فريد حجاب المهدى المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1984 ص73 ، عبد المجيد النّجار ، المهدى بن تومرت ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1983 ، ص240 وما بعدها .
(90) ـ هو أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشي كان حيا سنة 712هـ صاحب البيان المغرب وهو تاريخ عام للمغرب والأندلس منذ الفتح الى بداية عصر المرينيين أنظر مختار العبّادى فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص330 .
(91) ـ ابن عذارى ، البيان جـ1/ ص159 .
(92) ـ هو الداعية الصنعاني المذكور آنفا .
(93) ـ ابن عذارى البيان ، جـ1/ ص159 .

فعلى الصعيد الثغري تميّزت جهود الدّولة الفاطمية بتحصيرها للمنطقة و حراســـة سواحلها بأسطول بحري ، حتى كان للفاطميين أكبر دور فى السياسة الاسلامية على ضفاف البحر الابيض المتوسط (94) حتى فاقوا الاغالبة فى شدّة العناية بالاساطيل والعناية بحراســـة ثغورها (ويسجل انشاء مدينـــة المهدية (95) فى سنـــة 303هـ/ 915م) أول اجراء عطي قام بـــــه الفاطميون لتطبيق سياسة بحرية) (96) وكان المهدى حريصا على انشـــاء الاسطول الفاطمي لتنفيذ سياسته التّوسعية سواء فى الاندلس أوفي بـــلاد المشرق أوفى الثغور البيزنطية ومن خلال هذا نجد أن معارك الفتـــح فى هذه المنطقة ستكون بحرية أكثر منها معارك (برّية وعليه فان الفريـــق الاقوى أسطولا والامنع حصونا ستكون له الغلبة) (97) لهذا ناجـــز

(94) ـ حسن حسني عبد الوهاب ، شهيرات التونسيات ، ص62.

(95) ـ مدينة منسوبة الى المهدى عبيد الله الشّيعي ، بينها وبين القيروان ستو ميلا ،بقيت دار ملك العبيديين الى أن انتقل المعز لدين الله الفاطمي الى القاهرة ، وكانت للمهدى مدنتين ،المهدية يسكنها السلطان وجنوده وزوية يسكنها الناس ،استولى عليها النورماند عام 543هـ/ 1150م الــى أن حرّرها عبد المؤمن بن على موحّد بلاد المغرب الاسلامي أنظر : ابن عذارى ، البيان ج1 / ص207.

عبد المنعم الحميري ، الرّوض المعطار ،ص 562.

(96) ـ العبادي ، سالم البحرية فى المغرب والاندلس،ص136.

(97) ـ صالح بن قرية ،حسان بن النّعمان ودوره فى نشر الاسلام بالمغرب (مجلة الأصالة) عدد 64 الجزائر 1978 ص59.

الخلفاء الفاطميون أهل الأندلس وصقلية على مستوى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط وفي عهد المهدى تمكن الفاطميون من الانتصار في كثير من المعارك في صقلية على الرغم ما أحدثته ثورة ابن قرهب (98) الذى ينتمي الى أسرة وثيقة الصّلة ببني الاغلب ، ثم تجّددت هذه الثورات فاجتمع الناس في صقلية على ابن قرهب أصبح في فترة قصيرة صاحب ادارة سنية حازمة وشعبية الى أن هزمه الفاطميون وأمر المهدي باعدامه ثم توّطدت سيطرة الفاطميين على الجزيرة واستمرت الدعوة الاسماعيلية بكياسة كبيرة ، وفي عهد المنصور (335 ـ 342هـ/ 946 ـ 953م) (99) بدأت سياسة جديدة في صقلية وهذا بتكليف الأسرة الكلبية بحكم الجزيرة .+

نيابة عنهم ، ولهذا كانت هذه الأسرة (100) التي ارتبطت بها صقلية

---

(98) ـ عزيز أحمد صقلية الاسلامية ، ص 32 وما بعدها .

(99) ـ ابن حمّاد ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ص 32 .

+ ـ أنظر: Rizzitano, U., Ifriqiya et Sikilliyya un jumelage méditerranéen (Actes Premier Congrès d'histoire de la civilisation Tun[illegible]) 202

(100) ـ اسس هذه الأسرة الحسن بن على بن أبي الحسين الذى ولاه المنصور الفاطمي صقلية قدام حكمها 90 سنة وبرحيل المعز الى القاهرة أصبحت الاسرة الكلبية عطيا تتوارث حكم صقلية ، حيث ساد في عهدهم الهدوء النّسبي وانشاء المستوطنات والقلاع والحصون وظلوا على ولائهم التّام للفاطميين الذين انعموا عليهم بألقاب شريفة أنظر : عزيز أحمد : صقلية ص38 .

فى العصر الفاطمي قد تولت مهمة الصراع مع بيزنطة حول الثغور الايطالية وخاصة مقاطعتين كمتانا(campagna)المعقل الرئيسي للحملات الاسلامية وكذلك فرضة قلورية calabria المقاطعة الايطالية الجنوبية الحساسة فى الاعمال الثغرية بين بيزنطة فى الجنوب وصقلية الاسلامية (101) وبقيت صقلية على ولائها الفاطمي حتى بعد رحيل المعز لدين الله الفاطمي الى عاصمته الجديدة بمصر القاهرة .

وأما الصراع البيزنطي الفاطمي فقد كانت له أماكن أخرى غير صقلية بعيد ازدهار حركة الفتح فى بلاد الشام (102) على اثر انحسار الوجود العباسي فى هذه المنطقة .

وأما السياسة الفاطمية الأندلسية فقد اتصفت بالعداء السياسي والمذهبي وتحولت ثغور المغرب الأقصى الى ميادين صراع بين الخلفاء الفاطميين وأمراء الاندلس ، حيث أن عبيد الله المهدى منذ أن استقرت خلافته فى افريقية

---

(101) ـ كانت بداية الدولة الاسلامية فى صقلية قد طبقت سياسة هجومية على جنوب غرب ووسط ايطاليا الا أنه حينما دب الضعف الامارة الكلبية فانها اتبعت سياسة دفاعية حتى قضى عليها يدى النورماند .

(102) ـ تحدثنا فى الفصل الاول عن الصراع الفاطمي البيزنطي ولمزيد من الاطلاع راجع : ـ جمال الدين سرور سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربي بيروت ، 1967 ص239 .

بعث بدعاية الى بلاد الاندلس لنشر الدعوة الفاطمية (لكن الجهود التي بذلت في هذا السبيل لم تكلل بالنجاح حتى عهد المعز لدين الله (103) فلم تجذب تلك الدعوة اليها الا فريقا ضئيلا من رجال الفكر الأندلسيين) (104) .

وكان نشاط الدّعاة الشيعة في الاندلس أصبح كيان الامويين بالاندلس، لذلك تطورت البحرية الاندلسية على عهد الرحمن النّاصر، فبلغت دور الصناعة أوج عظمتها فكانت عناية عبدالرحمن النّاصر (105) بهذا الاسطول كبيرة حدّدت سياسته الافريقية وقد عاصر هذا الصراع البحري والجدل المذهبي القاضي النّعمان (106) ونشر أبعاده من زاوية

(103) ـ الخليفة الفاطمي الرّابع توفي بالقاهرة سنة 365هـ بعد أن قضى أربعة وعشرين سنة في مقعد الخلافة، وهو من كبار رجال العلم والحرب والسياسة أنظر ثامر، المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى دار الافاق الجديدة بيروت 1982 ص67 وما بعدها .

(104) سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص219 .

(105) ـ تولى الامارة عام 300هـ/ 912م وقد جاء الى حكم الأندلس وهي مضطربة، فأتبع سياسة والتّرغيب، استطاع توحيد الأندلس وبعض الثغور في أرض العدو، تحدى الخلافة الفاطمية وأعلن نفسه خليفة عام 316هـ/ 28 9 أنظر: عبد العزيز سالم تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النّهضة العربية بيروت 1981 ص279 وما بعدها .

(106) شخصية اسماعيلية لانكاد نجد من بين رجال الدولة الفاطمية من خدم الاسماعيلية مثله ولد عام 283هـ/ وتوفي في القاهرة عام 363هـ/ 974م من كتبه الهامة في التاريخ الفاطمي رسالة افتتاح الدعوة (وكتاب المجالس والمسايرات) أنظر: القاضي النعمان كتاب المجالس والمسايرات تحقيق ابراهيم شبوح وزملائه تونس 1978 ص5 وما بعدها .

فاطمية (107) وأما السّيطرة على البر الافريقي وبلاد المغرب فقد كانت هاجس المهدى وخلفاء الدولة الفاطمية الاساس لهذه الدولة الشيعية الاسماعيلية فمؤسسها المهدى قبل وفاته عام 322هـ/ 936م (صفا له الملك فملك افريقيــة كلّها والمغرب بأسره وملك طرابلس وجزيرة جربة) (108) كما تطلّع مبكــرا الى سياسة المشرقية فملك الاسكندرية والفيّوم وبعض المناطق من أرض الصّعيد (109) وكان الصراع على الجبهات المتعددة هو الذى أوهن الـــــــقوى الفاطمية وفسّر بعض المؤرخيين التطلعات المشرقية للدولة الفاطمية بأنها تعود للعداء التقليدى بين هذه الدولة والعباسيين ويرى البعض أن المعزلديـــن الله الفاطمي كان يجهل الاقتصاد الافريقي وقوة الذّهب والملح القادم مــن السّودان لذلك كان الصّراع الاموى الفاطمى ظاهره استراتيجي مــــــذهبي وباطنه من السيطـــرة الاندلسيــــــة في الـــــقرن الرابع الهجرى/ العشر الميلادى (110) .

---

(107) ــ عن هذا الصراع أنظر: مختار حساني الصراع بين الفاطميين و الأمويين على السّيادة في المغرب الاسلامي (رسالة جامعية اشراف الدكتور لقبال موسى جامعة الجزائر 1978ــ79، ص35 وما بعدها .

(108) ــ ابن حماد الصنهاجي أخبار ملوك بني عبيد ، ص23 .

(109) ــ نفسه ، ص23 .

(110) ــ عن أبعاد هذا الصراع أنظر: أرشيبالد لويس القوى البحرية و التجارية ص260، الحبيب الجنحاني (الخلفية الاقتصادية للصراع الأموى في المغرب ق4هـ 10م) دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادى و الاجتماعي للمغرب الاسلامي ، دار الطليعة بيروت 1980 ص70 وما بعدها .

وكان هذا الصراع يدعو الخلفاء الفاطميين الى احكام السيطرة على المنطقة ولهذا لانجد في كثير من الاحيان قيام الدولة بحراسة ثغورها الا أنه وعلى أساس المصادر والدراسات المتوفرة لدينا فاننا لم نعثر على نصوص تبيّن بناء الفاطميين لربط كما فعل الاغالبة ، بل نجد أن العمارة الدينية والحربية (111) قد اعتمدت على ما خلفته امارة الاغالبة من حصون وقلاع فهذا جوهر الصّقلي (112) قد قام ببناء سلسلة من الحصون من القيروان الى القاهرة أما في بقية بلاد المغرب فان الفاطميين قد قاموا بترميم الحصون والقلاع الاغلبية كترميم قلعة بلزمة وقلعة زناتة أعداء الفاطميين الالدّا (113) الذين سبّبوا لها أتعابا كثيرة خاصة فرع مغراوة برئاسة محمد بن خزر الذى تركز نشاطه في النّواحي الغربية من المغرب الاسلامي (114) والفرع اليفرني بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد بثورته

---

(111) ـ اعتمدت الدولة الفاطمية على ترميم الحصون وتجديد الأسوار للدفاع وبناء مسجد المهدية في افريقية والازهر في القاهرة فيما بعد للدعوة الاسماعيلية ويلاحظ بعض التّداخل الفنّي الاغلبي ، الفاطمي في العمارة الحربية في بلاد المغرب الاسلامي .

(112) ـ كثر استخدام أهل صقلية كعمال وقادة في العهد الفاطمي وأبرز هؤلاء على الخصوص جوهر الصقلي فاتح مصر أيام المعز لدين الله . أنظر: على ابراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1963 ص14

(113) ـ ...ان مصطفى زبيّس ، الفن الاسلامي بالمغرب في عهد الفاطميين (محاضرة ماتقي القاضي النعمان) منشورات الحياة الثقافية تونس 1977 ص79 .

(114) محمد بن عميرة ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ، الطبعة الأولى ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص194 .

العارمة فى المغرب الاوسط و أفريقية (115) .

وأما دور الربط فى هذا الصراع ، فيظهر من خلال الزّهاد و رجال المالكية الذين تبنّوا معارضة الدولة الفاطمية ، فبعد أن حققت الرّبط الهدف الذى أنشئت من أجله و هو حماية ثغور افريقية من عادية البيزنطيين ، و مكّنت للسلام و الحضارة الاسلامية من الانتشار في مأمن من الغزاة (116) فانّها هذه المرّة قد حملت روح المعارضة للدولة الفاطمية التي رفضت التّشيّع على الناس فكانت ربط افريقية التى عمّرها زهاد وفقهاء المالكية الذين ثبّتوا أقدامهم فى القيروان و بسطوا ظلهم على افريقية و (أشاعوا بين الناس تقاليدهم

---

(115) ـ قام أبو يزيد اليفرني النّكاري بثورته العارمة التى كادت تسقط الخلافة الفاطمية و الصراع يحمل فى ظاهره طابعًا مذهبيًا وقبليًا و البعض أعطاه طابعًا استقلاليًا للمغاربة فالثورة على كتامة من طرف زناتة تدخل فى هذا الاطار أنظر : ـ عماد الدّين القرشي ، عيون الاخبار وفنون الآثار ، الجزء الخامس فقرات حققها ونشرها فرحات الدّشراوى بعنوان (تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب (المهدى ، القائم ، المنصور ، ثورة أبي يزيد) مطابع الاتحاد العام تونسي ص246 . سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر سياستها الداخلية و مظاهر الحضارة فى عهدها ، ص 29 ، د . لقبال موسى المعز لدين الله وجيل جديد من كتامة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة) اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب وحضارته (المرجع السابق) ص197 ، احسان عباس ، مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (نظرة تقييمية) اشغال المؤتمر الاول ص113 وما بعدها .

(116) ـ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ص130 .

من الشدّة والورع عن مصاحبة السلطان ومحاربة أهل الأهواء والبدع و والميل الى التّقشف والزّهد في متع الدنيا وغدوا قبلة الناس ومحط رجائهم) (117) هذه العوامل أخرجت الرّبط من وظيفتها العسكرية من ايواء للجند المدافعين عن الثغور ورد أساطيل الغزاة بل اتّجهت الى تحدّي الخلافة الفاطمية ، وينقل لنا صاحب رياض النّفوس بشئ من الحماس أخبار مقاومة أهل السّنة بالقيروان للدّعوة الشيعية التي حاول المهدي عبد الله وخلفاؤه من بعده فرضها على الناس وفيه أيضا أخبار المرابطة في المعاقل والحصون التي أنشأها عرب افريقية (118) وقد بدأت معارضة المالكية للدعوة الاسماعلية منذ الأسبوع الأول لدخول المهدي رقّاده ذلك أنه عندما حلّت صلاة الجمعة أمر المهدي الخطيب بأن يذكره في الخطبة فيقول : عبد الله المهدي بالله أمير المؤمنين (119) وعندها قام أحد رجالات السنة من الحضور وهو أبو يوسف جبلة بن حمّود المرابط (120)

---

(117) ــ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص199 .

(118) ــ المالكي ، رياض النفوس الجزء الأول تحقيق بشير البكوش دار الغرب الاسلامي بيروت 1983 ص7 .

(119) ــ سهيل زكّار ، الفكر الاسماعلي في تطوره الافريقي ، ملتقى القاضي النعمان ص40 .

(120) ــ هو أبو يوسف جبلة بن حمودة بن عبد الرحمن الصدفي المولود سنة 210هـ ، كان من زهاد رباط قصر الطوب ومعلم القيروان يسمونه جبلة بن حمّود المرابط توفي عام 296هـ ومحنته مع الشيعة معلومة أنظر: المالكي، رياض النفوس جـ2/ ص41 ، معالم الايمان جـ2/ ص270ــ299 .

بقصر الطوب وهو[121] يقول : قطعوها قطعهم الله ويكررها يعني الخطبة لبني العباس وقام الفقهاء ووجوه البلد معه .

(وجلس بعد الخطبة رجل يعرف بالشريف ومعه الدّعاة واحضروا النـاس بالعنف والشّدة ، هذا بالاضافة الى اعتماد رجال المذهب الشيعي (فى كسب ولاء الناس وفى اصطناع الرّجال والزّحف على بقية المذاهب على الطائفة والمال والجاه) (122) وأخذ قاضي المهدى أموال الناس والاحبـاس والحصون وأخذ سلاحها التى على البحر وأمر الفقهاء أن لا يفتوا ولا يكتبـوا وثيقة الا من أعلى ولاءه للدولة العبيدية ويصف المالكي (123) حال أهـل الرّباط على اثر هذا الصّراع فيقول : (ان الذين ماتوا فى دار البحـــر بالمهدية من حين دخل عبيد الله الى الآن أربعة آلاف رجل فى الغدا

---

(121) ــ قصر الطّوب : رباط صغير به جملة غرف كانت معدة لنزول العباد الصالحين ومكانه كما يقول حسن حسني عبد الوهاب معروف بناحية تسمى سيدي عبد الحميد على بعد 5كلم هذا الرّباط بناه أبو العباس محمد بـن الاغلب رابط به محمد بن سحنون وغير أنظر : حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات جـ2/ ص88 وما بعدها .

(122) ــ موسى لقبال ، المغرب الاسلامي ، ص151 .

(123) ــ المالكي : مؤلف رياض النفوس وأحد المصادر الهامة فى حركة الرّباط والثغور أنظر: دراسات المصادر والمراجع .

ما بين عالم وعابد ، ورجل صالح) (124) وقد قام رجال الدولة باجلاء (أهل الرّبط والحصون والمتعبدين الى الله) بل تفننوا في تعذيب الناس وبثّوا العيون عليهم في صلاتهم ينكلون بكل من لا ينصاع لأوامراهم أويدخل في دعوتهم (125) و (قد تكون هذه الروايات التي اعتمدنا عليها قد انتحلها أهل السنة المبغضون لبني عبيد ولكنها على كل حال تبين كيف أن الفاطميين أخذوا الناس بالشّدة وعملوا بكل وسيلة على التنكيل بالفقهاء المالكيين) (126) والأفارقة متعصبون لمذهب الامام مالك (127) اذ أن عوامل عديدة تضافرت عبر العصور على أن تجعل المغرب الاسلامي ميدانا شبه مطلق للمالكيـة) (128) .

فقد وقف المالكيون سكان الثغور والرّبط وقفة رجل واحد في وجه بني عبيد وافتوا بتكفيرهم ولا تخطب لهم جمعة بل كل خطب لهم على منبر يعتبر كافرا ، يقتل ولا يستتاب وتحرم عليه زوجته ولا يرث ولا يورث واعتبروا الفاطميين زنادقة لما أظهروه من خلاف الشريعة ونادوا بقتلهم حيث وجدوهم كما يقتل الزّنادقة (129) .

---

(124) ـ المالكي ، رياض النفوس ، جـ2 / ص345 .
(125) ـ حسن أحمود محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص96 .
(126) ـ نفسـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـه ، ص 96 .
(127) ـ خوليان ريبيرا ، التربية الاسلامية في الأندلس ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف القاهرة ، ص250 .
(128) ـ سعد غراب ، المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الاسلامي ، سلسلة الدراسات الاجتماعية تونس 1978 ، 249 .
(129) ـ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، 96 .

فكانت المقاطعة جريئة ، فهذا الطبيب أحمد بن الجزّار المرابط (130) الزّاهد الذى رفض أن يدفع له القاضي النعمان بن حيون أجرة تطبيبه وعنايته بإبن أخيه، ورفض أن يكون صاحب نعمة جاءته من أحد رجال المحز لدين الله (131) ومع هذا أهْمِلَ من كتب أهل السنة وفي هذا يقول حسن حسني عبد الوهاب : (ورأيت عبارة أوردها المالكي عرضا في كتابه رياض النفوس تشير الى أن ابن الجزار ربما كان يميل الى التّشيع حيث قال : (كان ابن الجزار الطبيب على خلاف السنة) وقد لا يبعد ذلك اذا علمنا أنه وضع تاريخا خاصا لمبتدأ دولة الفاطميين الشّيعة (132) بافريقية

---

(130) ـ كان يرابط بالمنستير كل صيف مدة شهر ،عرف بتدينه وتقواه وكراهيته لمصاحبة السلطان أو أخذ أموالهم وأعطياتهم توفي عام 369هـ/ 980م تاركا ثروة طائلة . ح . ح عبد الوهاب ، ورقات جـ1/ ص306 . ابن الجزار القيرواني ،كتاب سياسة الصبيان وتربيتهم تحقيق محمد الحبيب الهيلة ،الطبعة الثانية دار الغرب الاسلامي بيروت 1984 ص18 وما بعدها .

(131) ـ ابن الجزار ،سياسة الصبيان ،ص21 ، ح .ح . عبد الوهاب ورقات جـ1 / ص308 .

(132) ـ أنظر عن هذا التاريخ :
Omar Saïdi, Kitab Al uyun wa-l-Hadaiq Fi Akhbar al Haqaiq Tome IV Extrait relatifs à l'occident musulman et en particulier l'Ifriqiya (256-350H) Revue des Sciences Humaines (Les cahiers de Tunisie Tome XX No 74-80 Tunis 1972. P 46.

ويؤيد ه أيضا الصحبة الأكيدة بينه وبين أبي طالب عم المعز وهو من رجال الشّيعة) (133) بالاضافة الى مقاطعته حتى الزّهاد والعبّاد والمرابطين ، أصحاب الميول الشيعية وترك صلاة الجمعة (134) فان المالكية قد آزرت ثورة الخارجي النّكاري اليفرني أبي يزيد مخلد بن كيداد واعتبروه من أهل القبلة (135) . (وما أظن أن مساند ه عبد الرحمن الناصر

---

(133) ـ ح . ح . عبد الوهاب ، ورقات ج1/ ص309 .

(134) ـ أول من تركها جبلة بن حمود الصدفي أنظر : المالكي ، رياض النفوس ج2/ ص43 ، معالم الايمان ج2 / ص272 ـ 273

القاضي عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج1 / ص270ـ299 .

د . لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري (ش.و.ن.ت) الجزائر 1979 ص 421 .

(135) ـ يلاحظ التطرف في الكتب السّنية حول الفاطميين فهذا ابن ناجي يقول : (قال الحراني : فأفرط في ذمهم في هذا الكتاب ثم انه في كتابه المسمى (بواسطة النّظام في تواريخ ملوك الاسلام) ذكر ضد ذلك ووصفهم بأوصاف حميدة من تغيير المنكر والنّهي عن شرب الخمر وابرأهم من المدام كلّها التي نسبت اليهم ونسبها لبعض دعاتهم وأنهم لما اتصل بهم منها ما اتصل عن بعض دعاتهم عاقبوهم أشد العقوبة على ذلك وتبرأوا منهم وأن المنصور بالله اسماعيل بن أبي القاسم كان محسنا لرعيته فصيح اللسان أسقط الخراج عن الرعية حتى صلحت أحوالهم وكان قاضيه محمد بن أبي المنصور في غاية الدين ومحبة الفقهاء والصالحين ... هكذا ذكره فليت شعري على أي قولين يعول في ذلك هل على ما نقل في معالم الايمان من ذمهم وتكفيرهم ؟ أو على ما نقله في كتاب تاريخ ملوك الاسلام من الاوصاف الحميدة والسّير المرضية؟ الدباغ ، معالم الايمان ج1/ ص25 -26 .

لقبال موسي دور كتامة في الخلافة الفاطمية ص 425 .

حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ص17، معالم الايمان ج3/ ص29

خليفة قرطبة وهو مالكي لأبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الّا مجاراة منه للمالكيــة بافريقية) (136) .

وقد أُحيطَ هذا الثّائر بملابسات بحيث صاحب حركته قطاعة وتقتيل (137) وقد كانت ثورته متنفّســا لعلماء السّنة وعامتهم فانحازوا اليه وناصروه (138) وكادوا يقضون على الدولة الفاطمية ولو أنّهم بعد ذلك تبين لهم سوء نيتـــه معهم وغدره ففارقوه وكان ذلك بداية انهزامه (139) وسوء نيّة هذا الخارجي ينقلها لنا ابن عذارى في رواية يقول فيها : ولما رأى أبو يزيد أنه قد استولـى على الأمر أوكاد وأن الشّيعي قد كاد يبيد أوباه قال لجنوده (اذا التقيتـــم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم فيكونوا هـــم الذين قتلوهم لانحن فنستريح منهم) (140) .

أراد أبو يزيد أن يتبرأ من معرّة قتلهم عند الناس وأراد الرّاحة منهـــم لأنّه فيما ظن أنه اذا قُتِلَ شيوخ القيروان وأئمة الدّين تمكن من أتباعهـــم فيدعوهم الى ما شاء فيتبعونه فقُتِّيِلَ من صلحاء القيروان وفقهائها من أراد الله سبحانه شهادته، فاشتد بغضهم له ففارقوه ، فاذا كان بعض المستشـــرقيــن

---

(136) ــ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك جـ1/ ص13 .

(137) ــ المطوي ، سيرة القيروان ص33 .

(138) ــ أبو العرب ، كتاب المحن ، ص8 .

(139) ــ ابن عذارى ، البيان جـ1 / ص318 .

(140) ــ نفســــــه ، 318 .

يرون أن الفاطميين قضوا على أئمة الفقه المالكي (141) لأنّهم لم يشتدوا الّا على أولئك الذين كانوا يستطعون بحركات معادية أن يجرّوا جمهور الناس و يخلقوا لهم صعوبات سياسية) (142) فان الثائر الخارجي النّكاري أراد القضاء على أهل القيروان وعلماء الدّين فيها بأيد فاطمية حتى يتمكن من قيادة العامة ، فكيف تصبح حركته (جهادا لاعلاء كلمة الاسلام) (143) وما هي الّا حركة تحركها أصابع أندلسية ذات أبعاد قبليــة ومذهبيــة و طموحات شخصية لابي يزيد (144) .

هذا التفانّي و طلب الشهادة في سبيل المنة ومذهب مالك (145) تركت

---

(141) ـ ابن عذارى ، البيان ـ جـ1/ 318 .

(142) ـ ألفرد بل ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ص200 .

(143) ـ يتبنى هذه الفكرة صاحب الكتاب السابق ذكره (ثورة أبي يزيد ...)

(144) ـ أيد عبد الرحمن النّاصر هذه الحركة تأييدا عريضا و مولها بالاموال و الدّعاية السياسية ، و الصراع يدور بين كتامة صاحبة الهوى الشيعي وزناتة وفروعها الاباضية النّكارية والصفرية ذات الهوى الأموى و الصراع السياسي مذهبي ولصاحب الثورة طموحات شخصية فسرها ابن عذارى وغيره من المؤرخين أبو العرب ، كتاب المحن ص8 و ما بعدها ، أنظر أيضا وجهة نظر فاطمية في هذه الثورة : القاضي النعمان ، كتاب المجالس و المسايرات ص72 ، أبو زكريا ، كتاب سير الائمة وأخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربي ، ص115 .

(145) ـ أنظر هذه الصورة : ـ موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ص411 ، سهيل زكّار ، الفكر الاسماعيلي في تطوره الافريقي ، ص41 .

جيـــلا ينظر الى الزّهاد والمرابطين وأهل القيروان (أيام شهداء المالكية)
نظرة إجلال وتقدير وبعد رحيل المعز لدين الله، 361هـ/ 974م وبمجـيء
المعز بن باديس (146) بدأعهد الاســتقلال العملي عن الخلافة الفاطمية
في مصر، رغم المدّة الطّويلة التى قضاها على ولائـــه لخلفـاء القاهرة، ومنذ
رحيل الفاطميين وبدايـة عهدهم فى الشرق وحكام الاسرة الزّيريــة يحســون
أنّهم أصحاب حق وزعامة فى المغرب وما ولاؤهم الا علطية دهاء سياسي وعسكرى
وانتصاريهم كقوة على أعدائهم من زناتة .

وعرف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى من الناحية المذهبية
أكبر انتصار فى تاريخ المغرب الاسلامي بوجـه عام وهوانتصـار المـذهب
المالكي حتى سيطر على المستوى الشّعبي سيطرة عامة فأصبح (فى نظر المغاربة
مذهبا وعقيدة وطنيــة) (147) وتمســك أهـل المغرب بمذهب مـالـك

---

(146) ـ هو رابع أمراء الدولة الزيريـة وعصبيتها صنهاجة حكمت بلاد افريقية من 361 الى 555هـ وقد حكم المعز من 407 الى 422هـ واعتبر المؤرخون عصـره مرحلة ذهبية في افريقية رغم ما عرفته من هجومات زناتة فاشلة وما عرفته حركة المجتمع من مجاعات وحركة الاعراب الهلالية أنظر : ح ح عبد الوهاب، ورقات ج1/ ص343
ح ح عبد الوهاب، بساط العقيق ص65
H.R. Idris, La Berbérie orientale sous les Zirides Tome I
librairie d'Amérique et d'orient PARIS 1962. P127.

(147) ـ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص90.

يعبّر عن هذه النزعة الاستقلالية ، فقد وقف أهل مالك ورجال السنة بافريقية فى وجه بني عبيد بكل الطرق التي أتيحت لهم (148) وبهذا جاء انتصار السنة على الشيعة أكبر انتصار لصلحاء الربط و السواحل (149) .

---

(148) ـ عبد الحليم عبريس، صورة العالم الاسلامي فى النصف الأخير من القرن الخامس الهجرى (مجلة دعوة الحق) العدد الثاني و الثالث السنة الرابعة عشرة المغرب 1975 ص 92 .

(149) ـ (يبدو الارتباط بين المغاربة و الفاطميين كان فى جوهره ارتباط مصالح سياسية اذ لم يكن الارتباط مذهبيا وعقائديا عميقا ولذلك كانت العلاقة المغربية الفاطمية تنقلب حسب الظروف و الأحوال السياسية أنظر: أحمد مختار العبّادى : سياسة الفاطميين نحو المغرب و الأندلس (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية) المجلد الخامس العدد الاول و الثاني مدريد 1957 ص213 .

رابعا : الربط والمرابطة في بالمغرب الاقصى الى قيام دولة المرابطين

كان المغرب الاقصى ، قبل مجئ المرابطين تتقاسمه أربعة قوى هي غمارة في الشمال (150) وقبائل برغواطة في الغرب (151) وزناتة تكون نطاقا حول هذه القبائل بعد سقوط الادارسة (152) ثم طوائف الشيعة الرّافضة والوثنيين في الجنوب تبارودانت عاصمة السوس الاقصى التي فشلت دولة في القضاء عليهم وعلى صفرية سجلماسة .

---

(150) ـ تسمى قبائل غمارة جبال الريف الممتدة بحذاء البحر المتوسط من نواحي سبتة وطنجة غربا الى وادى نكور بالقرب من الحسيمة الحالية شرقا و تمتد جنوبا الى قرب فاس ، ويبدو أن هذه القبائل قد انحرفت عن الاسلام في القرن الرابع الهجري وظهر فيها متنبئون ومشعوذون وهم على ما يبدو على علاقة بدولة برغواطة في المغرب المنحرفة : ـ ابن خلدون ، العبر ، ج 6/ ص 439 وما بعدها أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، 277 .

(151) ـ دولة برغواطة هي مجموعة من القبائل المغربية ، وحدها طريف المطغرى الذى تنبأ وشرّع لهم شرائع غريبة وأوجد لهم (كتابا مقدسا) باللهجة المغربية وقد فشل الأمويون والأدارسة والفاطميون وكل الدول المتعاقبة في القضاء عليها الى أن قضي عليها في عهد دولة المرابطين . راجع : ابن خلدون العبر ج6/ ص428 . العبّادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ص274 ، عبدالعزيز فيلالي دولة برغواطة نشأتها وديانتها وعلاقتها بجيرانها (مجلة سيرتا) (لجامعة قسنطينة) العدد الثاني ، السّنة الأولى الجزائر (نوفمبر 1979م) ص 48 - 59)

(152) ـ قامت دولة الأدارسة سنة 172 وهي دولة علوية ثبتت الاسلام في داخل المغرب الأقصى والجهة الغربية من المغرب الأوسط وعلى عهدها عرفت المنطقة العمران والحضارة الا أنها كانت محاطة بمجموعة كبيرة من القوى السياسية التي أنهكت قوتها ... / ...

وأول عهد المغرب الأقصى بالرّباط يظهر من خلال رباط شاكر (153) أحد أصحاب عقبة بن نافع ، هذا الفاتح العظيم الذي ترك بعض رجاله المتفقهين في الدّين لعمل الخير ونشر الاسلام بين السكان وشاكر (ظل هنالك حتى مماته وأسس رباطا صار يحمل اسمه بعده ونال الرّباط شهرة كبيرة وأصبح مقصدا للأولياء والصوفيين) (154) هذا الرباط القائم لحد الآن بالقرب من مدينة مرّاكش كان من الحصون الهامة لقتال كفار برغواطة .

واستخلص (جورج مارسيه) من كتب الجغرافيين والرّحالة أن الغاية من تأسيس رباط نكور (155) من طرف سعيد بن ادريس في الرّيف وكذلك رباط

.... / ...

راجع عنها من النشأة الى السقوط عام 375هـ اسماعيل العربي ، دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة دار الغرب الاسلامي بيروت 1983 ص51 ومابعدها .

(153) – لا يزال قائما لحد الان وقد بناه يعلي بن مصلين الرجراجي الذى قاتل كفار برغواطة ويطلق عليه العامة اليوم: سيدى شيكر . العبادي في تاريخ المغرب ص283 .

(154) – محمد زنبير ، كيف نشأت الثقافة العلمية بسوس (1– دور سوس في عهد الفتوح الاول) مجلة البحث العلمي العدد 3 ، السنة الاولى المغرب 1964 ص119 .

(155) – يعتبر الباحث المغربي عبد العزيز بنعبد الله أن مدينة نكور هي أول مدينة استحدثت بعد الاسلام في هذه المنطقة ويعارضه الدكتور ابراهيم حركات الذى يرى أن سجلماسة هي أول المدن وهذه المدينة نكور التى أسسها أحد أحفاد صالح سعيد ، واختلف المؤرخون في بعض قضاياها وحدودها أنظر : ابن عذاري البيان المغرب ج1/ ص176 عبد العزيز بنعبد الله مظاهر الحضارة المغربية دار السلمي للتأليف والطباعة الدار البيضاء 1957 ص24 .
Marçais, notes sur les ribats, P.98

شرشال وأرزيو ومرسى مغيلة ورباط وهران (156) في النّاحية الشرقيـة للمغرب الاقصى وهي ربط المغرب الأوسط وفي النّاحية الغربية رباط ســلا والرباط الدّاخلي على طريق الرّابط بين سبتة وفاس وهذه الرّبط التـي عرفتها بلاد المغربين الأوسط والاقصى في منتصف القرن التّاسع الميــلادى كان الهدف منها القضاء على دولة برغواطة في تامسنا (157) مـن جهة ومن جهة أخرى وبناء على شهادة ابن حوقل فانّها ارتبطت بهجمات والغارات النّورماند الذين خرّبوا سواحل المحيط الاطلسي والمنطقة الشمالية أيضا، فهذه مدينة نكور تتعرض لهجماتهم عام 244هـ/ 858م فعاثوا فيهـا فســادا لمدة ثمانية أيام لهذا تضافرت الرّبط على سواحل المحيط الأطلسي (158) فالرّبط السّاحلية والصحراويـة عبارة عن مقدمة أمامية لحماية الأمّـة من أي اعتداء عن رباطات ماسة وفوز ونفّيس التي انتشرت في المنطقة الجنوبية فعلى حدود برغواطة قام رباط ســلا الذى يقول عنه ابن حوقل : (وبسلّة رباط

---

(156) ـ يعتبر رباط أبي مروان (ويكني أبا عبد الملك البوني من رجال القرن الخامس الهجرى) بعنابة ورباط وهران من أهم الرّبط في المغرب الاوسط وعـن رباط وهران وأهمية أنظر: الرّاشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني تحقيق وتقديم المهدى البوعبدلي منشورات وزارة التعليم الأصلي ، مطبعـة البعث قسنطينة 1973 ص186 .

(157) ـ أنظر: Marçais, notes sur les ribats p 8

(158) ـ أنظر : ibidem

يرابط فيه المسلمون و الناس يسكنون و يرابطون برباطات تحف بها ، و ربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف انسان ي... ن في وقت وينقصون لوقت و رباطهم على برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط) (159) .

اذا كان ابن حوقل الذى زار بلاد المغرب فى حدود 340هـ/ 951 م وشاهد أن المرابطين يزيدون على مائة الف انسان فى رباط سلا وحده و يماثلهم فى هذا العدد فى ربط صحراوية أخرى فهذا يبين لنا اقبال الناس على حركة الرّباط و المرابطة وحتى هل سجلماسة (160) الصفرية على عهد محمد بن الفتح عادوا الى السنة و أعلنوا الجهاد على برغواطة وفي هذا يقول ابن حوقل (وكنت ألقيت محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسة يدعو الى غزوهم فى سنة أربعين وثلاثمائة و أظنه ... ولم يبلغ منهم غاية لقلّة اجابة من كان يدعوه الى غزوهم من البربر) (261) و هذا يبين حقيقة أخرى أن الربط فى هذ القرن لم تنجح فى القضاء على فتنة

---

(159) ـ ابن حوقل ، كتاب صورة الارض ، 82 .

(160) ـ سجلماسة: أسسها مدرار بن عبد الله عام 140هـ و هي فى تافيلالت الحالية بالمغرب الاقصى قامت بها الدولة المدرارية الصفرية التى قضى عليها الشيعة الفواطم وكان الشاكر لله الذى تحول الى السنة و تلقب بأمير المؤمنين قد عمل على جهاد البرغواطيين وفشل على اثر انهزامه أمام الدولة الفاطمية أنظر: ياقوت معجم البلدان جـ3/ ص93 الحميرى ، الروض المعطار ، ص305 وما بعدها .

(161) ـ ابن حوقل ، صورة الارض ص 83 .

برغواطة التى أرغمت الكثير من المسلمين على اتباع دينها وانحــرافها (162) هذا على الرغم من حماس أهل المغرب للرّباط حتى أصبح ذوو الحمية من أهل قبائل الصحراء يقومون على ساحل البحر للرباط وحراسة المسلمين بل شغلت روح الرّباط والمرابطة قبائل بأسرها ترابط فى الثغور والسواحل وعلى تخوم بلاد الســودان الغربي وفي افريقية الغربيـــة لحماية مايليهم من بلاد الاســلام من أخطار مايليهم من الجنوب (163) و بهذا تكون الحركة المرابطية أهم ظاهرة دينية وعسكرية عرفها العــالم الاســلامي عموما وبلاد المغرب الاسلامي على الخصوص(164) .

فاذا كانت الرّبط فى افريقية والمغرب الأوسط قد ظل فيها أناس اعتزلوا حياة المدن التى شملتها الفوضى والاضطرابات السياسية وفساد العقيدة فانقطع هؤلاء فى الربّط والمحارس للعبادة وتلقين علوم الدّين ،كما مرّ بنــا وعرفنا أنها قد صدّت العدوان البيزنطي ثم أصبح له دورسلبي فـــى كثير من الأحيان ضد المذاهب الجديدة التى تختلف مع السّنة من قريــب أو بعيد فاذا كانت قد بقيت على هذه الرّسالة فى افريقيــة والمغرب الأوسط فانها فى المغرب الأقصى ،تحولت من حالة الزّهد ودراسة العــلم الــى

(162) ــ أحمد مختار العبادي فى تاريخ المغرب والأندلس ص284 .

(163) ــ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي تاريخ الجزائر العام الجزء الاول الطبعة الرابعة دار الثقافة بيروت لبنان 1980 ص308 .

(164) ــ ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ الجزء الأول دار الرّشاد الحديثة الطبعة الثانيــة ، الدّار البيضاء المغرب الأقصى 1984 ص175 .

حالة التّهيّوء لمحاربة أصحاب المذاهب الضّالة) (165) .

و التربية و الجهاد الرّباطي كما أصطلح على تسميته المؤرخ عثمان الكعاك (166) في بلاد المغرب الاقصى في القرن الخامس الهجري عرفت انتشارا بعيد المدى، حيث أصبح رباط نفيس (167) كأول مؤسسة داخلية بالمغرب الاقصى منطلق النوّاة الصحيحة لهذه الرّوح ((التّغييّرية)) التي انطلقت منه و هذا بتخرج داعية المرابطين عبد الله بن ياسين في هذا الرّباط على يد أحد تلاميذ أبي عمران الفاسي (168) و هو وجاج بن لو اللّمطي (169) .

هذا التغيير في رسالة الرباط و الحركة المرابطية في المغرب الأقصى هي التي أهلته لريادة الغرب الاسلامي مدّة طويلة في عهدي المرابطين والموحدين دولتي الرّباط و المرابطة .

---

(165) — ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ج1/ ص175 (الطبعة الجديدة)

(166) — الاستاذ الكعّاك من مواليد تونس 1903 ، مؤرخ تونسي أحب الجزائر بشكل لا نجده عند بعض مواطنينا ، شارك في احياء النهضة العربية و التصدّي للسيطرة و الهيمنة الثقافية الغربية بدروسه و محاضراته وكتبه الجيدة و منها : (بلاغة العرب في الجزائر) (موجز التاريخ العام للجزائر) (البربر) (محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر) التقاليد و العادات التونسية) توفي بالجزائر (عنابة) في جويلية 1976 للتوسع أنظر: أنور الجندي ، الفكر و الثقافة المعاصرة ، ص301—305 .

(167) — مدينة بالمغرب الاقصى قريبة من أغمات أنظر: الحميري الروض المعطار ص578 .

(168) — فقيه فاسي عاش في القيروان يعتبر أحد رواد المدرسة الرّباطية ت430/ 1040م

(169) — وجاج بن زلّو اللمطي أحد تلاميذ أبي عمران الفاسي و قد أسس أول مدرسة داخلية في المغرب الأقصى حسب ابراهيم حركات و فيها تخرج الدّاعية المصلح عبد .../...

خامسا : حركة الرّباط و المرابطة و الجهاد في صقلية و الأندلس وجزر البليار

1 ـ صقلية :

ان فتح صقلية من قبل الاغالبة ، يعتبر ثمرة من ثمار حركة الرّباط و المرابطة اذ أن صقلية كامتداد استراتيجي لافريقية ، لذا فالضرورة الحربية تدعو الى حماية المغرب الادنى عن طريق الوصول الى صقلية ، و ما أن تمكن الاغالبة من صقلّية حتى غدت قبلة للزّهاد و المرابطين لانها دار رباط وجهاد و منها ظهرت المؤسسة الحربية فيها كالقلاع و الحصون و الأبراج و المنارات و الرّبط ، حتى مساجد قصبتها باليرم (170) تشبه في هندستها العمارة الأغلبية و الفاطمية مما يوحي بأنّها أماكن للعبادة و الرّباط كمسجد الزّيتونة في تونس (171) و في العهد الفاطمي كانت هذه الجزيرة ميدان الجهاد حسب الرؤية الفاطمية و الميدان الذي استطاعوا أن يؤدّوا فيه حق ـ

. . . / . . . الله بن ياسين أنظر عن مدرسة (آكلو أو أجلو) التي أسسها ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ج1/ ص169 ، (الطبعة القديمة) .

(170) ـ هي قاعدة بلاد جزيرة صقلية ومدينتها العظمى ، ومنها تخرج الاساطيل للغزو أنظر: عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار ، ص102 ، ميخائيل أماري ، المكتبة العربية الصقلية (نصوص في التاريخ والبلدان و التراجم و المراجع) طبعة الأوفست بغداد 75 / ص55 .

(171) ـ عثمان الكعّاك ، الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ص250 .

الجهـــاد الذى لم يتهيأ له مثيـــل أيام دولتهم (172) وان رأى بعض المؤرخين عكـس هذا وحملوهم سقوط صقلية فى يد النورماند ، بل بل باركـوا هذا السقوط (173) .

ومن خلال شهادات الرّحالة والجغرافيين نتعرف على حالة الرّبـــاط والثغور الصقلّية ضمن التنظيمات الحربية فيها نجد بالاضافة الى أن كل اقليم في صقلّية به وحدة من الجند في مركزه العسكرى والدّيني ، نجد أن أصحاب الصّوامع من المرابطين والصّوفية يقومون بأداء رسالتهم على أحسن وجـــه وكانت صقلية على عهد الامراء الكلبيين تضم ثلاثمائة وعشرين معقلا فى سائـر أرجاء الجزيرة تحمي المدن والقرى التى لاعّد لها (174) .

وينتقد ابن حوقل حالة الرّباط والحيـاة الاسلامية فى بلرم أثناء زيارتـــه لها عام (362هـ/ 973م) فيقول : (وبها رباطات كثيرة على ساحل البحـر

---

(172) ـ هذه مقولة للمستشرق الايطالي ، زيزتيا نو أنظر: ابراهيم بيضون ، السلاح البحرى الادارة العملية لمفهوم الجهاد عند الفاطميين ، ص140 .
(173) ـ سليمان بن داود ، ثورة أبي يزيد (مقدمة عبد الحليم عويس) ص19 .
(174) ـ كانت هذه المعاقل والحصون والرّباط تحمي البلاد من المنازعات الدّاخلية التى كانت تشب من آن لآخر لذا استدعت انشاء تحصينات ونقاطا منيعة حيث كان بوسع المزارعين وغيرهم من المواطنين اللّجوء اليها فى حالة نشوب حرب فى المنطقة وكان مسجد بالرم يمثل معقلا للسلطة الاسلامية راجع أحمد عزيز تاريخ صقلّية الاسلامية ، ص ص 46ـ47 .

مشحونة بالرّياء والنّفاق والبطالين والفسّاق متمردين شيوخ وأحداث... قد عطلوا السّجادات منتصبين لاخذ الصّدقات وقذف المحصنات) (175) ونتيجة لاعفاء المعلمين من المشاركة فى الجهاد رغم تاريخها المضطرب (والغالب على أهل المعلمون) (176) هذا الاعفاء أدى الى هروب الناس فى صقلية على حد شهادة ابن حوقل من الغزو والجهاد : (فأى منزلة أقبح وصورة أخس وأوقح من رجل باع ما أوجب الله تعالى عليه من الجهاد وشرفه والغزو وعزّة بأحسن منزلة) (177) ونتج عن الصورة والحياة التي وجد عليها = ابن حوقل = أهل صقلية وبلرم بالخصوص أن تأثر بها بعض الجغرافيين المسلمين فوصفوا أهل بلرم بنقص المروءة والتدين (178) .

كما انتقد عماد الدين الصقلي (179) فى القرن الخامس الهجرى، حالة

---

(175) ـ ابن حوقل ، كتاب صورة الارض ، ص116 .

(176) ـ نفســـــه ، ص120 .

(177) ـ نفســـه ، ص ص120 ـ 121 .

(178) ـ عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، ص48 .

(179) ـ هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله عماد الدين الصّقلي صاحب كتاب الانوار فى علم الاسرار وكتاب (الدلالة على الله تعالى) و(دليل القاصدين) وله كتاب فى الزهاد والعباد والمرابطين منها المخطوط ومنها الذى لا يزال فى حكم المفقود : راجع احسان عبّاس، العرب فى صقلّية ، ص119 .

العباد والزّهاد اذ يظهر أن الزّهد والتصوف فى هذا القرن كان قد كثر فيه الدّخلاء وأصبح المتصوفة يتظاهرون بالزّهد تظاهرا و يتواجدون ويبكـون عند الغناء و يرقصون و يتغاشون (180) و رغم هذه الصورة التى وصف بهـا مجتمع صقلّية الّا أنّه مع ذلك لم يصمد أمام التّحدي النورماندي اذ بعـد ثلاثين سنة من التّحرش النورماندي (454ـ484هـ/ 1061ـ1091م) أصبحت صقلية فى يد النورماند الذين هدّدوا المغرب والمشرق الاسلامي على حد سواء بل كانت حركة الاسترداد ذات طابع صليبي مبكر خاصة المعركة التـى قام بها النورماند والأيطاليون على اثر الأعمال الثغرية التى قام بها المسلمون بساحل قلّورية وأرباض مدينة ريّو*(181) .

وعلى سقوط صقلّية (182) وقعت العناصر الاسلامية فى محنة اذ فقـدت

---

(180) ـ احسان عبّاس، العرب فى صقلية ، 119 وما بعدها .

(181) ـ أحمد عزيز ، صقلية الاسلامية ، ص62 .

* ـ مدينة فى بلاد قلّورية على ضفة المجاز من صقلية وهي مدينة صغيرة وهي عند الادريسي ريـة عند ابن جبير : أنظر الحميرى ، الروض المعطار ص 280 .

(182) ـ يضع الدكتور لقبال موسى مسؤولية ضياع الجزيرة على عاتق الدّولة الفاطمية وفى هذا يقول : (ولا مبالغة اذا قلنا بأن مسؤولية ضياع الجزيرة لا تقع على عاتق سكّانها أو على الامراء الزّيريين بقدرما تقع على عاتق الفاطميين الذين مهدوا بسياستهم الملتويـة الى انفصال الجزيرة نهائيا عن دار الاسلام) لقبال موسى دور كتامة فى تاريخ الدولة الفاطمية ، ص402 .

القوة النّظامية من المدد الذي تعودته من افريقية : وفي هذه الحالة اعتمدت العناصر الاسلامية على نفسها في مجابهة الغزاة المسيحيين وتشكّلت لذلك فرق المكافحين والصابرين وانّما انحصر النظر هنا في فرقة بني الثغر(183) الذى خلّدها الشاعر عبد الجبار بن حمديس الصّقلي في أشعاره الحماسية وعلى اثر هذه الانتصارات النورماندية بدأت هجرة العائلات المرابطة في الجزيرة من مختلف حوض المتوسط ،فسار بعضهم الى المغرب الأقصى والاندلس وسار البعض نحو الشّام والعراق والبعض الى الحجاز والبعض الى مصر والكثير نحو افريقية والمغرب الاوسط .

وحتى بعد سقوط صقلية بقيت الحصون والرّبط على حالها فهذا ابن جبير البلنسي (185) من رجال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادى يشاهد أحد هذه الرّبط في قصر سعد قرب ثرمة (186) فيقول : (وهذا القصر على ساحل البحر مشيد البناء عتيقه قديم الوضع من عهد ملكة المسلمين للجزيرة

---

(183) ــ فرقة خلّدها ابن حمديس قاومت الغزو النورماندي برباطة جأش راجع : زين العابدين السّنوسي عبد الجبار بن حمديس ، الدار التونسية للنشر تونس 83 ص 24 .

(184) ــ ولد بسرقوسة عام 447هـ/ 1055م وأصله من صفاقس ، تنقل بعد نزوحه الى المغرب في جميع أرجاء المغرب الاسلامي توفي عام 527هـ/ 1133م أنظر: زين العابدين السنوسي ،عبد الجبار بن حمديس ، ص13 وما بعدها .

(185) ــ أنظر أخباره: كراتشكوفسكي ، الادب الجغرافي العربي ،ج1/ ص298 .

(186) ــ قلعة بصقلية غير بعيدة عن بلرم أنظر: عبد المنعم الحميرى كتاب الروض المعطار ، ص149 .

لم يزل . ولا يزال بفضل الله مسكنا للعباد منهم وحوله قبور كثيرة للمسلمين من أهل الزهاد والورع) (187) وانتشرت بين من أختار البقاء في صقلية النورماندية حالة من اليأس (188) وأصبحت على عهد النورماند قوة معادية للمسلمين بل جردت الحملات الصليبية على افريقية الزيرية والمشرق وانتهى عصر الرباط والعمل الثغري في هذه الجزيرة الثغرية الهامة .

---

(187) ـ أبو الحسن بن جبير ، الرحلة ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصرى بدون تاريخ ص228.

(188) تظهر حالة اليأس والقنوط في كتابات أهل صقلية منها كتاب سلوان المطاع لابن ظفر الصقلي أنظر: عبد الحميد حاجيات ، نظرية ابن ظفر الصقلي في أخلاق الملوك المطاع بحث على الآلة الراقنة .

ثانيا : الرّباط والمرابطة في الاندلس:

يختلف مفهوم الرّباط عند أهل الاندلس عن بقية التّصورات الاسلامية في بقية أنحاء العالم الاسلامي ، فمفهوم الرّباط والمرابطة عند أهل الجزيرة الاندلسية يتحدد من مفهومهم للجهاد ، والجهاد عندهم الغزو في حالة الضّعف وهذا الاخير هو ما يدعى بالرّباط والمرابطة .

ومنذ أمد بعيد صار هذا المعنى حين يطلق لفظ الجهاد ، وفي الاندلس بصفة خاصة صار الرّباط يفضل على الجهاد (لأن الجهاد لسفك دماء المشركين والرّباط لحقن دماء المسلمين والحقن مقدم على السّفك أو بتعبير فقهي درء المفاسد مقدم على جلب المنافع) (189) لهذا صار عندهم أن الجهاد هو سد الثغور وعمارتها وحفظها بالمنعة والعدد وهذا كما نلاحظ هي وظائف الرّباط والذى شاع بينهم في تراثهم الفقهي هو الرّباط وهو الذى زكر عليه المؤلفون وفضلوه على العبادات الاخرى من صوم وصلاة غير مفروضة وذكر ترغيبا فيه (190) (والاجر موفور للساكن والثواب مدخور للمقيم والظاعن) (191)

ومن مكونات الرّباط هو المعقل فماذا يعني ذلك؟ يعني الحرس والبرج

---

(189) ــ محمد مفتاح ، مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي ص183 .
(190) ــ نفسه ، ص 183 .
(191) ــ المقّري ، نفح الطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الجزء الاول دار الكتاب العربي ، 164 .

والحصن والقصر والقلعة أي كل ما يعيد مدافعة العدو ، فان ما وضعنا أعيننا بما كانت تعانيـه الاندلس من حصار بري وبحري غالب الايام وتغلغل العدو وأحيانا كثيرة الى مقاربه (192) كل أرباض المدن المهددة بالسقوط ولهذا فاكثر مدن الاندلس مسورة من أجل الاستعداد للعدو (193) كذلك ندرك انتشار الربط على طول الحدود وداخل البلاد فمن الربط البحرية مثل مالقة والمرية ومربلة ورابطة سهيل والرابطة الشهيرة الواقعة بين المريةو المنكب وهذه الروابط البحرية أو الثغرية كانت بصفة عامة تقوم بالحراسة .

وحتى ندرك النشاط الثغري ، نعرف أن الأندلس كانت مقسمة الى أقاليم ثلاثة هي الثغر الأدنى ويشمل المنطقة الواقعة بين نهر = الدويرة= ونهر التاجة ومن أشهر مدن هذا الثغر مدينة قورية (194) .

والثغر الاوسط وهو يواجه مملكتي قشتاله وليون وقاعدة هذا الثغر مدينة سالم ثم استبدلت بمدينة طليطلة ثم الثغر الاعلى ويمثل في الجغرافية الأندلسية ولاية الحدود الشمالية وهي ولاية سرقسطة وأعمالها ويقابل في الجغرافية الحديثة ولاية أرغون وتعد مدينة سرقسطة

---

(192) ـ محمد مفتاح ، مفهوم الجهاد والاتحاد في الادب الاندلسي ، 184 .
(193) ـ المقري ، نفح الطيب جـ1/ ص191 .
(194) ـ السامرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية مطبعة أسعد بغداد 1976 ص40 .

قاعدة هذا الثغر) (195) وقد ذكر الجغرافيون والمؤرخون على الثغر الأعلى والصراع الاسلامي مع الفرنجة ومن سكن هذه المنطقة يطلق عليه لقب (ثغرى) (196) .

وحتى ندرك حقيقة الاعمال الثغرية فى الاندلس وادراك أبعاد الرّباط والمرابطة بدقة يجب استعراض تطور المجابهة بين المسلمين و(المستردين) +

والشيء الذى لاحظه المؤرخون أن كتب الطبقات اذا تخصصت بالحكام والامراء فى المغرب والاندلس فانّها تركز على شجاعة وجهاد هؤلاء الامراء والخلفاء (197) ونظرا الى أن الاندلس مجاز جهاد دائم فان أهل العدوة المغربية كانوا يعتبرونها دار جهاد .

وقد بدأت العمليات الثغرية بمحاولة المسلمين القضاء على بقايا (بلايو) + الذى اعتصم بالقلاع الشمالية وهذا عن طريق الجيوش الاسلامية المرابطة

---

(195) ـ السامرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي ، ص39 . وعن الثغر الأعلى أنظر: مؤنس الثغر الاعلى الاندلسي ص91 ـ 121 .

+ ـ المستردون هم النّصارى الاسبان الذين قامت على أيديهم حركة الاسترداد (Reconquista) التى قامت فى اسبانية وبعدها الاسبان حلقات متصلة من تاريخهم القومي عبر العصور ، ويعد الدكتور حسين مؤنس أن اطلاق التّسمية على حركة المقاومة النصرانية منذ ميلادها وربطها بحركة الاسترداد الحقيقي التى بدأت بسقوط خلافة قرطبة ، أمر لا يخلو من خطأ ، لان بعض مناطق أسترياس لم يفتحها المسلمون ، فميلاد هذه الحركة لا يعتبر بدء الاسترداد . وانما يعتبر ميلادا لحركة المقاومة النّصرانية) راجع السامرائي الثغر الاعلى ص97 .

(196) ـ نفس ــــــــــ ،، ص 42 .

(197) ـ محمد مفتاح ، الجهاد والاتحاد فى الأدب الاندلسي ، ص186 .

في هذه المنطقة ، وقد حاول ولاة الاندلس عبد الملك بن قطن (114ــ 116هـ/ 732ــ734م) وعقبة بن الحجاج (116ــ123هـ/ 734ــ741م) و يوسف الفهري (126ــ 138هـ / ــ746ــ 756م)+ القضاء على هذه المقاومة بالجند والمتطوعـــــة .

و يعتبر عبد الرحمن الغافقي (198) صاحب معركة بلاط الشهداء أحـد أبطال الاعمال الثغرية في غاليا (فرنسـا) خاصة بعد أن أصبحت أربونـة رباطا وثغرا هاما للمسلمين في بلاد غاليا (199) وفي عهد خلفه عقبـة بن الحجّاج السلّولي الذي كان صاحب جهاد و رباط نشطت حركة الجهـاد وراء البرت، لان عقبة اختار الثّغر الاعلى لانّه موضع جهاد ورباط (200) وبقدوم

+ ــ عن هؤلاء الولاة أنظر: خير الله طلفاح ، حضارة العرب في الاندلس ، الجزء السادس ، دار الحريّة للطباعة بغداد 1977 ص ص34ــ35 .

(198) ــ تابعي من أفذاء الرّجال ، ولاه الامير هشام بن عبد الملك امارة الاندلس سنة 102هـ/ 726م استشهد في بلاط الشهداء سهل توربواتييه أنظر: شوقي أبو خليل ، بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، دار الفكر دمشق 1983 ص12 وما بعدها . جوزيف رينو ، الفتوحات الاسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتّاسع والعاشر الميلادي تعريب وتعليق اسماعيل العربي ، دار الحداثة ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 ص 71 .

(199) ــ حسين مؤنس ، فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدّولة الأموية 711ــ 756م) الطبعة الثانية الدار السعودية للنشـر والتوزيـع 1985 ص423 .

(200) ــ السّامرائي ، الثّغر الأعلى الأندلسي ، 141 .

صقر قريش الى الأندلس الاسلامية ، بدأ عهد الامارة الأموية (138ـ 316هـ/ 755ـ928م) والذى تميّزت فيه حركة الرّباط والجهاد بطابع خاص وأعلنتها أوربا حربا صليبية على المسلمين فى الأندلس حيث كان الأمراطور شارلمان حامي النّصرانية وبدأ عهد بواكير الصليبيات الغربية بهجوم شرلمان على سرقسطة قاعدة الثغر الاعلى أيام عبد الرحمن الدّاخل كما نلاحظ أن الصراع بين المسلمين وبين ألفونسو الثاني (175ـ 227هـ/ 799ـ 851م) صاحب مملكة ليون المعاصر للامير هشام وابنه الحكم ، تحوّل قبر القدّيس يعقوب (بمدينة شنت ياقب) المقدّسة من رموز الصراع الدّيني ، فأصبح الاحتكاك بين المسلمين والنّصارى يمثل فجر الحرب الصليبية بكل ما تحمله الكلمة من معنى (201) ولهذا تطلّب الامر حماية مراكز الدّروب وحماية المدن بالقلاع والحصون والرّبط وارسال المتطوعة للحراسة فى هذا الاقليم .

وبفضل جهاد هشام (172ـ180/ 796ـ804م) تمكن المرابطون من التوغل داخل قلب مملكة ليون وأدركوا الصّخرة التى اعتصم بها = بلايو= فى السابق وهدموا الحصون ومباني الفونسو الثاني ، هذا يدلّ على عنف حروب

---

(201) ـ إبراهيم بيضون ، بواكير الصليبيات الغربية في حملة شارلمان على سرقسطة (مجلة تاريخ العرب والعالم) السنة الثانية عدد 16 فبراير بيروت 1980 ص3 .
السّامرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي ، 154 .

الثغور والتخوم الاندلسية واستبسال الطرفين لاحراز النصر، لاسيما وأن الفونسو الثاني كان يدعم حروبه مع المسلمين بعامل ديني تمثل حـــربا صليبية ضارية (202) .

ورغم الفتن والثورات التى عرفتها الاندلس الا أننا لانجد أن الدعوة للجهاد كانت تمثل صمام الايمان وهي بذلك توحد الاندلس أمام الاخطار لذا لعبت الربط فى الثغر الاعلى وبقية التخوم الشمالية دورها فى حراسة مملكة الاسلام وأما من الناحية الجنوبية حيث كان البحر يفصل بين الاندلس والعدوة المغربية وبقية جزائر البحر المتوسط فاننا نجد أمراء الاندلس لهـم اهتمام خاص ببناء الاساطيل وتحصين الثغور كما فعلوا مثلا مع ثغر المرية قاعدة دار الصناعة فى الاندلس (203) وبقية الثغور الشاطئية الاخرى خاصة فى عهد عبد الرحمن الناصر الذى عرف عصره صراعا مذهبيا وحربيا من جهة الفاطميين وترك لخلفه المستنصر مقاومة الخطر بين الفاطمي والنورماندى و

---

(202) ــ السامرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي ، ص199 .

(203) ــ هي أعظم المدن الاسلامية فى الاندلس وأعظم قواعد أسطول الأندلس فى عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف سقطت فى أيدي القشتاليين عام 1490م وهو النذير بسقوط آخر ثغر اسلامي (غرناطة) أنظر عنها عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الأندلس دار النهضة العربيـــة بيروت 1969 ص7

solchad Gilbert de Vallve, La ville d'Almería à l'époque musulmane, Les cahiers de Tunisie Tome XVIII Année 1970 (P 61 - 71)

ويبدأ الجهاد بصورة أشد في عهد الحاجب المنصور الذي جدد دماء المجاهدين والغزاة مدّة حكمه للاندلس وأعطى استراتيجية جديدة للفداء والرّباط لم يعهد الآ في عبد الرحمن الغافقي .(204) .

وبانتهاء الحجابة العامرية دخلت قرطبة دوامة الحروب الاهلية (205) وسقطت في أعين النّصارى هيبة أحفاد صقر قريش والناصر لدين الله وابـن أبي عامر ، وقد عرف الرّباط وثغور الاندلس القضاة والعلماء ، حيث أعطـوا صورة صحيحة للعالم الغازي المجاهد فهذا قاضي شذونة والثغر الأعلى الفرج بن كنانة (206) كمثال لاشتراك كل فئات الاندلس في الجهاد والغزو والرّباط عكس ما يشاع بأن الفقهاء تستروا بالشيعة الاسلامية ليتهربوا مـن الجهاد ويلقوا واجبه على كاهل الجماهير الشعبية (207) .

وقد وجد أمراء الاندلس عونا كبيرا من المرابطين وغزاة البحر الذين اتخذوا لهم رباطات وقواعد بحرية على طول الساحل الشّرقي لبلاد الاندلس مما

(204) ـ بداية ظهور الحاجب المنصور بعد وفاة الحكم المنتصر 366هـ/ 976م ودفن بعد استشهاده في مدينة سالم عام 392هـ/ 1002م وقد غزا بنفسه48 غزوة أوقيل 52غزوة انظر: بسام العسلي ، الحاجب المنصور ص16 ومابعدها .

(205) ـ سقطت الخلافة في عام 422هـ أنظر عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، الجزء الاول دار النهضة العربية بيروت 1971ص109 .

(206) ـ أنظر : ترجمة الخشني القيرواني ، قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966، ص ص40ـ 44 .

(207) ـ محمد مفتاح ، الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي ، ص184 .

أدى الى تعزيز قوة الاساطيل الاندلسية بجماعات من أصلب المقاتلين الذين كرّسوا حياتهم للجهاد ببطولة خارقة كانت السّمة المميزة لهذه الجماعات الفدائية من المرابطين (208) .

وكانت أكثر قواعد هؤلاء الغزاة من المرابطين انتشارا ما بين أكيلة (Aquila) وألقنت (ALICANTE) فى شرق الاندلس وكان من أهم قواعد هم البحرية فى جنوب شرق الاندلس اسكمبرة (ESCOMBRO) الحصينة فى مدخل خليج (قرطاجنة الحلفاء) ومرسى أسكونزه ويدعو الحميرى صاحب الرّوض المعطار هؤلاء المرابطين من غزاة البحر (بالبحريين) ويذكر بأن قوتهم الرئيسية فى مطلع العهد الاموى تركزت فى الاندلس فى المنطقة المحيطة بطرطوشة فى الثغر الاعلى الاسلامي (210) .

(وقد أسهم غزاة البحر من المرابطين والمتطوعة بدور خطير فى تاريخ البحرية الاندلسية وكانوا عنصرا هاما من عناصر نجاح الحملات البحرية الاندلسية على جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط وثغوره السّاحلية

---

(208) ــ عصام سالم سيسالم ، جزر الاندلس المنسية ، ص63 .
(209) ــ نفســـــــه ، 63 .
(210) ــ الحميرى ، الرّوض المعطار ، ص80 .

و يعملون حينا لحسابهم و حينا آخر يتعاونون مع أمراء الأندلس و ينضمون الأساطيل الامارة) (211) ، الى ان استقربهم الأمر فى مدينة بجانة الاندلسية مكونة الدولة الرّبالية المثالية (212) نظراللدور الهام الذى كانت تقوم به بجانةوربالتها و محارسها فى النشاط البحري فقد أصبحت بحق دولة صغيرة مثالية تابعة لصاحب الأندلس .

---

(211) ــ عصام سالم سيسالم ، جزر الاندلس المنسية ، ص63 .

(212) ــ مدينة بجانة على خمسة أميال أوستة من المرية اتخذها البحريون بعد أن طال الصراع البحري رباطا لهم حيث سمح لهم الأمير محمد بن عبد الرحمن عام276ه بالنزول ثم أحسنوا مجاورة أهل بجانة و أظهروا العدل فتسامع الناس بأمرهم وما بسطوه من عدلهم فأموا مدينة بجانة من الاقاليم القاصية و الاقطار النائية وصارت حرما لمن سكنها و أمنا لمن أوطنها . أنظر: الحميرى ، الروض المعطار ص80 ، عصام سالم سيسالم ، جزر الاندلس المنسية ، ص63 ، عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص19،

delValve, Almeria, P68.

الشريف الادريسي ، القارة الافريقية و جزر الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق) تحقيق اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1983 ص293 .
العبادى ، سالم البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص51 .

ثالثا : الرباط والمرابطة بجزر البليار (الجزائر الشرقية)

كان فتح جزر البليار (213) بقيادة عبد الله بن موسى بن نصير عام 89هـ/ 708م فاتحة أساسية لفتح الاندلس، وبعد ذلك (لم يرد أى ذكر لجزر البليار فى المصادر الاسلامية التى بين أيدينا بعد الفتح الاسلامي طيلة مائة وأربعين سنة ، وفجأة ودون مقدمات أو تمهيد ذكرت هذه المصادر بأن أهل جزر البليار نقضوا العهد وأغاروا على السفن الاسلامية) (214) فى عام 234هـ/ 848م الا أن الدراسات الحديثة ترى أن الجزائر الشرقية قد نقضت العهد عام 161هـ/ 778م وهو تاريخ تحالفها مع القوة المسيحية الجديدة للفرنجة أيام شارلمان (ت 814م) الذى وجد أهل البليار فيه الحليف المخلص للاغارة على ثغور الاندلس الشرقية ، وفى هذه الأثناء ظهر البحريون غزاة البحر من الفدائية والمرابطين الذين أسسوا مجموعة من القلاع الخلفية فى المغرب الأوسط (الجزائر) تحميهم من الاخطار البحرية وهي مرسى تنس ومرسى الدّجاج ، ومرسى بونة ، ومرسى الخرز ومرسى وهران (215) وقد (حسب هؤلاء الغزاة من المرابطين بالتعاون مع أساطيل

---

(213) ـ أرخبيل البليار يضم عشرات الجزر شرق اندلس(ميورقة و منورقة ويابسة وفرمنتير وقبريرة) وقصبة الأرخبيل حاليا بالما (مدينة ميورقة الاسلامية) (بالمادى ميورقة) أنظر عصام سالم جزر الاندلس المنسية ص19 وما بعدها .

(214) ـ نفســـــــــه ، ص58 .

(215) ـ نفســـــــــه ، ص84 .

الامارة الاموية فى الاندلس جام غضبهم على جزر البليار لنقض أهلها العهد وعدوانهم على السفن والثغور الاندلسية) ((216)) ويبدو أنه بعد حملة عتبة على الجزر عام 185هـ/ 801م بدأت جماعات الثغور والمرابطين فى الاستقرار تدريجيا فى هذا الجزر وكانت أساطيلهم تغير على سواحل افرنجة الى أن فتحت الجزر من جديد فى عهد عبد الرحمن بن الحكم (217) أى بعد 206هـ/ 822م وجددلهم العهد عام 235هـ/ 849م.

مما مكّن غزاة والمتطوعة من اتخاذ هذه الجزر كمحطات لاساطيل فى رحلاتهم الطويلة ، ومن رباطها كانت تتزود بالفرق الاسلامية المدرّبة على الجهاد فى البحر (218) وكان غزاة البحر ينطلقون فى أساطيلهم من ثغور شرق الاندلس ويرسون فى جزر البليار من أجل التّزود بفرق خاصة من قواعد الغزاة والمرابطين من هذه الجزر لمساندتهم فى حملاتهم على الثغور المسيحية فيالحوض الغربي للبحر المتوسط (219) وفى هذه الاثناء بدأ تحالف بطولي بين غزاة البحر في الجزائر الشّرقية وبين مرابطة جبل القلال ورباطها الاسلامي

---

(216) ــ عصام سالم ،جزر الاندلس المنسية ، 84.

(217) ــ يسمى أيضا عبد الرحمن الاوسط تولى الحكم من 206هـ الى 238هـ/ 822 852م وفي عهده نشطت حركة الجهاد ضد النصارى وكان يقوم بالغزو بنفسه وكانت رسائل الجهاد فى عهده تقرأ فى كل منابر الاندلس لهذا اكثر المتطوعة والمرابطة فى جيوشه أنظر: السامرائى ، الثغر الاعلى الاندلسي ، ص207.

(218) ــ عصام سالم ،جزر الاندلس المنسية ، ص111.

(219) ــ أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، ص ص229ــ230.

(فرخشنط FRAXINET) التي أسسها المرابطون عام 274هـ/ 888م على سفح جبل حصين يدعى جبل المسلمين يطل على خليج سنـات نروبيز (SAINTROBEZ) في اقليم البروفانس (220) وأصبحت هذه المنطقـة ولاية تابعة لولاية ميورقـة بعد فتح البليار عام 290هـ/ 903م ولذلك كـان من نتيجة تحالف رابطة (أوديسة فرخشنيط) (221) استقرار المسلمين في شمال ايطاليا بعد عبورهم اقليم (دوفيني) وممّرات (مونت سيني) أعظم ممّرات جبال الالب وقطعوا بذلك الاتصال بين ايطاليا وفرنسا ، وقد اتّبـــع أهل رابطة جبل القلال في حروبهم أسلوبا عسكريا يشبه حرب المغاوريـــن في الثغور الاسلامية الّا أن نشاطهم قد تمّ بصورة مأساوية عام 365هـ/ 975م بعد جهاد ورباط طويل للبحريين في ممرات الالب و سويسرا وعطـــت البليار الى جانب الحاجب المنصور في سياسته الافريقية ، وأثناء حكـــم الطوائف للاندلس ، ظهرت مملكة دانية وجزر البليار كمنطقة مستقلة فلعبت دورا رائعا في الجهاد البحري خصوصا في عهد العامري أمير المنـــــاء

---

(220) ــ ملحمة فرخشنيط أو قاعدة فراكسنتوم هي ملحمة الفدائية والمرابطين في جبل القلال وهي منطقة عاصرها ابن حوقل في منتصف القرن الرّابع الهجري حيث تحكم هؤلاء في منطقة الالب ووصلوا الى سويسرا والمناطق الساحلية الجنوبية الفرنسيـة وايطاليا عن هذه الملحمة الخالدة راجع : شكيب أرسلان تاريخ غزوات العرب ، ص208 وما بعدها ، جوزيف رينو الفتوحات الاسلامية ، ص170، عصام سالم جزر الاندلس ص109ــ122، ابراهيم أحمد العدوي ، المسلمون والجرمان (الاسلام في غرب البحر المتوسط) دار المعرفة القاهرة 1960 ص256.

(221) ــ يسمّيها حسين مؤنس ، ملحمة أو أوديسة فراكسنت للتوسع أنظر/ محمد محمد مرسي الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية الأسكندرية 1981م ص(185ــ 211) .

(222) الذى حدد العهد الذهبي للأعمال الثغرية مدة طويلة 400ـ 436هـ/ 1009ـ1045م .

وخلاصة القول أن قاعدة الارتكاز (القيروان) مهّدت لظهور ولاية المغرب الاسلامي التى منها شرع بن نافع في فتح المغرب ، وتعتبر القيروان من هذا المنطلق ، القاعدة والرّباط الاول فى افريقية وفي أيام الفتح في عهد حسان بن النّعمان تعزّزت ثغور افريقية بقيام قاعدة تونس البحرية وسرعان ما نجح المغاربة الذين تربّوا في رباط طنجة فى عهد موسى بن نصير فى المشاركة فى رفع راية الاسلام الى أوربا (224) .

وأظهر المغاربة حماسة للدين الجديد لهذا يجلّوا رجال الدّين و والمتصوفة والمرابطين بصفة خاصة وأصبحوا في

---

(222) ـ محمد عبد العزيزعثمان ، أمير الماء مجاهد العامرى (مجلة الثقافة العربية) ليبيا 1982 عدد 12 ص ص 122ـ131 .

(223) ـ حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص40 .

(224) ـ سكن المغاربة فى شمال الأندلس وكانت لهم معارك حاسمة فى الثغر الاعلى الاندلسي وقد حدّد ابن حزم فى الجمهرة بيوتات البربر فى الاندلس. وقد اهتم المؤرخون بالمغاربة كجنس له مشاركة في الحضارة الاسلامية وللمزيد أنظر : عبد الحليم عويس ، دراسة فى أجناس الحضارة الاسلامية البربر ، (مجلة كلية العلوم الاجتماعية) العدد 3 المرجع السابق ، ص ص 239ـ 256 .

الاندلس أمراء الثغر (225) رعمّروا ما وراء الدّروب أى شمالي نهر الدّويرة ولهذا كان لهم أثرعظيم جدّا فى انتشار الاسلام فى الاندلس، كما كانت لهم مواقف حاسمة فى تاريخها الطّويل (226) .

وحققت الرّبط المغربية والاندلسية دورها الاساسي فى الدّفاع عـــن ثغور البلاد البّرية والبحرية الى منتصف القرن الخامس الهجري ، الحادى عشر الميلادى (227) لأنه بعد هذا التّاريخ سيعرف الرّباط مرحلة جديدة أيام المرابطين والموحدين من بعدهم ، فكيف كان دورها ؟

---

(225) ـ وصفتهم الكتب التاريخية بأمراء الثغر لانهم سكنوا فى المناطق الثغرية أنظر بيوتات البربر بالاندلس :
ابن حزم الاندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون الطبعة الرّابعة دار المعارف بمصر 1977 ص498 وما بعدها .

(226) ـ عن الاحداث الحاسمة التي شارك فيها البربر كالفتح وسقوط الخلافة الاموية بالاندلس ينظر: محمد عبد الوهاب خلّاف ، رؤية جديدة لاسباب سقوط الخلافة الاموية فى الاندلس ،(المجلة العربية للعلوم الانسانيـــة :جامعة الكويت العدد 6 المجلد الثاني الكويت ربيع 1982 ص ص 25ـ 40 .

(227) ـ الدّرديـــري ، حسن اسماعيـــل البـــلي ، الرّبط فى المغرب ، نشأتها وتطورهـــا حتى منتـــصف القرن الخامس الهجرى ، رسالة ماجستير اشــــراف د . محمد أمين صالح ، جامعة القاهرة .

أولا : الدّور العسكري (نشأة دولة الرّباط)

تميزت الجبهتان الاسلاميتان في المغرب والمشرق خلال القرنين الخامس والسادس الهجري ، الحادي عشر والثاني عشر الميلادي ، بظهور قوتيـــن اسلاميتين على مسرح الاحداث ، تمثلت الاولى في دولة السّلاجقة في الشّرق والثانية في دولة المرابطين في المغرب ، ويمكن اعتبار القوتين بمثابة صحوة اسلامية في العالم الاسلامي ودولة المرابطين التي نحن بصدد دراستهـــا نشأت في الصحراء الكبرى حينما توّحدت كلمة قبائل صنهاجة الجنوب التـــي عاشت حالة صراع وتشتت من الضّغوط الاتية من الجنوب ، من ممالك السّودان الغربي (1) وعلى رأس هذه الممالك ،غانة التي بسطت سيطرتها على مدينة أودغشت+ اللمتونية (2) وبهذا ضاعت الفرصة على قبائل الملثمين بعـــد أن كانوا وسطاء في تجارة الشّمال التي تمر بأراضيهم .

---

(1) — يقصد بها افريقية الغربية وللمصادر العربية مكانة هامّة في المصادر الاسلامية أنظر: Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidental du VIII e au XVI siècle (Bilad Al-Sudan) Traduction et notes par Joseph .M. Cuoq CNRS Paris 1975 P31

+ — مدينة بين صحراء لمتونة والسودان وهي مدينة عظيمة ملكها يركب في مائة ألف نجيب ويسيطر على عشرين ملكا من السّودان أنظر: أبو عبيد البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشر وترجمة دي سلان الطبعة الثانية مكتبة أمريكا والشرق باريس 1965 ص158—159 .

(2) — عرف المرابطون بالملثمين لاتخاذهم لثاما داكن اللوّن كما عرفوا باللّمتونين نسبة الى قبيلة لمتونة التي كانت تتولى الرئاسة على سائر القبائل الموجودة بيـــن الصحـــراء الغربية وموريطانيا الاســـلامية .

ومن هذا الضغط تشكل حلف من قبائل (لمتونة ، جدالة ، مسوفة) الذي يبدو ومما ذكره المؤرخون أن أهداف هذا الحلف كانت مدافعة ملك غانة في الجنوب والسيطرة على مسالك تجارة السودان الى المغرب) (3) كما أن هذه القبائل التى تمتد فى غزواتها حتى طرابلس الغرب ، والتى عرفت الاسلام فى المائة الثالثة ، قد بدأت هي الاخرى تنشر الاسلام بين القبائل الوثنية فى بلاد السودان (4) .

وعرف الحلف الآنف الذكر متانته حينما تحولت تلك ، القبائل البدوية الى شعب صاحب رسالة حضارية وهذا بتأسيس الدولة المرابطية .

آلت زعامة قبيلة جدال الى يحي بن ابراهيم الذى عرف فضل توحيد تلك القبائل ، وهذا ما جعله يعي رسالته أمام الله اذ كان صاحب بصيرة وفطنة فضاق بالانحراف الديني وسوء فهم للاسلام وكان هو الآخر يشعر بحاجته الى التفقه فى الدين فعزم على تحصيله ليتعرف على مبادى الاسلام فدوم والمعارف فى المغرب الاقصى .

كما عرفته رحلته الى الحج بأوضاع المشرق الاسلامي وعند عودته عرج على القيروان وهي أهم مركز للثقافة الاسلامية فى القرن الخامس الهجري

---

(3) ـ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص102 .

(4) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج6/ ص371 .

وبالقيروان عرف العالم المالكي أبي عمران الفاسي (5) الذي لاحظ عليه شدة تعلقه بطلباته العلمية وعرف أنه من (صحراء جدالة) وأخبــره بأن لا علم ولا مذهب عندهم لانهم منقطعون في الصحراء ، لا يصلهم الا بعض التجار الجهال (6) .

وفي [illegible] لقات أبي عمران ظهرت تطلعات الزعيم الجدالي نحو الاصـلاح الاسلامي ، فطلب أن ينتدب له الشيخ أحد تلاميذه ليصحبه معه الى قومه فنصحه أبو عمران بالتوجه الى فقيه السوس الأقصى وجاج بن زللو اللمطي لاعتقاده أنه أدرى منه بمن يصلح للقيام بهذه المهمة الصعبة في بلاد الملثمين .

فلما بلغ يحيى بن ابراهيم رسالة الامام الفاسي الى زعيم (دار المرابطيـن) (بنفيس) بالسوس الأقصى انتدب لهذه المهمة أحد تلاميذه وهو أبو محمد عبد الله بن ياسين (مهدي المرابطين) على حد تعبير ابن أبي زرع (7) الـذي بدأت رسالته الاصلاحية بين الملثمين بتبصيرهم بالتصور العقائدي والسلوك

---

(5) ـ أبو عمران بن عيسى ابن أبي حاج الغفجومي الفاسي نزيل القيروان، عالم زمانه توفي سنة 430هـ/ 1040م، انظر : التادلي ابن الزيات ، التشوف الى رجال التصوف نشر وتصحيح : أدولف فور مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية الرباط 1958 ص 64 وما بعدها معالم الايمان ج3/ ص159 ــ 164 .

(6) ــ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1973، ص122 .

(7) ــ نفســــــــه ، ص124 .

المنحرف الذى يعبّر عن زيغهم عن الاسلام (ثم جعل يعلّمهم الديـــن ويبين لهم ما هم عليه من المنكرات فتبرأوا منه وهجروه، نافروه، وثقـل ذلك عليهم ومع ذلك فانّه وجد أكثرهم لا يصلّون ولا يزكّون وليس عندهم من الاسلام الّا الشّهادة وقد غلب عليهم الجهل) (8) .

حينئذ طلبوا منه الخروج من ديارهم ، ولم يمهلوه فقد حاولوا هدم بيته عليه وقتله يقول ابن عذارى المرّاكشي : (وبقي فيهم عبد الله بـــن ياسين يمتثلون كل ما يأمرهم به منقادين لأمره ونهيه الى أن نقض عليـــه شخص منهم اسمه الجوهر بن سحيم شيئا من أحكامه وجد فيها تناقضا فتوافـق مع بعض رجال من كبرائهم فعزلوه من الرأي والمشورة وقطعوا منه مالهـم وانتهبوا داره وهدموها وأخذوا ما كان فيها وخرج عبد الله بن ياسين منهم خائفا منهم) (9) .

وبعد هذه المحنة أورد ابن عذارى نصا يقول فيه بأن عبد الله بــن ياسين قد عاد الى دار المرابطين فأعلم مرشده، وجاج بن زللو بحـالـة بين الجداليين (فكتب الى بعض أشياخ جدالة يعاتبهم على ما صدر لعبـد الله بن ياسين منهم وما بلغه من فعل المشغبين عليه وهو مقيم بينهم وأخذ

---

(8) ــ ابن أبي زرع ، الانيس المطرب ، ص 124

(9) ــ ابن عذارى ، البيان ، ج 4/ ص 8ــ9 .

فى ذلك أخذا كلّيا عليهم وعاتب عتابا شافيا اليهم لكونهم كانوا قد انقادوا اليه... وأمره بالرّجوع الى تلك القبائل الصحراوية وكتب لاشياخهم يعلمهم أن من خالفه قد خالف الجماعة) (10) وينفرد ابن عذارى بين المؤرخين بهذا النّص لان جل الدراسات الحديثة تذكر أن عبد الله بن ياسين داعية المرابطين لما أعرض عنه قومه من الجداليين حينما (تجشموا فيه من مشاق التكليف، فأعرض عنهم وترهب وتنسك معه يحي بن عمر من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر فنبذوا عن الناس فى ربوة يحيط بحر النيل+ من جهاتها... فدخلوا فى غياضها منفردين للعبادة) (11) وقد تشكك أحد الباحثين فى خبر عودة ابن ياسين الى رباط نفيس وفى هذا يقول (وما نظنه (أى بعد المحنة) فكرفى الرّجوع الى الوراء فيذهب الى رباط نفيس فعبد الله رجل ثائر على الاوضاع الرّاهنة وطالما تحدث بين اخوانه بمبادئه ومنهاجه وما يجب أن يكون عليه الدّاعية فرجوعه الى الرباط تنازل عما يدعو اليه، وفي ذلك موت له والثائر لايموت أبدا الاّ على أسنة الرماح أو تحقيق ما يصبو اليه) (12) .

---

(10) ـ ابن عذارى ، البيان جـ4/ ص9 .

+ ـ يقول عبد الله عنان ان المؤرخ والعلماء كانوا يظنون أن نهر النيجر امتداد لنهر النيل العظيم الذى يخترق أقطار السودان الغربي لهذا سماه ابن خدلون بالنيل راجع: عبد الله عنان ، دول الطّوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، مطبعة لجنة التأليف القاهرة 1960 ، ص291 .

(11) ـ ابن خلدون ، العبر جـ6/ ص374 .

(12) ـ ابراهيم محمد الجمل ، الامام عبد الله بن ياسين فى رباط السنغال (مجلة البحث العلمي) السنة 16 العدد 29ـ30 المغرب 1979 ، ص251 .

ويبدو أن عبد الله بن ياسين قد جعل من أستاذه الشيخ الصالح وجاج بن زللو وهو في قمّة مجده العلمي والدّيني قدوة حسنة يقتدى بها كداعية هذا سواء رجع اليه أو فارقه الى جهاد النفس وتأسيس رابطة للعبادة بعيدا عن جهل وجدالة (13) (لقد هداه تفكيره الى أن يذهب الى (السودان) فهؤلاء أقوام على الفطرة واستجابة أهل الفطرة للعقيدة ومعرفة الدين أقوى من أولئك الذين تلوثت عقائدهم بالسّيء من العادات والتقاليد ونزع تلك العادات يحتاج الى قوة فليس من السهل أن تنتزع عادة سيئة لانسان تربى عليها وشبّ من ألبانها) (14) ودخل حوض السنغال على اسم الله تعالى مع سبعة نفر من جدالة فابتنا عبد الله بن ياسين وزعيم جدالة رابطة وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالى مدة ثلاثة أشهر يأكلون من أشجار البّرية وصيد البر وأصناف الطير والوحوش والحوت الحلال (15) وفي هذه المنطقة أخذ القوم في البناء والتعمير مكان أول بناء أقيم على أرض الجزيرة) المسجد عند

---

(13) ـ اختلفت المصادر في قضية رجوع عبد الله بن ياسين بعد (محنة جدّالة) الى الداعية وجاج برباط نفيس أو الذهاب مع أصحابه الاتقياء مباشرة الى حوض نهر السنغال، عن هذه القضية أو الحلقة المفقودة في حياة عبد الله بن ياسين راجع: ابن عذارى البيان ج4/ ص9، ابن خلدون العبر، ج6/ ص374، ابراهيم محمد الجمل الامام عبد الله بن ياسين في رباط السنغال، ص251. سالم، المغرب الكبير، ص693 المرادي، كتاب السياسة والاشارة في تدبير الامارة تحقيق سامي النّشار، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب 1981، ص14، عبد الحميد حاجيات، الجزائر في عهد المرابطين والموحدين (الجزائر في التاريخ العدد 3) ص294.

(14) ـ الجمل، الامام عبد الله بن ياسين، ص251.

(15) ـ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص125 .

عبد الله بن ياسين فليس عنده مكان أحق بالعناية من بيوت الله، فلا نعجب من أن الدّاعية ابن ياسين كان لا يعذر كل من يتكلم في المسجد في أمور الدّنيا، لان المسجد انما لعبادة الله، وكانت الصلاة في الجماعة بين هؤلاء النفر هي القمة الدينية التي وصلوا اليها، ثم أتموا البناء وأصبح الرّباط على استعداد لتقبل المرابطين والاتقياء الصالحين (16).

وتحققت الحماية لرباط عبد الله بن ياسين لانّه أسّس على شكل حصن، يدفع عن المرابطين خطر أعدائهم، ويتيح لهم لونا من الحماية يفيئون الى ظلّها، وينصرفون الى نسكهم وتقشفهم، وكانت هذه الرّابطة بمثابة شعلة تسّرب نورها في ظلمة الصحراء، فتسمع بها المنقطعون للعبادة من وتسمع الناس بأخبارهم وأنهم يطلبون الجنّة والنّجاة من النّار فكثر الوارد عليهم والتّوابون، فأخذ ابن ياسين يقرئهم القرآن ويستملهم الى الآخرة ويرغبهم ثوب الله تعالى ويحذرهم من عذابه حتى تمكن حبّه منهم في قلوبهم فلم تمر عليهم أيام حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة فسّماهم المرابطين للزومهم رابطته (17) ولان فقيه الرباط، عرف بزهده، وتقشفه واخلاصه وجهاده، فبدأت العصبة الصغيرة يطّرد نموها: (ولم يعتمد عبد الله بن ياسين في جذّب أنظار المريدين الى مجرد تسامعهم بأخباره

---

(16) ـ الجمل، الامام عبد الله بن ياسين، 253.

(17) ـ ابن أبي زرع، القرطاس، ص 125.

بل بعث الى ديار القبائل البعوث، تحدث الناس بخبره وتقص عليهم ما يلمذونه في رباطه، يحضون القوم على الطاعة ويرغبونهم في الدخول فيما دخلوا فيه) (18) ومن هنا بدأ رباط السنغال يدخل في طور جديد من أطوار نموه، فقد أحس عبد الله بن ياسين أن هذه العصبة المرابطة قد تكون عنصرا فعالا في الانقلاب الاسلامي، وتحقيق أهدافه لو أحسن اعدادهم وتهيئتهم لذلك الهدف العظيم (19) لذلك تشدد في قبول الاعضاء في رابطته (ويظهر أن عبد الله بن ياسين اتبع طريقة جديدة تختلف في عدة نقاط من (النظرية المالكية) وذلك ما دعا البكري (20) الى عقد فصل خاص بعنوان (ذكر ما شذ به عبد الله بن ياسين من الاحكام) (21) لكن ما أحدث عبد الله بن ياسين كمتعهد من التجديدات أملاه عليه الوسط الانساني الذي كان يعتزم على نشر الاسلام فيه، وهو وسط يخيم عليه الجهل (22).

فكان الرجل اذا دخل في دعوتهم، وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له: (قد

---

(18) ـ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص 142.

(19) ـ نفســــــــــــــه، ص142.

(20) ـ أبو عبيد البكري (487ـ1093) من كبار الجغرافيين في القرن الخامس الهجري عاصر دولة المرابطين، كانت له أراء مخالفة لاجتهادات الداعية ابن ياسين له نظرات حول الارض من مؤلفاته المسالك والممالك، ومعجم ما استعجم أنظر: ابن بشكوال، الصلة، جـ1/ ص287، فضل الله العمري مسالك الابصار في ممالك الامصار تحقيق أحمد زكي باشا الجزء الأول القاهرة 1924ص29. ابن سعيد المغربي كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ص44.

(21) ـ البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، 169.

(22) ـ محمد ولد داده، مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول الى انتصاف القرن السابع دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني 1977، ص106.

أذنبت ذنوبا كثيرة في شبابك فيجب أن يقام عليك حدودها وتظهر من اثمها فيضرب حدّ الزّاني مائة سوط وحد المفترى ثمانين سوطا وحدّ الشارب ثمانين سوطا أيضا) (23) وبما زيد على ذلك وهكذا يفعلون بمن تغلّبوا عليه وأدخلوه في رباطهم (24) وهكذا اذا ظهر وندم عن سالف أفعاله انظم الى جماعة المرابطين واذا لم يتحمل أعباء دعوتهم اعتبروه عضوا غير قادر على تحمل مشاق رسالتهم وبهذا كوّن عبد الله بن ياسين منهاجا سياسيا ودينيا حازما خوّله لزعامة هذه (القوة المرابطة بحوض السنغال) كما أدت تعاليمه الى انتقاء أطهر الملثمين وأشدّهم حرصا وصبرا على مبادئ الدّعوة الجديدة .

هذا الاعداد الكبير للنفوس ، هو الذي يأمله الامام عبد الله بن يا ين لجماعته ليعلن الجهاد على القبائل التي رفضت دعوته عن طريق (الامر بالمعروف والنّهي عن المنكر) والوعظ والارشاد ، لان تغيير المنكر بالقلب واللسان قد انتهى مجالها فعزم على أمر عظيم وبهذا يصبح رباط السّنغال نموذجا فريدا في حركة الرّبط والمرابطة في بلاد المغرب والاندلس .

ولان عبد الله بن ياسين لم يكن راضيا كل الرّضا عما حدث في الرّبط ولم يعجبه ما آلت اليه الأمور في معظم الاحيان من الموقف السلبي فالمفروض أن تكون الرّبط مصدرا للجهاد وتنفيذا لشريعة اللـــــه ، ومصدرا لاحكام الله قد يـــكون

(23) ــ البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص169 .

(24) ــ محمد ولد داداه ، مفهوم الملك في المغرب ، ص106 .

هناك أحيانا جهاد ومهاجمة للحكام الخارجين على الشريعة وللذين يعترضون الدين ولكن في السابق التدخل في شؤون رباط نفيس (25) الذي لازمه ورضي بأن يحدث فيه ويروي ويفسر ويعلم الفقه ويُقرِئ القرآن ، وكان في مقدمة المجتهدين من أهل الرباط لذلك، فانه حينما أشرف بنفسه على رباط السنغال أعده وجماعته على صورة لم تكن معهودة في الربط المعروفة في عهده (26) .

فاستأثر رباط السنغال واما بأنه (لعب دورا ثلاثيا بحيث كان المؤمنون يدرسون فيه العلم ويتعبدون ومنه انطلقوا الى جهاد الشرك والمشركين والقضاء على عناصر الفتنة في المغرب الشمالي ، وبالتالي فقد كان رباط السنغال مدرسة ومعبدا ، ومهدا لدولة لعبت دورا جليلا في تاريخ المغرب والاندلس (27) .

فلا عجب اذا رأينا رائد الرباط ومعلمه يطمئن الى الرعيل الاول من (جيل رباط السنغال) ممن تعلموا على يده وتربوا على مبادئ الاسلام الخالدة

(25) ـ مدينة من بلاد المغرب عند أغمات تعرف بالبلد النفيس غزاها عقبة بن نافع رحمه الله وبها مسجد وهو معروف الى أيام الادريسي في جميع تلك البلاد أطيب هواء منها كانت بها مدرسة داخلية دار المرابطين يشرف عليها وجاج اللمطي أنظر: عبد المنعم الحميري، كتاب الروض المعطار ، ص578 .

(26) ـ ابراهيم محمد الجمل ، الامام عبد الله بن ياسين في رباط السنغال ص253 .

(27) ـ ابراهيم حركات ، النظام السياسي والحربي ، منشورات مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء المغرب ، بدون تاريخ ، ص115 .

فقد وثق في جيل الرباط ورأى فيهم الفئة المؤمنة التي نصرت الله ففتح لهم الرّباط باب الجهاد لنشر التعاليم الصحيحة بين قبائل المغرب الاسلامي وكان الدور العسكري الذي خاضته جماعة الرّباط (28) بعد أن تشكل الجهاز السياسي الذي كان يجمع عددا من (الشيوخ والفقهاء على رأسهم جميعا يحي بن ابراهيم الجدالي وعبد الله بن ياسين رجل فقه في تكوينه الثقافي ، فقد كان عطيا في الدولاب المسير سياسيا ودينيا للمرابطين يوحد بين قبائلهم ويضع لهم الخطط الحربية ، ولو أن يحي بن ابراهيم كان هو الموجه السياسي للمرابطة نظريا) (29) .

وقد تحدد الدور الحربي للرباط حينما دعا ابن ياسين جيل المرابطين الأتقياء الى الجهاد فقال لهم (يامعشر المرابطين انّكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم الى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، فقالوا أيها الشيخ المبارك مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين ولو أمرتنا بقتل أبائنا لفعلنا فقال لهم أخرجوا على بركة الله) (30) .

حينئذ خرج الامام عبد الله بن ياسين الى القبائل فأنذرهم وأقام يحذّرهم سبعة أيام ، فلما يئس منهم قال لاصحابه : قد بلغنا الحجّة وأنذرنا وقد وجب علينا

---

(28) ـ محمد ابراهيم الجمل ، الامام عبد الله بن ياسين في رباط السنغال ، ص255 .
(29) ـ ابراهيم حركات ، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين ، ص16 .
(30) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص125 .

الآن جهادهم ، فاعزوهم على بركة الله ، فبدأ أولا بقبيلة جدّالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين وتاربوا وأدّواما عليهم حسب صاحب القرطاس في صفر 434هـ/ 1044م (31) وكان قد غزاهم بقبيلة (لمتونة) وفقد منهم في هذه المعركة كثير وعند ذلك سمّاهم الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين بالمرابطين (32) وكان عبد الله بن ياسين هو القائد والامام رغم أنّه كان يقول لهم بأنه معلم دينهم فقط، وبدأ هذا التّحول لجماعة رباط السنغال يعرف مداه جنوبا حينما دحروا مملكة غانة التي تهدّدهم وكان سقوطها فاتحة الى اسلام السودان الغربي وهو الاسلام الذي عرف ذروته فيما بعد (33) حتى أنهم وصلوا في غزواتهم الصحراوية الى اقليم التكّرور (34) .

(ولما رأى الشيخ أبو محمد عبد الله ياسين استقامة لمتونة واجتهادهم أراد أن

---

(31) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، 126 .

(32) ـ اختلف المؤرخون حول الظروف التي أطلق فيها اسم المرابطين على الملثمين فالعبادي يرى بأن الاسم أطلق على قبيلة لمتونة فقط دون غيرها لتضحيتها الكبيرة واستماتتها في سبيل الدعوة فأطلق عليها عبد الله بن ياسين اسم المرابطين ، بينما صاحب القرطاس وتبعه بعض المستشرقين كهنري ماسي وجورج ماسيه وأشباخ يرى أن الاسم جاء من الرّباط أو الرّابطة أنظر: عبد الحميد حاجيات ، المرابطون ودورهم في تاريخ المغرب وحضارته (مجلة التاريخ) العدد الخاص بالصحراء الغربية الجزائر 1979 ص34، العبادي ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ص ص146ـ147 .

(33) ـ هنري ماسيه ، الاسلام ترجمة بهيج شعبان ، منشورات عويدات بيروت 60ص235 .

(34) ـ اقليم واسع ببلاد السودان الغربي ممتد شرقا الى أدغاغ ومغربا الى بحر بني زناقية وجنوبا الى بيط وشمالا الى أدرار ، أنظر: البرتلي الولاتي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق الكتاني ومحمد حجي ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1981 ص26 .

يظهرهم و يملكهم بلاد المغرب فقال لهم : انكم صبرتم و نصرتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتحتم ماكان أمامكم وستفتحون انشاء الله ما وراءكم) (35) وهنا تظهر الابعاد العسكرية لدولة رباط السنغال وتطلعات مهدى المرابطين السياسية والدينية .

وخرج المرابطون من جزيرتهم ورباطهم داعين الى مجتمع جديدا مجتمع اسلامي تسوده العدالة ولاخاء الى مدينة اسلامية فاضلة وانتهت حرب الصحراء باذعان قبائل الملثمين (جدّالة لواتة مسوفة) للدعوة الجديدة ومات في هذا الاثناء صديق عبد الله الامير يحي بن ابراهيم الجدّالي أحد أبناة أول دولة اسلامية مغربية وأحد الاعمدة الكبرى التى أقيم عليها بناء المرابطين (36) ونقل المسافرون روايات كثيرة لبلادهم عن العدل والامن بديار الملثمين مقابل الجور والفرقة التى توجد فى الشمال ، وكان الجور والتسلط الزّناتي من العوامل التى عبّدت طريق الفتح المرابطي للمغرب رغم الشوط الكبير الذى قضته قوات المرابطين فى توسعها ببلاد المغرب ، واجتمعت العوامل الدينية والفراغ السياسي والظلم كلّها لتكون أسباب انطلاقة المرابطين لفتح المغرب وكانت للزعيم تطلعات استراتيجية ، قبل مكاتبة فقهاء وصلحاء سجلماسة له حيث رغب فقهاء درعة وسجلماسة التخلص من الجور الزّناتي لاقامة العدل والاصلاح وكان خروج المرابطين

---

(35) ـ كتاب الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية لمجهول ، مطبعة التقدم تونس 1913 ، ص11 .

(36) ـ المرادي الحضرمي ، كتاب السياسة ، ص15 .

لحرب زناتة فى درعه وسجلماسة بداية لعهد جديد وملكوها على ما يذكر ابن عذارى سنة 447هـ/ 1057م (37) .

وكانت هذه البداية للعهد المغربي لدولة رباط السنغال ، عهد الامن ورفع المظالم عن المستضعفين وتوحيد المغرب وهذا الدّور هو دور القوة والاصلاح ، ودارت معارك طاحنة استجابة لمبادئ الاسلام السامية فى بلاد السوس .

وكانت جموع المرابطين تقدر بثلاثين ألف جمل مسرج وروح الجهاد التى بثّها زعيمهم كانت شعلة قوية قادتهم الى الانتصارات الكبرى التى ستجعل منهم جيلا محل تقدير من البعض ومحل نقد وجرح من أطراف مغرضة (38) .

ولم يتعرض المرابطون لقوة المصامدة التى تسيطر على اقليم السوس الاقصى انتقاما من عدوهم التقليدى زناتة وان كان اجتياز جبال درن من الاعمال العسكرية والاستراتيجية لفتح المغرب ودلّت على أن قوات المرابطين فوات

---

(37) ــ ابن عذارى ، البيان ، جـ3/ ص243 .

(38) ــ وصفهم أرشيبالد لويس صاحب القوى البحرية والتجارية بأنهم قبائل رحل خرجت من مواطنها وصحاريها نتيجة لظروف اقتصادية وسياسية وكانوا محاربين مخرّبين لكل حضارة مستقرة وهذا الموقف المغرض ينطلق منه يوسف أشباخ الألماني فيقول : (ظهر المرابطون بين سكان الصحراء البدو والساذجين فكانوا أعداء لكل حضارة عربية) راجع : أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ، ص362 ، يوسف أشباخ تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ترجمة محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية مؤسسة الخانجي القاهرة 1958 ص493 .

نظامية واصلت زحفها نحو وادي تانسيفته وكانوا قد فتحوا تارودانت مركز الشيعة الرّافضة من بني ماغوص وبني لماس، ويعرفون بالبجليين، حيث أحلّ لهم صاحبهم البجلي [illegible] بتونس، الرّبا سب الصّحابة (39) ومنذ 449هـ/ 1059م، أصبح المرابطون سادة الجنوب دون منازع وكان تقدّمهم يتم بالسّيطرة على الاماكن الاستراتيجية التي يكمن فيها الخطر.

ثم اتجهت قواتهم نحو أغمات وتادلي البتريتين وقد فرّ لقّوط البرغواطي من أغمات الى تادلي، التي فتحها المرابطون فيها بعد، ولم يبق للنفوذ الزّناتي سوى منطقة فاس والجهات المحيطة بها، وفي الجبهة الغربية كانت المعركة الفاصلة بين المرابطين وامارة برغواطة، وهناك استشهد مهدي المرابطين، وعلى قبره أنيم مشهد مقصود ورابطة معمورة ولم يستشهد حتى استولى على سجلماسة وأعمالها والسوس كلّه وأغمات ونول الصحراء (40).

وفقدت لمتونة الكثير من رجالها، وتوقفت الفتوحات في بلاد المغرب بعد موت الزّعيم الرّوحي وهذا ليجمع المرابطون شتات قواتهم، ورحّبت الرّعية في شمال البلاد بالعدل الذي أقامه الفاتحون الجدد الذين رفعوا المكوس والضرائب المستحدثة واقتصروا على الزّكوات والعشور (41).

وخلال استقرار الفاتحين بأغمات التي ضاقت بسكانها، فكّر الناس في بناء

---

(39) ــ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص129.

(40) ــ البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص168.

(41) ــ عبد العزيز بنعبد الله، معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1983م، ص256.

حاضرة جديدة وهي مرّاكش (42) التي قدّر لها أن تصبح الرباط الجديد للزعيم يوسف بن تاشين بعد أن خلفه أبو بكر بن عمر على المغرب وهذا الاخير كان أشد المخلصين للدعوة الرّباطية وحينما ء الى الصحراء استصحب معه المرادى القيرواني (43) (الذى ينتبه اليه الباحثون فى نشاة الدولة المرابطية كزعيم روحي جديد لدولة المرابطين فى الصحراء بعد استشهاد عبد الله بن ياسين .

وما أن شرع يحي بن عمر فى بناء مراكش حتى جاءته الاخبار بالفتنة بين جدالة ولمتونة ، فاستخلف يوسف بن تاشفين (44) على بلاد المغرب ، ثم تخلّى له عن زوجته زينب النفزاوية التي مدحتها كتب التاريخ (45) لحنكتها السياسية ودورها فى ارشاد زوجها وزعيمها الجديد .

راجع الاختلافات التي وقع فيها المؤرخون حول سنة بناء مرّاكش : العبادي ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية ، ص143 . ابن عذارى ، البيان المغرب ج4/ ص201 .
Levi Provençal, La fondation de Marrakech (462-1070) Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman T II. Imprimerie officielle Alger 1957

(43) ـ فقيه مالكي كان قاضيا فى آزكي وداعية عمل على استخلاف مهدي المرابطين. فى زعامته الروحية أنظر: محمد الأمين بلغيث ، النّظرية السياسية عند المرادي وأثرها فى المغرب والأندلس (تحت الطبع) ص37 .

(44) ـ يوسف هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين وباني أمجادها ومحقق أبعاد الرّباط العسكرية والدينية عنده راجع : ابن أبي زرع ، القرطاس ص134 ، الحلل الموشية لمجهول ، ص12 وما بعدها .

(45) ـ شخصية عظيمة لعبت دورا أساسيا فى شؤون دولة المرابطين مدحها ابن خلدون . أنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج6/ ص376 .
A Benachenhou, La dynastie Almoravide et son art (SNED) ALGER 1974 P 35

وأعد المرابطون العدّة لغزو فاس التى فشلوا فى اقتحامها مرتين ونجحوا فى عام 467هـ/ 1075م (46) ، وفتحوا تلمسان سنة (472هـ/ 1050م والى غاية 474هـ/ 1082م دخلت طنجة ومكناسة ووهران وتنس وجزائر بني مزغنا تحت سلطانهم ، ولم يقدم يوسف تاشفين على اقتحام الدولة الحمادية رغم الاهمية الاستراتيجية للمغرب الاوسط (47) وهذا يعود لنطلعات أندلسية فرضتها حركة الاسترداد المسيحي فى اسبانيا .

تربع يوسف بن تاشفين بعد عشرين سنة (1056-1083) على دولة شملت المغرب الاقصى ونصف المغرب الاوسط ، وكونت على اثرها قبائل الملثمين حضارة مزدهرة فى دولة واسعة يسودها العدل وعلى عهدها عرف المغرب الاقصى على الاقل الوحدة لاول مرّة بعد أن كانت تتقاسمه طوائف وشيخ على اثر زوال دولة الادارسة ، بينما افريقية والقسم الشرقي من المغرب الاوسط تعيش وسط الفوضى السياسية والانهيار الاقتصادى على اثر الغزوات الهلالية وكان أهل الاندلس يتتبعون أحداث الدولة الفتية (دولة رباط السنغال) فى بلاد العدوة وطار اسم ابن تاشفين فى الافاق بعد تسلمه مقاليد الحكم من ابن عمّه يحي بن عمر الذى استشهد فى بلاد السودان وهو يجاهد فى سبيل الله لتأمين حدود دولة الرّباط من أهل التكرور (48) .

(46) ـ أنظر كيف يرى أدريسي ان فاس سقطت فى عام 454هـ/ 1062م .
H. R. Idris, La Berberie orientale T1/P246.

(47) ـ عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، دار الشروق بيروت 1980 ، ص180 .

(48) ـ ابن خلدون ، العبر ج6/ ص377 .

وكانت أحداث الاندلس تجري بسرعة لتستدعي أهل المغرب للحيلولة دون الاستيلاء القشتالي على باقي أراضي المسلمين ، وهذا في عملية الاسترداد المسيحي العنيفة التي عرفتها دول الطوائف خلال القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي .

ويبدأ الدّور الاندلسي لدولة المرابطين حينما تجتاز قواتهم البحر برسم الجهاد ولاغاثة أمراء الطوائف (49) أين سادت الفوضى والاستبداد و الطّغيان والصراع فسقطوا فريسة سهلة للممالك النّصرانية ، فوصف حالهم صاحب الذخيرة فقال : (كانت الرّوم مدّة ملوك الطوائف بأفقنا قد كلب داؤهم بكـــل

---

(49) ـ بعد الفتنة البربرية عام 407هـ ، عرفت الأندلس ، دول الطّوائف حيث حكم بنوجهور قرطبة واشبيلية لدولة بني عبّاد ، وسرقسطة لامراء بني هود بالثغر الاعلى وغرناطة لبربر صنهاجة أما بنو الافطس فقد تربعوا على بطليوس وطليطلة والثغر الاوسط لبنيّ ذي النون والموالي العامرية بالمرية وبني رزين في شنتمرية ، عن هذه الدويلات راجع : ابن بسّام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس ، القسم الأول المجلد الثاني ، دار الثقافة بيروت 1978 ص602ـ608 ، الأمير عبد الله ، مذكرات الأمير عبد الله المسمات بالتبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر القاهرة 1955م .

عبد الواحـد المرّاكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، الطبعـة الأولى مطبعـة الاستقامة بالقاهرة 1949 ص70 وما بعدها .

اقليم فلاطفوهم بالاحتيال واستنزلوهم بالأموال فلم يزل رأيهم بالاذعان و الانقياد ودأب النّصارى التّسلط والعناد) (50) فكانوا على حد تعبير عبد الواحد المّراكشي (51) أحقر أن يحسب لهم النّصارى حساب ، فلم يكن منهم أحد الا ويؤدّي الضرائب العالية لالفونسو) (52) وبذلك يكون أهل الأندلس قد فقدوا شعلة الجهاد التي كانت من صفاتهم ومزاياهم ، لهذا تذمّر الصلحاء من هذا الوضع الذى تمّر به البلاد ، وقاسى الشعب الاندلسي فى ظل هذه الفوضى الاجتماعية والسياسية وانقلاب الاوضاع وتوالي الحروب والمحن حتى انعكست على نفسيته القلقة ، فعبر عنها بأشعاره ، فكانت رثاء وآسفا على عهد الأمن وعهد الخلافة .

وقد أصيبت الأندلس بنكبات عظام ، كان لها أبلغ الاثر على الوضع السياسي والفكرى للبلاد ، فالنكبة الأولى هي محنة بربشتر (Barbastro) (53) التى غزتها قوات نورماندية ، ثم أعادها يحي بن هود صاحب سرقسطة عام 457هـ/ 1065م

---

(50) ـ ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة ق2 م جـ1/ ص248 .
(51) ـ ولد فى مراكش فى السابع من ربيع الثاني فى سنة 581هـ/ 1185م فى بدء حكم أبي يوسف المنصور الموحدى ، أديب مؤرخ له نظرات فى التاريخ والادب يتحمل بحكم ولائه الموحدى على دولة المرابطين ، انتهى من كتابة عام 621هـ/ 1224م هاجر مكرها لسبب من تلك الاسباب السياسية الكثيرة التي يبعد لمثلها الزعماء وأهل الرأى عن بلادهم أيام الجور والطغيان أنظر: عبد الواحد المراكشي ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (مقدمة التحقيق) ص ـ ز ـ وما بعدها .
(52) ـ نفســـــــــــه ، 93 .
(53) ـ من أمهات مدن الثغر الفائقة فى الحصانة والامتناع غزاها أهل فرنسا (غاليش) والنورماند بحوالى أربعين ألف فارس سنة 456هـ/ 1066م ، ويذكر أنهم أختاروا من الأكبار والجوارى المسلمات ، من أهل الحسن والجمال حوالى خمسة الاف فاهدوهن الى صاحب القسطنطينية انظر: ابن عذارى ، البيان المغرب جـ3/ ص ص225ـ228 ، عبد المنعم الحميرى ، الروض المعطار ، ص90 وما بعدها .

وسقطت طليطلة ودخلها الفونسو، فاتحا فى السابع والعشرين من محرم سنة 478هـ/ 25مای 1085م وعادت الى حضيرة النّصرانية بعدان حكمهاالمسلمون ثلاثمائة واثنتين وسبعين سنة واتخذها ملك قشتالة حاضرة لملكة(54).

لهذا أحدث سقوطها دويّا مسموعا فى أرجاء العالم الاسلامي (55) وعلى اثر سقوطها جاءت الوفود الى يوسف بن تاشفين، بعد أن تأكد المعتمد بن عبّـــاد حليف الفونسو من مغبّة علاقته المشبوهة وقال قولته المشهورة (رعي الجمال خير من رعي الخنازير) حينما خوفوه من المرابطين، وكان صدام الاسلام بالنّصرانية فى موقعة الزّلاقة (56) التى كان النّصر فيها حليف أحفاد وتلاميذ عبد الله بن ياسين فرفع هذا التغيير فى حركة تاريخ الأندلس، من شأن أهل الدّين والمتطوعة والمرابطين فى العالم الاسلامي وتغنّى بهذا النصر الشعراء حتى تكون لدى

---

(54) ـ أنظر: Dozy. R. Histoire des musulmans d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides (711-1110) nouvelle édition revue par Lévi-Provençal T III Librairie et imprimerie Leyde. 1932 p 19-21

(55) ـ ابن الأثير الجزري، الكامل فى التاريخ ج8/ ص138.

(56) ـ الزلاقة : بطحاء بن اقليم بطليوس من غرب الاندلس، جرت فيها موقعة الزّلاقة فى رمضان 479هـ/ 1086م أنظر: عبد الواحد المرّاكشي، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، ص ، عبد المنعم الحميري، الرّوض المعطار، ص ص 287ـ 292، حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف بمصر 1980، ص27. بسّــــام العســـــلي، المعتمد وابن تاشفيـــــن، الطبعـــــة الثانيـــــة، دار النفائس بيروت 1983، ص ص 82ـ 92.

المؤرخين ما يسمى بأدب الزّلاقة * .

ولم تمض سوى سنوات قليلة بعد الزّلاقة حتى اتفق رأى يوسف بن تاشفين وبعض أصحابه (على أن يراسلوا المعتمدة يستأذنونه في رجال من صلحاء أصحابهم رغبوا في الرّباط بالاندلس ومجاهدة العدو والكون ببعض الحصون المصاقبة للروم الى أن يموتوا) (57) وقد كانت قلوب أهل الاندلس قد أشربت حبّ يوسف وأصحابه وسرعان ما دخلت حينئذ البلاد تحت لواء المرابطين وتعزز جانبهم الثغري بقوات من المتطوعة ، استطاعوا خوض معركة الجهاد بصورة غير محدودة في المغاربة الذين كانوا يعبرون الى الاندلس برسم الجهاد ، لان ثغورها وتخومها دار حرب ، حتى أن (مفهوم الجهاد تبلور في هذه الحالة في المغرب حينما بدأت حركة الاسترداد الاسباني) (58) ويمكن أن نلحظ كما يقول (ألفرد بل A. Bel) أن الدّولة المرابطية بجهازها العسكري البّري والبحري ، قد تمكنت من صد هجمات النّصارى الاسبان في كل لحظات وجودهم بالاندلس بل أعادوهم الى الوراء من جديد (59) (وكان المرابطون آنذاك يجابهون في البّر الاندلسي

---

* ـ عن هذه المعركة الحاسمة أنظر : أمين توفيق الطّيبي ، وقعة الزلاقة المجيدة 479هـ/ 1086م مقدماتها ونتائجها ، دراسات بحوث في تاريخ المغرب والأندلس ص156 وما بعدها .

(57) ـ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص138 .

(58) ـ أنظر: - Abdelhamid Hadjiat, Le Rôle du Soufisme dans l'évolution des peuples du Maghreb (AGTECHD) 1978 P.445

(59) ـ أنظر: - Alfred Bel, Les Benou Ghanya derniers représentants de l'empire Almoravide et leur lutte contre l'empire Almohade, Ernest Leroux PARIS 1903. P3.

عدوان ممالك و امارات اسبانيا المسيحية التي حركتها الاحقاد الصليبية و الحوافز العدوانية و التطلع للاستيلاء على بلاد الاندلس، وقد جاهدت الدولة المرابطية في سبيل الدفاع عن الاندلس أعظم الجهاد وقدمت في سبيل نصرته أعظم التضحيات ببسالة) (60) .

و مات يوسف بن تاشفين المجاهد العظيم تاركا دولة المسلمين لابنه علي (500- 537هـ/ 1106-1146م (61) الذي واصل جهاد المرابطين بأعماله الجليلة ،الا أن الاندلس في آخر دولته، اختلت أحوالها اختلالا مفرطا صاحب المعجب بحالة الضعف التي أصابت دولته، وذلك لتخاذل المرابطين و تواكلهم و مثلهم الى الدعة و ايثارهم الراحة و طاعتهم النساء ، وكان أيضا من أسباب اختلالها قيام ابن تومرت بسوس و اشتغال بن يوسف به عن مراعاة أحوال الجزيرة (62) .

فهذه شهادة ظالمة و افتراء واضح من متجاهل لحقيقة الاوضاع في المغرب و الاندلس، يبرره تحيز المراكشي (63) للمصامدة الموحدين و ميله الى قضيتهم

---

(60) ـ عصام سالم سيسالم ،جزر الاندلس المنسية ، 285 .

(61) ـ هويسي ميراندا ،علي بن يوسف و أعماله في الأندلس، مجلة تطوان (العدد 58-59) ص ص 153-176 .

(62) ـ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص208 .

(63) ـ ولد عبد الواحد المراكشي في مراكش عام 581 هـ في عهد يعقوب المنصور و أيام محمد الناصر أنظر: عبد العزيز سالم ، مدينة المرية الاسلامية ص 92 . مؤنس الثغر الأعلى الأندلسي ، ص94 وما بعدها .

فقد ولد في مرّاكش أيام أبي يعقوب المنصور ، و الواضح أن المرابطين لم يكلّوا عن الكفاح أبدا على الرغم من تجمع قوى النصرانية عليهم من جهة وكراهية بعض طبقات الشعب الاندلسي لحكمهم من جهة أخرى ، و هي كراهية ليس لها ما يبررها ولا يفسر الا بعاطفة (قومية) متعصبة ضيّقة التفكير قصيرة النّظر) (64) اذ أن المعارك المتواصلة التي خاضها المرابطون في شبه الجزيرة و بالذات في شرق الاندلس و الثغر الأعلى هي التي استنزفت قوى المرابطين وقضت على مواردهم ، فلما طلبوا من أهل الأندلس المعونة خذلوهم و تنكروا لهم و طردوهم أيضا (65) وهم المنقذ من الضلال والانحراف الأندلسي ، و تعدّدت جبهات القتال و بدأ يضعف الدّور الحربي لرباط السنغال وهذا أمام تخاذل الأندلسيين وتعاونهم مع النّصارى و تأييدهم للموحدين وكانت ثورة المريدين (66) التي تزعمها صوفية المرية التي أسس نواتها الأولى

---

(64) ـ محمود علي مكي ، وثائق تاريخية جديدة من عصر المرابطين ، ص ص185 ـ 186 نقلا عن سالم، جزر الأندلس المنسية ، ص285 و أنظر أيضا الثورة عليهم في المصادر .

(65) ـ راجع : ثورة أهل الأندلس : A. Bel, Les Banou Ghaniya. pp. 5-21.

(66) ـ ثورة المريدين جاءت نتيجة لتطور حركة الصوفية في المرية ، وكادت تقضي على الوجود المرابطي في الاندلس الذين لم تبق لهم سوى بعض الحصون و القلاع أنظر: ابن الابار ، الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، الجزء الثاني الطبعة الاولى القاهرة 1963 ، 202 .

ابن العريف (67) ، قد رفعت راية الثورة على المرابطين ، ولهذا تغير دور الرّبط الاندلسية حيث في البداية رفعت راية الجهاد ضد النّصارى المستردّين وشاركت في الحياة العسكرية وهذا بقسط وافر من المتطوعة والمرابطين وهذا بتعزيزها لثغور الاندلس الاّ أنها سرعان ما تحول روادها في أواخـــــر الدولة المرابطية الى ثوار .

فظهرت ثورة المريدين ومركزها المرية ، وبهذا فشلت في اقامة حكم مستقل على غرار المرابطين وبجانة نظرا لانتصار الموحدين أصحاب قلعة وربـــاط يتنمل .

وانتهى الدّور العسكري لرباط السنغال ، بعد أن نجح في السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط مدّة تقارب من القرن ، وما بقي لهم سوى بقايـــا معارضة عنيفة تزعمتها أسرة بني غانية بالجزائر الشرقية (68) .

---

(67) ـ أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي يكنى أبا العباس ويعرف بابن العريف من المرية سمع من ابن بشكوال صاحب الصلة ، وكان متناهيا في الفضل والدّين وأفكاره تضمنها كتابه محاسن المجالس ، أنظر: عباس بن ابراهيم المراكشي الاعلام جـ1/ ص164 ، ابن الابار ، التكملة جـ1/ ص81 .
Ibn Al Arif, Mahasin Al Madjalis publié par Asin Palacios traduit par [illegible] [illegible] [illegible] P. Geuthner Paris 1933, p. 126.

(68) بدأ حكم هذه الأسرة لجزيرة البليار بتعيين على بن يوسف أمير للمسلمين في عام 520هـ/ 1126م يحي بن غانية المسوفي كحاكم على هذه الجزر ومن حينها بقوا في الجزر وبعض المدن الاندلسية ثم قاموا بالثورة على الموحدين مدة نصف قرن وانتهت دولتهم عام 633هـ/ 1236م أنظر: عند:
A Bel, Les Banou Ghanya. P. 1.

وحركة المهدى بن تومرت تشبه الى حدّ ما حركة ابن ياسين والمرابطين فالمهدى فى الأصل قام بمهام محتسب ثائر، وهذا منذ عودته من المشرق (69)، فهو يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وما تميز به هذا المحتسب الموحدى أنّه ثار على الوضع العقائدى والاجتماعي لمغرب المرابطين وأثناء أعماله كمحتسب حرّ، يكاد يفقد حياته فى بجاية الحمادية حينما طلبه سلطانها، ولما عرفت رسالته من الانتشار ومن الشهرة من برقة الى بلاد المغرب، فاحتمى بقبيل بني ورياجيل الصنهاجية فى ملّاله قرب بجاية الناصرية فتمسكوا به وهيأوا له فرصة التعليم بينهم ورفضوا تسليمه الى السلطان (70) وفي (رباط ملّالة) التقي الزعيم الرّوحي بالشاب عبد المؤمن الذى قدّر له أن يصبح زعيم دولة الموحدين بعد المهدى وبعد رحلة بين مرّاكش وأغمات ظهرت للمهدى الابعاد التي يمكن أن تفسر عليها ثورته على المرابطين ولعل (رباط ملّالة) هو الذى هيّأ المهدى لهذا الامل الذى تحول الى شعور متأكد بالدّور الاصلاحي ينبغي أن يقوم به (71).

---

(69) ـ لقبال موسى، الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربي، ص50، عبد المجيد النّجار، المهدى بن تومرت، ص84 وما بعدها.

(70) ـ لقبال موسى، الحسبة، ص50.

(71) ـ عبد المجيد النّجار، المهدى بن تومرت ص111، ويبدو الجهاد والاسلامي للمرابطين بشكل واضح فى الأندلس فى الثغر الأعلى خاصة محاولتهم استرجاع سرقسطة وثغورها أنظر: مؤنس، الثغر الأعلى، ص ص98-121.

وأثناء استقرار المهدي بين عصبيته المصامدة في قلعته الحصينة بتينمل (72) أظهر أبعاد حركته التي تقوم على دعائم سياسته وعسكريته فمن دعائمها السياسية أعلن أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الارض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا (ويقصد عهد المرابطين[+]) وبقي يستجلب القبائل وفرّق من يثق بسياسته من تلاميذه في البلاد القاصية والدّانية يدعون الى بيعته ويثبتون للناس امامته ويزرعون في قلوبهم محبّته ممّا يذكرون له من الفضائل والكرامات ويصفونه به من الزّهد في الدّنيا واظهار الحق (73) وقوى سلطانه وسمّى أصحابه بالموحدين، وجعل لهم كتابا في التوحيد، فصار على حد قول ابن أبي زرع، عند المصامدة كالقرآن العزيز لانّه وجدهم قوما جهلة لا يعرفون شيئا من أمور الدنيا ولا من أمور الدّين فاستهواهم بكيد (74) ولما كمل له من الانصار ما يزيد على العشرين

---

(72) ـ بعد استقرار المهدي بايجلي ثلاث سنوات، انتقل الى تينمل وهي كما وصفت من أحصن قلاع جبال الاطلس وفيها تقرر مصير حركة الموحدين راجع عنها: رشيد بورويبة، ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص74، روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ترجمة أمين الطّيبي، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1982 ص 35.

+ ـ أنظر: عبد الحميد النّجار، المهدي بن تومرت، ص119.

(73) ـ ابن أبي زرع، روض القرطاس، 177.

(74) ـ نفســــــــــ،، ص177.

ألف رجل قام فيهم خطيبا وندبهم الى الجهاد المرابطين الذين وصمهم بالتجسيم في ثورته الاعلامية حينما أراد أن ينقص من قيمتهم بين الناس و أعلن عليهم الجهاد المقدّس في عام 1122م/ 516هـ، ومن حينها انتشر أمر المهدى في جميع بلاد المغرب والاندلس الى أن توفاه الله في 524هـ 1130م (75) تاركا دولة بدأت تطوق دولة المرابطين، وخلفه عبد المؤمن الكومي، المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين الذى يلاحظ عليه الحماس للاصلاح الذى كان الدافع الاول لحركة الموحدين (76).

ان فكرة نشر عقيدة المهدي في سائر أرجاء المغرب وربما الأندلس، كانت تراود عبد المؤمن لنشر رسالة معلّمه الأول، وهذا منذ أن كان بحصن تينمل الذى تخرج فيه حفاظ وأشياخ الموحدين.

(لقد سار عبد المؤمن ببطء ومنهجية فتجنّب بانتظام ملاقاة المرابطين في ساحة القتال، بل وطّد سلطته في سائر أنحاء سلاسل جبال المغرب الأقصى (...) وقد أكد من الباحثين هذه = النّعبة = التى استعمل فيها خصمان أسلحة مختلفة تماما) (77) وعزّز قوته العسكرية بانشاء (رباط تازة) (78) الذى كان عبارة عن قصبة أو حصن سرعان ما أكسبوه صفة

---

(75) ـ أنظر وفاة ابن تومرت والاختلافات في تحديد سنة وفاته، البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت تحقيق: عبد الحميد حاجيات منشورات الجزائر 1974 ص79.

(76) ـ روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب ص60.

(77) ـ لي تورنو، حركة الموحدين ص61.

(78) ـ جورج ... رسي، تازا ، دائرة المعارف الاسلامية العربية المجلد الاول ص518.

دينية ، و ظلّت المدينة و رباطها له مكانته الحربية قبل مقاومة المرابطين وخلال عهد عبد المؤمن استفحل أمر المعارضة من مالكية سبتة بزعامة القاضي عياض اليحصبي (79) الذى طالب الدّعاء وللخليفة العباسي وابن الصحراوية من أسرة بني غانية بجزر البليار ، الا أن المعارضة التى كادت تقضي على سلطان الموحدين بالمغرب هي (حركة رباط ماسة) وصاحبها الماسي يقول عنه ابن خلدون : (ثم خرج عليهم (الموحدين) بنـ - السّوس ثائر من سوقة سلا يعرف بمحمد بن عبد الله بن هود وتلّقب بالهادى وظهر فى رباط ماسة فأقبل عليه الاشرار من كل جانب ، وانصرفت اليه وجوه الاغمار من أهل الافاق وأخذ بدعوته أهل سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة وركراركة وقبائل تامسنا وهوارة) (80) ثم فشت ضلالته فى جميع بلاد المغرب على حد تعبير ابن (81) وبرز الداعية الماسي أمام أبي حفص بن عمر أحد أشياخ الموحدين في قوة تقدر بستين ألفا من الرّجال وسبعمائة من الفرسان

---

(79) ـ كان القاضي معروفا بميلة للدولة المرابطية ، لهذا قاد الثورة على الموحدين اذاك وأما ما أدعى عليه باليهودية فهي أقوال الدهماء العاملة فى ركاب الموحدين أذاك . القاضي عياض ، ترتيب وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك الجزء الأول ، تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا دون تاريخ ص23 .
Bel, Les Benou Ghanya, P 13.

(80) ـ ابن خلدون ، العبر ، ج6/ ص ص479ـ480 .

فهزمهم الموحدون وقتل الداعية الخطير عام 541هـ/ 1146م.

وأثناء فتوحات عبد المؤمن، ظهر الدور العسكري لرباط الفتح (82) بشكل واضح فهو المكان الذي انعقدت فيه الرايات والالوية برسم الجهاد الاندلسي ومنه تحرك عبد المؤمن الى جهات كثيرة من المغرب الأقصى، ودام فتحه لبلاد افريقية والمغرب الأوسط والأقصى والأندلس مدة طويلة، وكانت سنة 555هـ/ 1160م قمة التفوق السياسي والعسكري لدولة الموحدين حيث دانت لعبد المؤمن بلاد المغرب والأندلس ودخل أهلها في طاعته من برقة (83)

---

(82) — يقع في الجهة الثانية لمدينة الرباط بحيث لا يفصله عن سلا سوى وادي أبي الرقراق قيل بناه أول الامر يوسف بن تاشفين لكن شهرته ودوره العسكري برز بالخصوص في عهد عبد المؤمن، وفي هذا يقول المؤرخ المغربي ابراهيم حركات (قيل كان الرباط قبل بنائه رباط للجيوش الاسلامية خصوصا جيوش المرابطين المحاربين ضد برغواطة وحسب ما ساقه ابن حوقل فربما اللفظ الدلالة على رباط استقر بمكان شاله بعد خرابها وعند تأسيس الرباط الموحدية سميت رباط الفتح ويقول شامبيون بأن المرابطين أول من أقاموا -في مكان المدينة الحالية -رباطا للجهاد).

أنظر: حركات المغرب عبر التاريخ ج1/ طبعة دار الرشاد، ص34.

(83) — لا نعرف كيف دخلت برقة تحت لواء عبد المؤمن لكن الشيئ الموجود في الكتب أن طرابلس الغرب كانت قد دخلها نورماند صقلية عام 540هـ/ 1145م الا أن ثورة المدينة طردتهم من البلاد وقدم حاكم أسرة بني مطروح الولاء لعبد المؤمن 555هـ/ 1160م.

أنظر: Bel, Les Banou Ghaniya. P 39

الى تلمسان ، ففرّق فيها عمّاله وقضاته وأسكنها وعمّرها وضبط ثغورها وأصلح أقطارها (84) وعزّز الدعوة الموحدية ووجودها بانشاء أسطول بحرى (85) قوى بغرض غزو بلاد الروم برّا وبحرا على غرار أمجاد البحرية المرابطيـــة (86) فى الحوض الغربي للمتوسط .

وقبل موته بخمسة أشهر وصل الى رباط الفتح ، ثم استنفر جميع القبائل فأتته من جميع الجهات ، القبائل والمتطوعة ، فعمّرت سلا ورباط الفتح (87) ولم يكتب له الجواز من هؤلاء النزاة ، بعد أن وحّد بلاد المغرب الاســـلامي لاول مرة بعد الفتح ، وخلفه شهيد شنترين (88) أبو يعقوب يوسف 558 هـ

---

(84) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص198 .

(85) ـ انظر: ATTallah Dhina, Les états de l'occident musulman aux XIII XIV et XV siècle (institutions gouvernementales et administrative. ENAL Alger 1984 P35

(86) ـ (قامت الاساطيل المرابطية التى وصل عددها الى مائة أسطول فى شتى قواعد البحرية المرابطية فى ثغور الاندلس والمغرب الاقصى وجزر البليار بدور بطولي فى التّصدى للاساطيل الصليبية فى الحوض الغربي للبحر المتوسط ومطاردتها الى عقر دارها ولم تهزم فى أى حملة بحرية طيلة العهد المرابطي ولم تتمكن الاساطيل الصليبية من احراز أى نصر عليها طيلة الوجود المرابطي .
أنظر: سالم جزر الاندلس المنسية ، ص290ـ291 .

(87) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص 202 .

(88) ـ مدينة من كورباجة ، فى جبل عال ، وهي من أهم ثغور المنطقة منها ابن بسام صاحب الذخيرة ، وفى هذه المدنية التى حاصرها المنصور بمائة ألف من المتطوعة مرض ومات قبـــل أن يصـــل الى مـــراكش أنظـــر: الحميري ، الروض المعطار ص346 .

580هـ/ 1163– 1184م الذى جاء فى وقت أقبلح فيها بعض المماليك التابعين لصلاح الدين الايوبي أجزاء من افريقية و طرابلس الغرب بقيادة الارمني قراقوش (89) الذى أسس مملكة صغيرة بمساعدة القبائل الهلالية (90) وبدأت هذه المغامرة المصرية فى بلاد المغرب عام 568هـ/ 1173م ثم عاد صاحبها الى مصر ليعود مرّة ثانية بعد أن عاد يوسف بن عبد المؤمن من افريقية على اثر أخذه قفصة من بني الطّويل ، فسيطر على طرابلس الغرب و خطب فيها لصلاح الدّين (91) الى أن جاء لحكم بلاد المغرب المنصور الموحدى 580–595هـ/ 1163–1198م الذى كانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية و بنية حسنة صنع الله عز وجل فى أيامه الامن بالمشرق و المغرب و الاندلس كما عبر عن ذلك ابن أبي زرع (92) فقد حصن الثغور و بنى المدارس بكامل افريقية و المغرب و الاندلس وعرفت على عهد افريقية تحالف بني غانية مع قراقوش وهذا بعد عام 581هـ/ 1164م ومن هنا جرّد المنصور الحملات الكثيرة من مراكش لاعادة وحدة بلاد المغرب لما استفحل خطبهم ، فنزل تونس فرماهم

---

(89) – هو شرف الدّين قراقوش أرمني الأصل ينسب لصلاح الدين لأنه يخطب له في بعض المدن التى سيطر عليها إستسلم فى آخر الأمر فحمله المنصور معه الى بلاد المغرب أنظر: عن مغامراته: عز الدين أحمد موسى ، دراسات فى تاريخ المغرب الاسلامي ، دار الشروق 1983، ص19– 32.

(90) – أنظر: Bel, Les Banou Ghanya. PP. 40- 41.

(91) – عز الدّين أحمد موسى ، دراسات فى تاريخ المغرب ، ص26.

(92) – ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص

ببعضه فانهزم الموحدون فخرج بنفسه ،فانهزم تحالف لمتونة والغز (93) و
العربان عام 583هـ/ 1167م (94) .

وتحرك المنصور ضد القوى المصرية المتعددة (95) والميورقيين ، جعله
يقضي على كل الثورات وروّع جميع الثائرين بما فيهم المرابطين الذين استولوا
على فاس وطرابلس ،فهزمهم وبعد هذه السكينة في الجبهة المغربية عبر
المنصور الى تونس فاستغل البرتغاليون والصليبيون والألمان والانجليزغيابه
واستولوا على مدينة شلب (96) الأندلسية التى عقدت معهم عهدا بيد أنها
لم تنج من مصير مروع فقد بقي من سكانها ثلاثة عشرة ألفا فقط من ستين ألفا
فالباقي قتلوا أو أسروا بيد الألمان أو الانجليز واستقر كثير منهم في شلب
وضربوا النّواقيس الى ان استعادها منهم والي قرطبة الموحدي في 587 هـ/
1191م وهدأت أحوال الأندلس بسبب الانشغال الطرق المغربي بأحوال إفريقية والاسباني
بهمومهم هناك ، الى أن استفز الفونسو الثامن المنصور كما فعل سابقه مع
يوسف بن تاشفين صاحب الزّلاقة ،لهذا دوت صيحة الجهاد في جميع أنحاء
المغرب من مدينة رباط الفتح الى برقة ، في نفس اللّحظة سارت فيه جيوش

---

(94) ـ عز الدين عمر أحمد موسى ، ، فى تاريخ المغرب ، ص29 .
(95) ـ هذه القوى المصرية المغامرة مثلها قرافوش، وقراتكين وأخيرا بوزبا وقد
قضى عليهم المنصور كلّهم أنظر: أحمد موسى دراسات في تاريخ المغرب، ص29 .
(96) ـ شلب من بلاد الأندلس وهي قاعدة اكشوبنده قبلي مدينة باجة أنظر:
الحميرى الرّوض المعطار ، ص242 .

الغرب الصليبي لمحاربة صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس، وتقابل المنصور مع الفونسو بالأرك (97) في شعبان 591هـ/ 1195م، فانتصر الجيش الموحدي مما زاده مكانة هامة في العالم الاسلامي .

ولم يشهد خلفه من هذا الانتصار، اذ سرعان ما ذهبت نشوة النّصر بهزيمة الجيش الموحدى بحصن العقاب (98) (Las navas de Tolosa) الشهيرة عام 609هـ/ 1212م بقيادة جيوش محمد النّاصر خليفة يعقوب المنصور .

وبهزيمة محمد الناصر (99) في العقاب و (تخليدا لهذا الانتصار

---

(97) ـ الأرك: حصن على بعد عشرين (كلم) من قلعة رباح وهي نقطة الحدود بين الاندلس وقشتالة أنظر: شوقي أبو خليل ، الأرك بقيادة يعقوب المنصور الموحدي الطبعة الثانية دار الفكر دمشق 1981، ص45 وما بعدها . ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ص 220 .

(98) ـ العقاب بين جيان وقلعة رباح وفيها كانت المعركة الحاسمة ،الحِمْيَري الروض المعطار، ص416 ،سالم ، المغرب الكبير ص819، محمد العروسي ،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ص229 .
Dhina, Les Etats de l'Occident musulman. P 32.
عبد الواحد المرّاكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص322 .

(99) ـ هو الخليفة الموحدى الخامس تولى الحكم بعد والده يعقوب المنصور عام 595هـ/ 1199م وانتهى عهده عام 610هـ/ 1213م بعد سنة تقريب من هزمته في العقاب ورغم محاولاته في القضاء على ثورات بني غانية وغيرهم الا أنه يمثل بداية الضعف حتى قال الحميرى عن العقاب بأول وقيعة أدخلت الوهن على الموحدين فلم يقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة .

قرّرت الكنيسة من يومئذ أن يحتفل سنويا فى السادس عشر من يوليو باقامة حفل ديني عظيم تحت شعار ظهر الصليب) (100) ومن هذه المعركة أصبحت الحروب الصليبية واضحة فى بلاد المغرب والاندلس (101) .

وانتهى تفوق البحرية الموحدية فى عهد محمد النّاصر رغم تمكنه من فتح جزر الأندلس المنسية (الجزائر الشرقية) نظرا لضعف المركزية فى الحكم وبداية ظهور المتغلبين فى الدّولة الموحدية المترامية الأطراف وقبل أن تسقط الدولة الموحدية أغتنم الاسبان فرصة ضعفها واستولوا على قواعد الاندلس قاعدة قاعدة ولم يبق للمسلمين الّا سيف البحر ما بين رندة (102) والبيرة (103) فجاء المرنيون وكان عليهم مواجهة هذا الزحف الاسباني الذى أوشك أن يصل شواطئ المغرب الاقصى (104) .

وبهذا ينتهي الدور العسكرى للمرابطين والموحدين معا فى الجزائر الشرقية (الميورقيين) والموحدين فى الأندلس، وبهذا بدأ صراع آخر بين

---

(100) ــ عبد الكريم التوّاتي مأساة انهيار الوجود العربي فى الأندلس، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشاد الدار البيضاء المغرب 1967 ص610 .

(101) ــ نفســــــــه 611 .

(102) ــ أنظر: عن هذه المدينة الأندلسية: الحميرى ،الروض المعطار ، 269 .

(103) ــ ألبيرة: مدينة بالأندلس من أهم مدن بني نصر حتى أنه هناك باب البيرة بغرناطة : أنظر ابن الخطيب ،اللمّحة البدرية فى الدولة النّصرية ، دار الآفاق الجديدة بيروت 1980 ، ص83 .

(104) ــ عز الدّين عمر أحمد موسى ،دراسات فى تارخ المغرب الاسلامي ص69 .

دول المغرب الاسلامي (بني حفص وبني زيان وبني مرين) واسبانيـــا المستـــردة .

+ـ قد يتصور الانسان البعيد عن الحقائق التاريخية أن رسالة الربا انتهت بظهور الأساطيل البحرية ، ولـكن . . ا ا الربا والفداء هو الذي حقق الانتصارات للمجاهدين أيام التحرش الاسباني بثغور المغرب الاسلامي راجع . الراشدي ، الثغر الجماني (مقدمة المحقق ص20 وما بعدها .

ثانيا : الدّور الدّيني للربط في عهد المرابطين و الموحدين .

لقد قامت حركة المرابطين على دعوة دينية اصلاحية و رباط حوض السنغال كان المدرسة الدينية التي تخرّج منها الدّعاة الى الاصلاح و نشر الاسلام و تصحيح المفاهيم الاسلامية و احقاق السنة في (ثورة ابن ياسين الاصلاحية) شملت في الدرجة الاولى قبائل لمتونة و جدّالة و مسوفة) فرغم أن المصادر تقول ان هذه القبائل كانت لها دولة وسلطان يحكمها فيهم أهل الدّين و الاصلاح وآخرين جمعهم على طاعة الله ورسوله بعد أن تفرقت كلمتهم مدّة طويلة من الزّمن الامير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتوني (فاجتمعوا عليه و قدّموه على أنفسهم وكان من أهل الدين و الفضل و الصلاح و الحج و الجهاد فأقام أميرا على صنهاجة مدّة من ثلاثة أعوام الى أن استشهد في غزاة بموضع يقال بغارة و هم قبائل من السودان) (105) كانوا على دين اليهودية ، بالقرب من أرض هذه القبائل مدينة تاتكلاتين تسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بني وارث و هم قوم صالحون على السنة و الجماعة أسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتحه للمغرب (106) ، وكان لهؤلاء جهاد معتبر في بلاد السودان الى أن ظهر على مسرح أحداث القبائل الصحراوية يحي بن ابراهيم الجدالي .

---

(105) _ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص121 .

(106) _ نفســـــــ ، ، 121 .

من خلال هذه النّصوص، نتعرف على أن المنطقة كانت قد وصلها الاسلام حتى اذا تشكك البعض في بعد المنطقة عن الفتح في عهد عقبة فان هذه القبائل الصحروية قد قامت بنشر الاسلام في بلاد السودان لهذا لاحظ كثير من البحاثة في بلاد السودان حضور الاسلام على المذهب المالكي والاباضي (107) .

لهذا نستغرب هذا الانحراف الدّيني الذى أصاب افريقيا الغربية في فترة متقدمة من الفتح .

وان كانت التّجمعات القبلية في المناطق الصحراوية النائية ، وفي جبال الاطلس بعيدة عن التأثير الاسلامي ، فان رباط السنغال كمدرسة دينية اصلاحية ، جاء ليجدد الاسلام في هذه البلاد ففيه تعلم أهل صنهاجة الجنوب مبادئ الدّين والثقافة العربية الاسلامية ، فحسن اسلامهم ، وكانت أكثر قبائل صنهاجة طاعة للّه تعالى ـ دينا وصلاحا ـ قبيلة لمتونة ، فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرّفهم ويقدمهم على قبل صنهاجة الاخرى (108)

وبين هذه القبائل انبثقت عن الرّباط الاسلامي الذّى أسسه عبد اللّه بن ياسين على التّقوى دولة اسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة ، وكانت رسالة هذه الدّولة الجهاد في سبيل اللّه ، لذلك رابطوا على تخوم بلاد

---

(107) ـ نظر : ـ Joseph Cuoq, Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'ouest, des origines à la fin du XVI siècle Paul Geuthner, Paris 1984 P16.

(108) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، 126 .

السّودان لحماية الأمّة من الوثنيين ، وفي سبيل نشر الاسلام (109) ورغم أن بلاد السّودان قد جاءت في المرحلة الثانية للفتوحات بالخصوص بعد فتح مدينة أزغشت (110) ومع هذا فان الدّور الدّيني لرباط حوض السنغال هو نشر الاسلام في هذه المنطقة ، ويعود الفضل في نشر الاسلام في بلاد السّودان الى الزّعيم المرابطي أبي بكر بن عمر ، ورغم قلّة النّصوص التي تتحدث عن شخصية هذا الامير ، فان المصادر تبرزه في صورة المجاهد في سبيل الله ، فبعد أن فتح المرابطون بلاد المغرب الاقصى ، وأسسوا مدينة مراكش تسلّم يوسف بن تاشفين السلطة السياسية والعسكرية في الشمال وعاد أبوبكر الى الصحراء لنشر الاسلام بين القبائل الوثنية ، استجابة للدعوة الاسلامية التي تلقاها في رباط عبد الله بن ياسين ، وتكاد تغفل سيرته (111) وهو الذي حمى حما دولة المرابطين في الصحراء ، وقد جمع حوله أرباب العلم والفقه ، وأوائل المرابطين ، الذين صلّوا وراء عبد الله بن ياسين فأصبحوا يشكلون مجلس الشورى وعلى رأسهم الفقيه : — أبو بكر محمد بن الحسن المرادى الحضرمي (112) .

---

(109) — المرادي ، كتاب السياسة ، ص10 .

(110) — أنظر: Cuoq, histoire de l'islamisation : PUA

(111) — أنظر سيرة هذا المجاهد : ابن أبي زرع روض القرطاس ص ص 134، 135 .

(112) — كان يصاحب الأمير في غزواته في بلاد السودان ولهذا الفقيه مكانة هامة في مجلس الأمير وكتابه (الاشارة الى أدب الامارة) الذى يمثل دستور المرابطين في الصحراء هو الذى يبرز المكانة التي يتربع فيها المُرادي أنظر: محمد الأمين بلغيث النظرية السياسية عند المرادي ، 43 .

الذى تولى القضاء بمدينة آزكي (113) وألف لابي بكر بن عمر الذى يدعو الى معالي الأمور كتابا في السياسة ونظام الحكم ، اذ يبدو أن الأميرأبابكر بن عمر طلب منه كتابه ليكون دستورا له ودستورا للمرابطين من بعده .. وقد رأى الحاجة الماسة له حتى يعرف أسرار السّياسة وليوضح له فيه ضـرورة السّلطة وعلاقتها بالشريعة .

لهذا يبرز دور ابن عمر والمُرادي في الدّعوة الى الاسلام في بلاد السودان وتذكر النّصوص أن أبا بكر بن عمر قد خرج الى غزو مملكة غانا التي ضعـف ملكها وتلاشى أمرهم ، ففتح أبو بكر من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر وحمـل الكثير منهم ممن لم يكن قد أسلم قبل ذلك على الاسلام فدانوا به (114) ويذكر صاحب القرطاس أيضا فيقول : وخرج أبو بكر الى غزو بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر الى أن استشهد بسهم مسموم بعد أن استقرله أمر الصحراء الى جبل الذهب من بـلاد السّودان (115) .

---

(113) ــ أزكي : مدينة بموريطانيا الاسلامية ، وهي أول مراقي الصحراء ومنها الى سجلماسة ثلاثة عشرة مرحلة ومنها الى نول لمطة سبع مراحل وليست بالكبيرة ولكنّها متحضرة ومن عادات نسائها انه اذا بلغت المرأة التي لازوج لها منهم أربعين سنة تصدّقت بنفسها على من أرادها فلا تدفع عن نفسها من يريدها وهذه من العادات التي أزالتها الدعوة الاسلامية أيام المرابطين ولا بد من الدّخول الى هذه المدينة لمن أراد تكرور وغانة من بلاد السودان : أنظر محمد عبد المنعم الحميرى الرّوض المعطار ، ص 28 .

(114) ــ العبّادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، 304 .

(115) ــ ابن أبي زرع روض القرطاس ص 135 وعن جبل الذهب أنظر : العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ص 304 .

وأما صاحب الحلل الموشية فهو يقول : (كان أهل بلاد السّودان الذي حاضرتهم مدينة غانة (116) منتشرين فيما سلف من الدّهر بدين النّصرانية (117) الى سنة تسع وستين وأربعمائة فأسلم أهلها وحسن اسلامهم، و ذلك عند خروج الامير أبي يحي ابن الامير أبي بكر اللمتوني) (118) .

فمن هذه النّصوص وغيرها نجد أن مملكة غانة وانتشار الاسلام بين أهلها في بلاد السّودان ، ثم قيام مملكة مالي على أنقاضها ، كان ثمرة من ثمرات جهاد الامير أبي بكر بن عمر ، وجنود رباط حوض السنغال الاوفياء لمبادئ الاسلام التي تعلّموها في حلقات الامام عبد الله بن ياسين (119) .

ولما خلفه محمد بن عمر (120) بعد استشهاده في الصحراء ، قام بنفس الدّور ويرجع الفضل للمرابطين في دخول الاســـلام وظهور المذهب المالكي في بلاد السّودان والممالك القريبة خصوصا من مملكة غانة (121) .

---

(116) ـ عن مملكة غانة أنظر: أبو عبيد البكري كتاب المغرب في ذكر افريقية والمغرب ص174 .

(117) ـ ينفرد صاحب الحلل الموشية في هذا النص بقوله أن أهل السودان كانوا على دين النّصرانية ويتضح من النّصوص السابقة أن المنطقة كانت وثنية .

(118) ـ مجهول ، الحلل الموشية ، ص7 .

(119) ـ [illegible] العبادي في تاريخ المغرب والاندلس ، 304 .

(120) ـ محمد عمر أمير على الصحراء بعد أبي بكر بن عمر ، قيل قتله يوسف بن تاشفين بدسّة للسم لهذا الامير في قلّة من عسل ونحن نستبعد هذا العمل لتعدد يوسف وشدة تدينه أنظر: حمادة ، الوثائق السياسية والادارية في الأندلس وافريقية مؤسسة الرسالة بيروت 1980 ، ص271 .

(121) ـ أنظر: . Cuoq, histoire de l'islamisation : P46

ويتساءل الباحث (Joseph Cuoq) عن مكانة الدّور المرابطي في انتشار الاسلام والثقافة العربية في بلاد السودان ، وفي هذا يقول : (لم يكن المرابطون على الأقل هم أول من أدخل الاسلام الى هذه المنطقة اذ انّه قبل دخول ابن ياسين الى لمتونة كانت هناك الأبواب المفتوحة أمام المسلمين الذين وجدت لهم المساجد ورجال الدّين القائمون عليه ، فالمرابطون لم ينشروا الاسلام بقدر ما أعطوه دفعة قوّية سريعة في مملكة غانة سرعان ما تحوّلت الى مملكة اسلامية) (122) وبعد ذلك استطاعت الدّعوة الاسلامية التي أقامها المرابطون أن تجد تربة خصبة في بلاد السودان وعرفت الاصلاح بنفس المنهج الذي عرفته قبائل الملثمين من صنهاجة ، حينما وجد المذهب المالكي طريقه في بلاد السودان وأبواب التّيجر ، الى جانب المذهب الاباضي الذي عرفته المنطقة أيام الدولة الرستمية (123) .

وخلال القرن السادس الهجري ، نشط الدّعاة الذين تخرّجوا في رباط السنغال وشجعتهم فطرة أهل السودان في أداء رسالتهم الاسلامية رغم الغموض الذي عرفته هذه البلاد أيام الدّولة الموحّدية .

أما في بلاد المغرب ، حيث وجد المرابطون فسيفساء من المذاهب مع انتشار

---

(122) ــ أنظر: Cuoq, histoire de l'islamisation PP. 42-43

(123) ــ يؤاخذ الباحث بحاز ابراهيم الدكتور نوري الذي قدّم أطروحة بعنوان (انتشار الاسلام في السودان الغربي من القرن 5هـ ــ 11هـ/11ــ16م) ولم يشر الى الدور الاباضي في السودان الغربي اطلاقا أنظر: بحاز ابراهيم بكير ، الدولة الرستمية ، دارسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، مطبعة لافوميك الجزائر 1985 ص389 .

الزيغ و الضلال (124) فكانت نتائج حركة المرابطين الاصلاحية بعد استقرارهم قد قامت (على عدم السّماح بتعدد المذاهب الدينية التى انتشرت بشكل ملحوظ في المغرب كالخوارج و الشّيعة و المعتزلة و الحنفية و المالكية ، مما جعل البلاد عرضة للفتن و الخلافات المذهبية) (25) لهذا حرص المرابطون على الاكتفاء بسياسة المذهب الواحد و هو المذهب المالكي الذى قامت عليه الدّولة و أتخذته أساسا في كل ما يرجعون اليه في أمور الدين و الدّنيا (126) حتى غدوا يمثلون الاسلام على مذهب أهل السّنة و الجماعة (127) و تمكنوا من عطاء المغرب وحدة مذهبية خلال وجودهم قلّما حضي بها المغرب و هي تجربة رسّخت هذا المذهب الذى أصبح روح الوحدة المغربية الاندلسية فيما بعد .

ففي بلاد السّوس تمكن المرابطون أيام عبد الله بن ياسين و تحت قيادة أبي بكر بن عمر ، من القضاء على الشيعة البجلية (128) كما قاتلوا الوثنيين و اليهود المنتشرين في تلك النّواحي و بهذا أعادوا السوس الى مذهب أهل السّنة و الجماعة (129) .

(124) ـ ألفرد بل ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، 232 .

(125) ـ العّبادى ، في تاريخ المغرب و الاندلس ، ص 292 .

(126) ـ نفس ــــــــ ، ، ص292 .

(127) ـ أنظر: Alfred Bel, Les premiers emirs merinides et l'islam Melanges de geographie et d'orientalisme PARIS 1937 p.5

(128) ـ عن الشيعة الرافضة البجلية : أنظر:

وداد القاضي ، الشيعة البجلية في المغرب الأقصى أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي (167ـ194) .

(129) ـ العبادي ، في تارخ المغرب و الأندلس ، 293 .

لذا ظهرت من أهداف حركة المرابطين عمليا قامت على تقديم جهاد المارقين قبل أي جهاد آخر لذا ندرك (لماذا بادر المرابطون الى قتال برغواطة وغمارة قبل الزناتيين فخطة الغزو المرابطي نراها واضحة و سليمة و مدبرة تدبيرا محكما) (130) فقد جاء لتحقيق رسالة دينية اصلاحية تحملوها في رباط السنغال .

(مما تقدم نرى أن المرابطين ، قد نجحوا الى حد كبير في تحقيق رسالتهم ولعل أبسط دليل على ذلك هو أن تلك المناطق التي كانت موطنا للمتنبئين وذوي العقائد الضعيفة قد أصبحت في القرنين السادس و السابع أي عهد المرابطين ثم الموحدين بعدهم ، من أشد المناطق تدينا ، بل و اغراقا في الزهد و التصوف) (131) .

و يلاحظ أن كثيرا من العادات السيئة قد زالت كعادة تربية الشعور بين الرجال في غمارة التي وصفها البكري في أوائل القرن الخامس الهجري فيقول عنهم (ولهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتخذونها ضفائر ويطيبونها يتعممونها) (132) وقد لاحظ المؤرخون في القرن السادس الهجري ، التغيير الذي حدث وتعليله هذا نتيجة تغلغل الاسلام في بلادهم (133) و (أما المنطقة الغربية

---

(130) ـ العبادي ، في تاريخ المغرب والاندلس ، 296 .

(131) ـ نفس ـــــــــــ ،، 296 .

(132) ـ البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، ص102 .

(133) ـ العبادي ، في تاريخ المغرب و الاندلس ، 297 .

والجنوبية التي كانت مددا للبرغواطيين فقد تحولت هي الأخرى الى مسرح خصب لحركة صوفية شعبية قوية ، ويكفي أن نشير الى سلسلة الرباطات التي انتشرت على طول الساحل الغربي في آنفا وأزمور ، وآسفي ، وتيط وغيرها) (134) .

ومما يلاحظ في دور الرباط الديني ، السمعة الطيبة التي تميز بها مؤسس ملك ودولة المرابطين يوسف بن تاشفين وأتباعه ، فقد راعى الشرع الاسلامي مراعاة دقيقة (135) وعنه يقول ابن أبي زرع : (وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا لملكه ، متفقدا الموالي من رعيته حافظ البلاد وثغوره ، مواظبا على الجهاد ، مؤيدا منصورا ، جوادا كريما سخيا زاهدا في الدنيا لباسه الصوف ولم يلبس قط غيره وأكله الشعير ولحوم الابل وألبانها) (136) هذا الحاكم الزاهد كان ثمرة طيبة من ثمار الحركة الاصلاحية التي أقامها الامام عبد الله بن ياسين ، هذا الحاكم المسلم الذي كان من أعظم أمراء المرابطين شأنا قد تفهم جيدا المعاني النبيلة لكلمة (الرباط) أو (المرابطة) فأعطاها بعدا آخر بحيث صارت عنده ، اسم علم ، كما صارت كلمة مرابط بعد ذلك بمثابة وسام عسكري يمنحه لاتباعه من المجاهدين) (137) .

هذا الحاكم المرابط كان قد ملك بالمغرب ، من بلاد العدوة من جزائر بني

---

(134) ــ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، 297 .

(135) ــ ألفرد بل ، الفرق الاسلامية ، ص238 .

(136) ــ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص136 .

(137) ــ العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس ، ص274 .

مزغنة الى طنجة الى آخر السوس الأقصى الى جبل الذهب من بلاد السودان وفي الاندلس من مدينة أفراغة أول بلاد الافرنج قاصية شرق بلاد الأندلس الى آخر عمل شنترين والأشبونة على البحر المحيط ، من بلاد غرب الأندلس وكان يخطب له بالأندلس والمغرب على ألف منبر وتسعمائة منبر) (138) كان محبّا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم مكرسا لهم وكان مع ذلك حسن الأخلاق متواضعا كثير الحياة جامعا لخصال الفضل (139) .

اكثر من بناء المساجد وعمارتها ، ومن أهم هذه المساجد الخالدة الى يومنا المسجد الكبير بالجزائر العاصمة (140) والمسجد الجامع بندرومة (141) ولما فتح فاس حصنها وأمر بهدم الاسوار التي كانت بها فاصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين ، وأمر بناء المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وأجبرهم على بناء مسجد

---

(138) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، 136 .
(139) ـ نفســــــــ ، ص137 .

(140) ـ هذا الأثر المعماري الخالد من بناء يوسف بن تاشفين وهو يمثل قمة الفن المعماري المغربي الأندلسي وبه منبر خشبي يعد من التحف الفنية الاسلامية عن هذا المسجد أنظر: Benachenhou, La dynastie Almoravide : P82.

صالح بن قربة ، العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر (مجلة سرتا) السنة الثانية العدد 3 قسنطينة ، 1980 ، ص45 وما بعدها .

(141) ـ هذا المسجد بناه يوسف في ندرومة الواقعة على بعد 60 كلم شمال غرب حاضرة تلمسان ومئذنة هذا المسجد لا تزال موجودة أنظر: صالح بن قربة ، العمارة الدينية في عصر المرابطين ص56 . ، صالح بن قربة ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ، (دراسة معمارية وفنية) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م ص 155

فيه (142) وواصل ابنه علي بناء المساجد وتعميرها في المغرب والاندلس وتقرب من فقهاء المالكية حتى أنه كان لا يقوم بعمل الا اذا عاد الى مجلس الفقهاء وبهذا أصبحت دولة المرابطين بحق دولة الفقهاء .

أما الحركة الاصلاحية التي قام بها الموحدون في المغرب الاسلامي والدولة التي أنشأها ابن تومرت ، والبحث عن دور هذه الحركة ينبغي أن نحدد تطور الاسلام في المغرب في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي ومبدأ هذه الحركة (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي المنطلق الذى أتخذه المصلحون في بلاد العالم الاسلامي) .

فابن تومرت كان يجّد في تغيير المنكر مركزا على عادات سيئة فشت في المجتمع المرابطي كما صورته المصادر الموحدية : (اختلاط الرجال بالنساء و معاقرة الخمر وما يصحبها من اللهو والطرب) (143) كما كان يشجع طيلة الطريق بعد عودته من المشرق على اقامة المساجد واصلاح ماكان منها مهدوما وكان يصحح الاخطاء الشرعية التي يقع فيها البعض الفقهاء والحكام (وكان كلما توفر له شيء من الاستقرار جلس يعلم الطلبة وأطول ما كان ذلك بمدينة فاس التي كانت مدينة علم) (144) فهناك جعل يلقي دروسا في العقيدة على الطريقة الاشعرية وقد نالت هذه الطريقة اعجاب الطلبة ، هذا الفقيه المعلم هو الذى

---

(142) ــ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، 141 .

(143) ــ النّجار ، المهدى بن تومرت ، ص95 .

(144) ــ نفســــــــــــــه ، ص96 .

غير مجرى الأحداث التاريخية والعقائدية في بلاد المغرب الاسلامي مقيما بذلك فلسفة جديدة في الدين والدنيا فأما (مفهوم الجهاد عند الموحدين ، فانّه تطور بصفة محسوسة ، ففي عهد ابن تومرت ، وفي الجزء الأول من خلافة عبد المؤمن كان الجهاد موّجها أساسيا ضد المرابطين) اذ نلاحظ أن الموحدين على غرار فرق اسلامية أخرى (خارجية وشيعية) اعتبروا قتال خصومهم المسلمين المرابطين جهادا) (145) (ولما قضي الموحدون على حكم المرابطين في المغرب والأندلس وجهوا الجهاد ضد الممالك المسيحية المجاورة) (146) .

وقد أثار المهدي بن تومرت أثناء قيامه بحركته الاصلاحية في المغرب مسألة كلامية وهي قضية التجّسيم (147) وكان يجادل الفقهاء ويعرّف الناس باسلامه الصحيح ويرغبهم عن اتباع مذهب السلف ويعتمد في مناظراته على طريقة علماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة ، وكانت منطقة الأطلس الخاصة بالمصامدة أكثر المناطق تمسكا بالاسلام ولهذا اجتمعت الرّغبة الاصلاحية للمهدي مع النزعة القبلية والعصبية لنشوء الدولة الموحدية (148) والاسلام الذى وجدهم عليه ابن تومرت كان عبارة عن مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف لهذا كان المهدي يجتهد في نشر الاسلام بينهم وقال لهم : اجتهدوا في تعليم ما

---

(145) ــ ولد داداه ، مفهوم الملك في المغرب ، 176 .
(146) ــ نفســـــه ، ص 176 .
(147) ــ عن التجّسيم وآيات الصّفات راجع : محمد الأمين الشّنقيطي ، منهج ودراسات لآيات الصّفات ، مكتبة المعارف الرّباط 1973 ، ص 3 ، 4 ، 15 .
(148) ــ بيل ، الفرق الاسلامية ، 259 .

يلزمكم من فرائضكم واشتغلوا بتعليم التوحيد فانّه أساس دينكم حتى تنفوا عن الخالق التشبيه والشريك والنقائص والافاق والحدود والجهات ، فمن جعله في نكان أوجهة فقد جسّمه، ومن جسّمه فقد جعله مخلوقا ومن جعله مخلوقا فهو كعابد وثن (149) لهذا كان يقول بأن الجهاد ضد المرابطين فرض على كل موحّد وأهم من الجهاد ضد النّصارى والمشركين قال : (اجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين فجهادهم أعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف كثيرة لانّهم جسّموا الخالق سبحانه وأنكروا التّوحيد وعاندوا الحق) (150).

والمهدى بن تومرت ليس فقط مؤسس دولة اصلاحية في المغرب الاسلامي بل أعطى للمغرب والأندلس مذهبا تشريعيا دينيا دعا اليه أولا ، ثم بانتصاراته ثانية فرضه على تلك البلاد التى لم تكن تعرف سوى المذهب المالكي ، وهذا المذهب يظهر خصوصا في مؤلفات المهدي المكتوبة بلغة أهل مصمودة (151) .

أما مذهب الموحدين فيقوم على التّوحيد اذ تميز ابن تومرت على فقهاء السلف في معرفة الشريعة بأنه يرجع في أصول العقيدة والشريعة الاسلامية الى القرآن والسنة واجماع الصحابة وهو بذلك يطرح الأصل الرّابع عند أهل السّنة وهو القياس واجماع الفقهاء أو العلماء الذى يدخل في (الظن) كما يسمّيه ابن تومرت فاجماع العلماء لم يعد له مبرر لأن المهدي بوصفه الامام

---

(149) ـ ألفرد بل ، ص259.

(150) ـ نفسه ، 260.

(151) ـ بورويبة ، ابن تومرت ، ص129.

المعصوم يقوم مقامه ويغني عنه واجتهاداته لها قيمتها الشرعية(152) والمحور الأساسي في مذهب ابن تومرت في العقيدة هو تصوره لوحدة الله المطلقة أو توحيده ، ومن أسس عقيدة ابن تومرت اعلانه عصمة الامام المهدي وهو ما أعطى مذهب المهدي طابعا شيعيا وان خالف الشيعة في استخدام الحـ الاستشهاد به في دروسه (153) وقد انتشر المذهب الموحدي بين أتباعه وبين حاشية الدولة الموحدية ، وقد اتّسم طابع الدعوة لهذا المذهب الجديد بالعنف (154) بل نجد من الباحثين من يرى أن مذهب ابن تومرت استمـــر مذهبا أجنبيا على عامة سكان المغرب اذ كان الغالب عليهم اتباع المذهب المالكي منذ قرون ، كما انتشار ظاهرة التصّوف ونزعات الزّهد قبل عهد الموحدين وفي أيامهم جعل الكثيرين يميلون اليها وصرفهم عن المذهب الذى دعا اليه ابن تومرت وأتباعه أى المذهب الرّسمي لدولة الموحدين (155) (لذلك فشـــل الموحدون في محاولتهم تبديل مذهب غالبية الشعوب المغربية والأندلسية واحلال فكرتهم محل العقائد والاتجاهات الدّينية السّائرة بين فئات الفقهاء المالكييـــن

(152) ــ عن مذهب ابن تومرت بالتفصيل راجع: بل ، الفرق الاسلامية ، ص268 بورويبة ، ابن تومرت ، ص ص97ــ115 ، النّجار ، المهدى بن تومرت ، ص 202 وما بعدها .

(153) ــ بل ، الفرق الاسلامية ، ص267 .

(154) ــ راجع فتوى ابن تيمية في المرشدة التي ألفها ابن تومرت ، عند عبد المجيد النجار ، ابن تومرت ، ص461 وما بعدها .

(155) ــ ولداداه ، مفهوم الملك في المغرب ، ص182 .

و بين فئات المتصوفة النّاشئة) (156) و الدّولة الموحدية على المستوى المذهبي أحييت المذهب الظاهري خاصة منذ عهد أبي يعقوب المنصور (157) و رغم ما عرفه المغرب الاسلامي من تحولات مذهبية فانّه يرجح أن يكون المذهب المالكي قد رسخ في هذه البلاد على الرغم من محاولات الفواطم و الموحدين الفاشلة ،

لتحويل المنطقة عن مذهبها المالكي وعدم انتحال الأغلبية لهذا المذهب الرسمي شكّل عنصر ضعف أساسا للدولة الوحدية (فلا غرابة أن اضمحلت نحلة ابن تومرت بعقود قبل سقوط الدّولة التي أسسها) (158) لان نظرية ابن تومرت قامت على عناصر مختلفة انتقاها من هنا و هناك اذ نجد فيها أفكار الاشاعرة و الغوالي و الشّيعة و المعتزلة (لكن ابن تومرت ركّب هذه الافكار تركيبا بارعا متماسكا (...) الاّ أن فكرة الامام الموحدى كانت تهدف بأسرها الى تحقيق غاية واحدة و هي القضاء على دول المرابطين و اقامة حكم جديد محلّها) (159) وقد أصبح التّصور العقائدى و المذهبي للدولة الموحدية على اثر هذه الحركة الاصلاحية يحمل طابعا سياسيا و دينيا تجاه الاسر السنية المتحكمة في شؤون العالم الاسلامي ، فقد رفض أبو يعقوب المنصور نجدة صلاح الدين الايوبي بأسطوله البحري و الحيلولة دون وصول الامدادات من البحر

---

(156) ــ ولد داداه ، مفهوم الملك في المغرب ، 182 .

(157) ــ حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الطبعة القديمة ، ص 318 .

(158) ــ ولد داداه ، مفهوم الملك في المغرب ، ص 183 .

(159) ــ نفســـــــ ، ، ص 177 .

الى الصليبيين (160) ويستنتج من هذا (أن الخلفاء بني عبد المؤمن كانوا يرفضون المشاركة في أي أمر ازاء أهل السنة حتى ولو كان هذا الامر يرمي الى نقاذ الحرمية من تهديدات الصليبيين لهما) (161) ويبدو أن مفهوم ابن تومرت وأتباعه للاله ووحدته أدى الى اعتبار المرابطين وبصفة عاملة جميع المالكيين مجسّمين وملحدين ، وكان يرى أنهم أخطر على الدّين من النّصارى لانهم يلبسون الاسلام مفهوما مخالفا لمفهومهم الحقيقي (162) فلعل مفهوم الموحدين للجهاد والعلاقات الحسنة التي كانت تربطهم بالجمهوريات الايطالية المسيحية هما السببان في كفّهم عن المشاركة ازاء أهل السّنة في الحرب ضد حاملي الصّليب (163) وان رأى غيرنا الخلاف الشديد الناجم بين الايوبيين والموحدين في هذه الفترة راجع الى دور الايوبيين في اسقاط الدولة الفاطمية التي تشارك الموحدين في أنسابهم وآرائهم تهاددهم في الفروع والاصول ، فلا غرو اذا ماشق انحلال الدولة الفاطمية بالشكل الذى انحلّت به على السلطان يعقوب المنصور صاحب المغرب وملك الموحدين (164) .

(ونستطيع أيضا أن نرجح توقف الوحدين عن المشاركة في جهاد الصليبين

---

(160) ـ ... الشّبيبي ، أدب المغاربة والاندلسيين ، ص38 .
(161) ـ ولد دادا ، مفهوم الملك في المغرب ، 180 .
(162) ـ عبد الواحد المرّاكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص192 .
(163) ـ نفســــــه ، ص177 .
(164) ـ ... الشبيبي ، أدب المغاربة والاندلسين ، ص40 .

الذين كانوا يغزون الشرق في ذلك العهد الى امكانياتهم العسكرية البرية والبحرية ، فقد كانت محدودة وتستوعبها جهودهم لارساء حكمهم في المغرب والأندلس) (165) .

ورغم ما يلاحظ من انتقادات للدور الديني لحركة الموحدين فانها قد حققت الوحدة السياسية لبلاد المغرب والأندلس، ويظهر الجانب الايجابي لهذه الدولة من شهادة صاحب معالم الايمان الذي يقول (ثم انقضت هذه الطبقة بعد الخمسمائة سنة ولم يبق من له اعتناء بتاريخ لاستيلاء مفسدي الأعراب على افريقية وتخريبها واجلاء أهلها عنها الى سائر بلاد المسلمين وذهاب الشرائع بعدم من ينصرها من الملوك الى أن من الله على الناس بظهور دولة الموحدين فوضحت بها معالم الدين وسبل الحق ورسوم الشرع بظهورها بإفريقية العلماء والصلحاء وذلك في سنة الاخماس أي سنة 555هـ) (166) .

فعلى الرغم مما اتصفت به حركة الموحدين من تصور يعتمد على العقل وفلسفة لم يهضمها سكان المغرب الاسلامي نظرا لحضور العقلية السلفية في حياتهم منذ القرن الاول للهجرة فان الربط المغربية والاندلسية قد اضطلعت بدورها الديني المعتاد فنشرت الامن والعقيدة الاسلامية بين الناس، ففي افريقية (تفطن أهل النظر من الزهاد الى أن هذا الـداء

(165) ــ ولد داداه، مفهوم الملك في المغرب، 177 .

(166) ــ معالم الايمان ،جـ3/ ص204 .

(داء الأعراب) لا يمكن استئصاله الّا بغرس أو احياء الوازع الدّيني في نفوس الأعراب) (167) وظهر هؤلاء الزهاد بأنّهم أقرب الناس الي اليقين .
والكثير من الأمراض الاجتماعية لا يمكن مداراتها الّا بوازع ينطلق من النّفس فيبحث الحياة في الضمير ولم تكن السلطة الموحدية قد تفطنت في أول الأمر الى نجاعة طريقة الزّهاد من الى الصراط المستقيم بل نجد أن الزوايا التى خلفت الرّبط في مهمّتها مع الأعراب قد وجدت تفهّما من الحكام الحفصيين فاشتد ساعد الزهاد في مرحلة متأخرة لوقف الانحطاط الأخلاقي والتسيب الذى أصاب المجتمع وتجددت في افريقية حركة المرابطة والمشي على المكامن والثغور (168) واتجه أصحاب الرّبط الى المشاركة الفعلية في توبة الاعراب وحماية الثغور الافريقية على عهد الموحدين .

ويفهم أيضا أن الموحدين قد أكملوا رسالة المرابطين الدّينية في القضاء على بدعة برغواطة ، الّا أن أهم ظاهرة صحيّة عرفها المغرب الاسلامي أيام المرابطين والموحدين وأرجح أن تكون ثمرة من ثمرات الرّباط وحركة المرابطة هي

---

(167) ـ محمد الحبيب الهيلة ، الزّاوية وأثرها في المجتمع القيرواني (المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية) السنة 12 العدد 40 ، 41 ، 42 ، 43 الشركة التونسية للفنون تونس أفريل 1975 ، 113 .

(168) ـ نفســــــــــه ، ص 129 .

ظاهرة التّصوف ، ففي جبال غمارة ظهرعدد كبير من الصلحاء و المتصوفة الذين أفرد لهم عبد الحق البادسي كتابا (169) خاصا بعنوان (المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في ذكر صلحاء الرّيف) كما ظهرت طبقة كبيرة من الصلحاء والمريدين و المتصوفة في عهد المرابطين و الموحدين بالمنطقة الغربية التي كانت مجال دولة برغواطة المنحرفة وقد أفرد لهم ابن الزّيات التّادلي (170) كتابا خاصا سمّاه (التّشوف الى رجال التّصوف) .

و الملاحظ أن حركة التّصوف كانت في ذلك الوقت سليمة و بعيدة عن الشوائب والبدع (171) و رغم حرب المرابطين على النّزعة الصوفية التي يدعو اليها صاحب احياء علوم الدّين (172) الّا أن جذور التّصوف قد عرفتها بلاد المغرب الاسلامي في أواخر الدولة المرابطية (173) ـ و نقطة الانطلاق للحركة الصوفية في المغرب الاسلامي عائدة للظروف السياسية و العقائدية التي تعيشها المنطقة فبالاضافة الى ما أشاعه فقهاء المالكية من زهد و انقطاع عن مصاحبة السلطان

---

(169) ـ ألّف كتابه هذا عام 711هـ/ 1311م و ترجمة الى الفرنسية ضمن الاشيف المغربي عام 1926 أنظر: العبادي في تاريخ المغرب و الاندلس، ص296 .

(170) ـ أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التّادلي عرف بان الزّيات يعتبر كتابه (التشوف) من أهم الكتب التي تدرس الحياة الدينية و الزّهد والتصوف في عهد المرابطين و الموحدين أنظر: التادلي الزيات ، التشوف ، ص=ا= .

(171) ـ العبادي ، في تاريخ المغرب و الاندلس، 297 .

(172) ـ أنظر: A. Bel, Le sufisme en occident musulman au XIIe et au XIIIe siècle de J.C. Annales de l'Institut d'études orientales Faculté des lettres de l'université d'Alger T I année 1934-1935 librairie Larose PARIS P 10

173 . أنظر: Ibidem.

و الدّعوة الى الآخرة ونبذ كلّ ماله صلة بترف المدينة (174) والدّنيا فان نشأة هذه الحركة عائدة من جديد كانعكاس لحركة الاسترداد المسيحي وتطور الحملات الصليبية على شواطئ المغرب الاسلامي فعوض المتصوفة حركة الرّباط التي عرفت في القرون الأولى للهجرة، وصفاء هذه الحركة يعود الى أنها اعتمدت على سلوك أهل السّنة وسيرة السّلف الصالح والى العقيدة في صفائها الأول (175) .

والنّجاح الكبير الذي عرفه التّصوف في المغرب يعود الى مجموعة من الأسباب منها الحركة الاصلاحية التي عرفتها البيئة المغربية على عهد المرابطين والموحدين بعدهم ، كما أن الحاجة الى البساطة في الاعتقاد والسلوك أكسبت الزّهاد والمنقطعين مكانة مميزة بين المجتمع ، وبالخصوص أن التّعليم كان يشجع على تطور هذه الحركة الصوفية ، وربما كانت ظاهرة التّصوف عامة أيضا في القرن السادس الهجري الثاني/عشر الميلادي في العالم الاسلامي وكان لزعماء الطرق الصوفية المكانة المميزة في الدّعوة الى الى الاسلام ولعادة المجتمعات الاسلامية الى الطريق

---

(174) ـ التّادلي ، التشوف ، ص3 .

(175) ـ ابن عامر ، دراسات في الزهد والتصوف ، ص136 .

المستائيــــــم (176) .

وعندما كان منطق بعض الفقهاء والعلماء جامدا فيه أقيسة عقلية لا يؤمن معها الزلل ، وفي كثير من الأحيان ساذجة إن لم نقل بعيدة عن التفهم الواعي والنظر البعيد (177) كما هو عند الطرطوشي في كتاب الحوادث والبدع الذي يعتبر آنذاك من الفقهاء الملتزمين بقضايا الاسلام والمسلمين .

والتأثير الصوفي في العقلية المغربية جاء نتيجة لهذه الحركة فأعطى التصوف للعقلية المغربية أبعاد الجهاد الرباطي (178) كما أنه زهد سني يحث الى معالي الأمور ، لهذا فان الرباط أصبح المحور الذي يدور عليه التعليم الديني الشعبي (179) وهو الذي أعطى الصورة الواضحــــة

---

(176) ـ مثل التصوف الايجابي في المشرق في هذه الفترة المعاصرة لحركة التصوف في المغرب الاسلامي (المجاهد عبد القادر الجيلاني) راجع عنه الدراسة القيمة ، حسن عيسى عبد الظاهر ، قصة مجاهد اسلامي كبير (عبد القادر الجيلاني) (مجلة الدوحة) العدد 116 قطر أوت 1985 (22ـ26) .

(177) ـ أنظر هذه الأقيسة : الطرطوشي ، كتاب الحوادث والبدع ، تحقيق محمد الطالبي ، مطبعة تونس ، 1959 ، ص143 وما بعدها .

(178) ـ أنظر: HAdjat, Rôle du Sufisme P411

(179) ـ أنظر: ibid. P 415

للاسلام في هذا العصر.

والاســـلام في القرن السادس والسابع قد عرف هذه الحركة الصوفية التي لعبت دورا أساسيا في رسم معالم الحياة الدينية والاجتماعية في المغـــرب الاسلامي ، ذلك أن حركة التّصوف في هذا العصر لم تقتصر على جماعة مـــن الزّهاد والمتصوفة والمرابطين بل عمّت كافة طبقات المجتمع المغربي (180) فقد نال الصلحاء وأهل التّصوف والزّهاد والعّباد مكانة عظيمة عند أبـــي يعقوب المنصور ، يستقبلهم بحفاوة وينعم عليهم كثيرا (وانتشر في أيـــامه للصالحين والمتبتلين صيت ، وقامت لهم سوق وعظمت مكانتهم منه ومن النـــاس ولم يزل يستدعي الصالحين من البلاد ويكتب اليهم يسألهم الدّعاء ويصـــل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة) (181) .

وقد شغل المتصوفة الناس بكراماتهم وطرقهم في المغرب الاسلامي طوال القرنين السادس والسابع الهجري وتمّ استقطاب المجتمع الاسلامي حوله فأصبح الزّهاد من المتصوفة والدّعاة أصحاب الكلمة المسموعة المؤثرة والنافذة الـــى أعماق النفوس البشرية باذن ربهم (فكم منهم من أعلام تلاقت عليهم القلوب وائتلفت ، وأصغت لهم الأسماع وطالت واكتظت مجالسهم بالرّواد والمتعلمين والمحبين والمعجبين من خاصة الناس وعامتهم) (182) هذه الظاهرة فـــي عالم الاسلام عصر الأولياء وأصحاب الكرامات والطرق الصوفية قد أدت الى رفع

(180) ـ أنظر: Bel, Le infirme en occident. P.149
(181) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص217 .
(182) ـ عيسى عبد الظاهر ، عبد القادر الجيلاني، ص23 .

مكانتهم ، فأشادت بهم الالسن بتقواهم و بمجالسهم وآثارهم تحدث الناس عنها وسجلتها كتب الطبقات و كتب الصالحين (وكم من جاحد أسلم على أيديهم بهدى الله وكم من عاص تاب في مجلسهم ، وكم من جاهل اهتدى بكلمتهم وكم من أمي تعلم بدروسهم) (183) . هذه الحركة الصوفية في المغرب الاسلامي جاءت في عصر .. لاحداث الجسام التي غيرت كثيراً من مجرى تاريخ الامة الاسلامية (فهذه الظاهرة طبيعية و منطقية من الناحية التاريخية والنفسية في العالم الاسلام في الشرق و الغرب على السواء : فقد ابتلى العالم الاسلامي كله خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بنكبات متوالية يرجع السبب في معظمها الى تدهور نظم الحكم وفسادها وضياع هيبتها و يأس الناس منها فقد نزلت الصليبيات وتحول العدوان الصليبي في الاندلس و بلاد الشام من غارات وغزوات الى احتلال أراض واحتلالها في الأرض النصرانية كما حدث في الأندلس) (184) .

و الملفت للنظر أنه في زمن (الظاهرة الصوفية في المغرب الاسلامي) فقدت حركة الرباط والمرابطة تلقائيتها وايجابيتها فقد كانت (المرابطة في أول أمرها ضربا من ضروب التطوع يباشره المسلم بدافع من ايمانه و شوقه لممارسته العبادة و الجهاد و العلم و بفضل هذه التلقائية في حب المرابطة حفظ المسلمون

---

(183) ــ عيسى عبد الظاهر ، عبد القادر الجيلاني ، 23 .

(184) ــ حسين مؤنس ، ابن بطوطة و رحلاته ، ص 26 .

أتاليهم وصانوا حرمتها الترابية قرونا طويلة (185) ولما رسخت هذه الظاهرة وتغلغلت في التقاليد الشعبية أصبحت فرضا واجبا على كل مسلم حرفاد ولافرق في ذلك بين المتصوف وغير المتصوف، ولا بين القاضي والفقيه والأديب والتّاجر والصانع والفلاح فلكل منهم نوبة في الرباط يؤدّيها ومدة فيه يقضيها وربما هذا هو ما دعا بعض المتصوفة لمغادرة الرّبط الثغرية والاتجاه داخل البلاد يبحثون لأنفسهم عن أماكن للخلوة والعبادة في المدن والقرى والبوادي (186) ثم أقام من اشتهر منهم زوايا (187، 8) عوضت ظاهرة الرّباط في العالم الاسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي، ويرجع بعض الدّارسين أن ظاهرة انتشار الزّوايا تبدأ من عصر صلاح الدّين الأيوبي الذي يعاصر أبا يعقوب المنصور الموحدي، فهو أول من بدأ بتأسيس الزاوية أو الخانقاة من الحكام ومن ذلك بدأ المتصوفة يستقرون فيها، وقد نسج الملوك والأمراء على منواله في البلاد الاسلامية فتكاثرت الزوايا بوفرة الاحسان

---

(185) ــ الميساوي، زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي (مجلة الحياة الثقافية) العدد 21 السنة السابعة تونس جوان رمضان 1982 ص55.

(186) ــ نفســــــه، ص56.

(187) ــ الزاوية في اللّغة كغالب الكلمات العربية تحمل في طياتها دلالات متعددة ومختلفة تتقارب أو تتباعد حسب الاستعمال وحسب الاطلاق والتركيبة التعبيرية فهي تعني الركن تارة وتعني الخلوة تارة أخرى وتعني المجمع أو الجامعة في اطلاق آخر أما في الاصطلاح الدّيني فالزاوية ظاهرة دينية طارئة على المجتمع الاسلامي برزت بوضوح في الحياة الدينية والاجتماعية تحت تأثير ظاهرة التصوف راجع: الميساوي، زوايا الوسط الغربي ص55 محمد الحبيب الهيلة، الزاوية وأثرها في المجتمع القيرواني ص100 وما بعدها.

الى شيوخها وتباعها (188) . زعماها

والراجح أن دور الرباط في أواخر عهد الموحدين قد فقد دوره العسكري وأصبح عبارة عن مدرسة أو مؤسسة للتعليم والعبادة ، خلال ظهور ظاهرة التصوف في العالم الاسلامي .

ومما لا شك فيه أن التفاف الناس حول ظاهرة التصوف في هذا العصر مما أدى بمجالس الذكر وحلقات التعبد الى النظر في حلقاتهم لتهيئة المسلمين لفكرة الالتزام والاتحاد وهو ما أهلهم الى ريادة المجتمع المغربي واتخاذ مواقف اجتماعية حازمة واشاعة سلوك أخلاقي مثالي ونشر الاسلام بين الوثنيين في السودان الغربي لهذا لا يمكن الوقوف من هذه الظاهرة الصوفية التي ولدت نهضة اسلامية عند دراستها عند دراسة مجالس الزهد وطرق وأنواع الرقائق فهي لا تجسم حقيقة التصوف في هذا العصر (189) ولعل ظاهرة التصوف التي جاءت نتيجة لحركة الرباط والمرابطة في القرنين السادس والسابع الهجريين كانت أسمى ثمرات حركة الاصلاح الديني والاجتماعي في هذا العصر .

هذه الظاهرة في عصر المرابطين والموحدين أعطت للعالم الاسلامي أقطاب التصوف (190) و (أقطاب التصوف الذين ظهروا في عهد المرابطين كلهم تقريبا عاشوا قسطا قليلا أو كثيرا من حياتهم في عهد

(188) ـ الميساوي ، زوايا الوسط الغربي ، ص56 .
(189) ـ محمد الحبيب الهيلة ، الزاوية وأثرها في المجتمع القيرواني ، ص100 .
(190) ـ أنظر : Hadjiat, Rôle du Sijimme P 440.

الموحدين) (191) وأما أشهر صوفية هذا العصر والذين كان لهم تأثير على اتجاه التصوف في المستقبل فهم أربعة: أبو مدين شعيب الغوث (192) وعبد السلام بن مشيش (193) وأبو العباس السبتي (194) وابن عربي صاحب الفتوحات المكية (195).

وخلاصة القول أن الربط في عصري المرابطين والموحدين قد أدت دورا عسكريا معتبرا، من حماية للثغور المغربية والأندلسية الى أن أصبح رباط السنغال نواة دولة اسلامية لها من المكانة في العالم الاسلامي خاصة بعد عام الزلاقة حتى عدت رمزا ((للصحوة الاسلامية)) التي توجت الغرب الاسلامي فحمت الأندلس من سقوط وشيك، وقام ما أدّاه حصن تينمل ورباط تازة فيما

---

(191) ـ : حركات، المغرب عبر التاريخ، الطبعة القديمة، ص321.

(192) ـ أبو مدين الغوث: ولد بالاندلس سنة 520هـ كان له أتباع حتى شبهه أعداؤه بالمهدي بن تومرت أنظر ترجمته وأخباره، يحي بن خلدون، بغية الرواد ج1 ص125ـ126. معالم الايمان ج3/ 210 محمد مخلوف شجرة النّور الزكية ص164.

(193) ـ ابن مشيش من سلالة الامام ادريس المتكلف في جبال غمارة حتى ذاع صيته قتله الكتامي ابن أبي الطواجين الذي تنبأ. وأثار بلبلة في المغرب الاقصى وكانت موت الشيخ سنة 625هـ أنظر ابراهيم حركات المغرب عبر التاريخ ص323 ومابعدها.

(194) ـ أبو العباس السبتي: ولد سنة 524هـ وقد أوجد لهم مذهبا كان رحمة يدعو الى تنازل الانسان عن ثروته للصالح العالم واكتفائه بما يقيم صلبه فكانت له شهرة عظيمة منذ عهد المنصور الموحدي توفي عام 601هـ أنظر ابراهيم حركات المغرب عبر التاريخ، الطبعة القديمة، ص324 وما بعدها.

(195) ـ ولد بمرسية عام 561هـ/ 1165م له مجموعة كبيرة من كتب التصوف أنظر: عنه الفرد بل، الفرق الاسلامية ص344 وما بعدها توفي ابن عربي عام 636هـ.

بعد في عهد الموحدين الا أننا نلاحظ تضاءل دور الرباط العسكري وهذا يعود لامتلاك الدولة الموحدية لجيش نظامي وأسطولهم البحري هو الذى تولى حماية السواحل والثغور، فعوض بذلك رسالة الرباط العسكرية.

والدور الديني للرباط برز عمليا في ترسيخ الاسلام بين قبائل الملثمين واعطاء هوية وعقيدة اسلامية لبلاد السودان، ومن ذلك الحين أصبحت الممالك الاسلامية المتعاقبة تؤدى رسالتها تجاه الأمة الاسلامية، وفي القرنين السادس والسابع الهجريين عرفت منطقة غمارة والمنطقة الغربية التى كانت من جيوب أهل الشعوذة والمذاهب الهدامة، عرفت حركة زهدية أصبحت من أشد المناطق تدينا، بل واغراقا في الزهد والتصوف (196).

ويلاحظ أن هناك تلازما بين انتشار التصوف وازدياد الرفاه المادى والتباين الاقتصادى (ففي النصف الأول من القرن السادس كانت المرية وأغمات مركزى المتصوفة ثم انحسرت موجة التصوف فيهما مع اضمحلال مكانتهما الاقتصادية (197).

وقد انتحل المنهج الصوفي أسلوبا لحياة بعض أصحاب الأهواء السياسية وادعاء الهداية قناعا لمطامحهم السياسي، لهذا نلاحظ مواقف متباينة بين المرابطين والموحدين فيما بعد من هذه الظاهرة الجديدة (198).

(196) ـ العبادى، في تاريخ المغرب والاندلس، ص296.

(197) ـ عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادى في المغرب الاسلامي، دار الشروق بيروت 1983، ص348.

(198) ـ نفسه،، 348.

وكان لظهور أقطاب التصوف مكانة هامة فى توجيه الحركة الصوفية وأرجح أن هذه الظاهرة الصوفية جاءت نتيجة للنشاط الاصـــلاحي والطابـــع الديني لحركتي المرابطين والموحدين .

الفصـــــــل الرّابـــــــع

الدّور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمرابط.

1ـ الدّور الاقتصـــــادى

2ـ الدّور الاجتمـــــاعي

3ـ الدّور الثقــــافـــي

1 - الدور الاقتصادي :

اذا كان تأسيس الرّبط من زينة الملّة الهادية المهدية وإسكان الرُبُط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف و هم على هدى من ربّهم (1) فكيف تميز نشاطهم الاقتصادي؟ .

المعروف عن الباحثين أن سكان الحصون والقلاع و الرّبط فئة اجتماعية مميزة عطها حراسة سواحل و تخوم بيضة الاسلام من الاغارات المرتقبة للنّصارى فى المشرق و المغرب ، لهذا نجد أن دراسة أحوال الرّبط و المدن الثغرية و دورها الاقتصادي من الأهمية بمكان، و لا يمكن تقدير المكانة الاقتصادية لهذه المؤسسة الّا اذا حددنا الحاجة المالية الكافية للحصون و الرّوابط فقد جاء في = كتاب الخراج = أن الثغور الشامية ارتفع مالها و نفقتها نحو المائة ألف دينار ، ينفق فى مصالحها و سائر وجوه شأنها و هي المراقب و الحرس و الموكلين بالدروب و الحصون وغير ذلك مما جانسه (2) و يحتاج الى شحنها بالمرابطين و المقاتلة و راتب مغازيها الصوائف و الشواتي فى البر و البحر في السنة ارتفع فى الثغور الجزرية الى مائتي ألف دينار وعلى المبالغة

---

(1) ـ السّهروردى ، كتاب عوارف المعارف الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بيروت 1983 ص 111 .

(*) ـ كتاب الخراج وصنعة الكتابة لابي الحسن قدامة بن جعفر المتوفى عام 320 هـ و هو ملحق بمسالك ابن خرداذبة .

(2) ـ قدامة بن جعفر ، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، 253 .

وهي أن يتّسع نطاق الجهاد يصل الى ثلاثمائة ألف دينار (3).

لهذا نجد أن هذه الميزانية خاصة في العهد العباسي في المشرق والمغرب تخصصت بها ميزانية الدولة أي من بيت مال المسلمين من جهة ومن جهة أخرى يقوم الأمراء وأثرياء المدن والقبائل بالانفاق على الغزوات والمرابطين فظهر في كتب الفقه ما يسمى = بأحباس وأوقاف المرابطين وسكان الثغور والتخوم = (4).

وكانت أموال الرّباط والمحارس تصرف في وجوه كثيرة منها نفقة المرابطين وعدّة الحرب، وعلف الخيول، وترميم القلاع والابراج بما يلزم من حجارة ودبابات ولما تزايد سكان الرّباط كان يفترض على كل مرابط أن يقدم على الرّباط وبصحبته زاده من مال ولباس وعدّة الحرب الكاملة، فاذا تمّت نفقته عاد الى أهله (5) لهذا ظهرت مجموعة من الفتاوى الخاصة بصرف أموال

(3) ـ قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، 253.

(4) ـ كانت الامّة الاسلامية بدافع الحفاظ على الذات تدفع كل غال ورخيص من أجل حماية بيضة الاسلام لهذا كان الناس خاصتهم وعامتهم يتصدقون بأراضيهم وتوقيف أراضيهم على المساجد والمدارس والرّبط لذلك تطورت أبواب الاحباس والاوقاف في كتب الفقه والنوازل.

(5) ـ نستخلص هذا من هذه القصة: (كان أبو الأحوص أحمد بن عبد الله من العباد الصالحين، قدم مدينة سوسة بنية المرابطة بقصرها الكبير، فأقام بها مدّة حتى نفذت نفقته فعزم على الرّجوع الى بلده بالمغرب أنظر: بقية القصة مات سنة 284هـ/ 897م حسن حسني عبد الوهّاب، ورقات جـ1/ ص339.

الرّباط (6) فكانت هذه الاموال تصرف في وجوه الخير وكان يفترض على الشباب الزّهاد الاقوياء الاشتغال بخدمة العلماء المرابطين حتى لا يدخل ضمن المرابطين الذين يشكون من البطالة ويعيشون عالة الاحباس وعلى أموال الرباط .

من ذلك الحين اختار سكان الرّبط مجموعة من الحرف لزيادة مدخول الرّباط فتعددت المداخل وهذه النشاطات هي الصيد والزراعة وصناعة الاسلحة ، ففي شواطئ افريقية التونسية والاندلس وبقية الثغور المغربية كان سكان الربط يشتغلون بالصيد في البحر ، في حالة انتشار الامن وعدم اقتراب الاخطار المحدّقة بالسّواحل وأصبحت هذه الحرفة مصدر المال الحلال الذي من أجله ترك الفقهاء والعلماء والصلحاء المدن والقرى نظرا لتحريهم الحلال في المأكل والملبس والمركب ، بل نجد من الفقهاء من أفتى بأن أهل الثغور المجاورة لمكان الصيد العام يقدمون على غيرهم في شراء الصيد لأنّهم من سكان الحصون ولا يسكن هؤلاء الا للحرس والرباط وسائل الطاعات(7) .

---

(6) ـ أنظر بالخصوص الباب الخامس عشر (في خصائص أهل الربط والصوفية فيما يختصون به) السّهروردي ، كتاب عوارف المعارف ص 111ـ117 .

(7) ـ أحمد بن يحي الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب ، أخرجه جماعة من الفقهاء وباشراف الدكتور محمد حجّي ، الجزء الثاني ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1981 ص 3 .

كما اشتغل المرابطون في السّواحل بالزراعة فاستصلحوا الارض البور و بذلك تصبح الزراعة من مداخل المرابطين أيام السّلم ، بل نجد من العلماء من ألف الكتب في الاحمية ، وما يجب على سكان الحصون أن يعملوا به (8) و أحسن رابطة نموذجية كمثل على هذا قبل عصر المرابطين ، رابطـــــــــة (FRAXINETUM) (9) التي قام بها غزاة البحر الذين قدمـوا من المغرب الاوسط وجزر البليار و الاندلس حيث شيدوا في بلاد بيدمونت عددا من الحصون و القلاع التي كانوا يشنّون منها غارات عديدة على المناطق المجاورة ويتحصنون بها عند الحاجة وفي هذه الجبال بين ايطاليا وسويسـرا وفرنسا أقام هؤلاء المرابطون مزارع و بساتين شكلت أساس انتاج هذه الرّابطة وكانت معاشهم أيام رباطهم بها أن تزودهم مراكب الثّغرية بالمؤن و السّلاح و الرّجال الاتقياء وبهذا صمدت ، كما مرّبنا و رسّخت أقدامهم في هذه القطعة من البلاد لنشاط المرابطين الاقتصادي ، فهناك نوذج أهل القلاع و الحصون و القرى و البوادي و نشاط المدن الثغرية كشنترين في الغرب و بجانة و المرية في الجنوب الشرقي الاندلسي أيام النفير في الغزو و الجهاد بحيث يقوم هؤلاء بأعمالهم الزراعية ، حيث اشتهروا بأعمال البستنة واستصلاح الاراضي البـور والاعتناء بأرزاقهم من تربية للخيول و البغال كعدّة للحرب وحمل الاثقـال

---

(8) ـ معالم الايمان ج3/ ص235ـ236 .

(9) ـ رينو الفتوحات الاسلامية ، ص170 وما بعدها .

أو تربية الاغنام والدواجن تؤرن أيام الحرب والفتن وبذلك شارك هؤلاء في الحياة الزراعية وساعدوا في تطور الاقتصاد الأندلسي ولو بقسط بسيط من الانتاج ، رغم المحن التي تتعرض لها الأندلس في غالب الاحيان على اثر الانقلابات السياسية وظهور الفتن وغزوات النصارى الاسبان المستردين وهجمات النورماند .

وكانت الفلاحة الوسيلة الأساسية للانتاج عند الأندلسيين ، فكانـــوا يمارسونها الا القليل من أهل المدن وفي أحيان كثيرة الغزاة والمجاهدين (10) ونظرا للزحف الاسباني المتواصل على الأندلسيين فقد كانت الرقعة الزراعية تتقلص من قرن لآخر ، ومع هذا فقد كان الثغريون والمرابطون يمارسون نشاطاتهم الزراعيه لأنها الوسيلة الانتاجية الوحيدة في المناطق ... الخصبة الزراعة ... النبات ولان الاراضي الطيبـــة تحت تصرف السلطان .

أما حياة الناس في مدن الثغور وحركتهم الاقتصادية ، فقد تميزت باهتمام الادارة الاندلسية بحصون المناطق المتاخمة للنصارى لتكون حاضرة عدوانهم واغارات النورماند ، وشمل حصون الثغور الشمالية سرقسطة بالثغر الأعلى وبلاد الغرب والعدوة شنترين بحيث أقيمت القلاع والحصون الجديدة واختلفت شنترين من بين مدن الثغور الاندلسية مكانة خاصة نظرا للدور الكبير

---

(10) — محمد مفتاح ، حول مفهوم الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي ، ص 179 .

الذى كان لها بعد تحصينها ، بحيث صارت من أكبر المدن بعد سرقسطة ، وكانت حياة وفعاليات سكان سرقسطة وشنترين فى أوقات السّلم والحرب صورة لحياة الناس في مختلف مدن الثغور (11) .

فقد كانت الجماعات التى تفد على سرقسطة وشنترين لتكريس حياتهم للجهاد والغزو أولا ، ثم نمط حياتها العادية ثانيا ، تمثل أجناس الناس وطبقاتهم فى المجتمع المغربي ، وكان يساعد على ذلك كلّه أن الرؤساء وأصحاب الثّروة فى حواضر الاندلس لم يبخلوا فى التّعويض عن عدم تمكنهم من المشاركة فى الجهاد والدّفاع عن حدود الثغور الاندلسية ، فى اقامة الرّبط أو أماكن اقامة للمتطوعة والغزاة الوافدين اليها من العدوة المغربية وبلاد افريقية وجهات الأندلس الأخرى فبالاضافة الى الاوقاف الكثير التى ترد على هذه المدن فان سكان الثغور أيام السلم يقومون بفلح الارض والاعتناء بتجديد عدة الحرب ، لذلك كانت هذه المدن سوق جهاد ينزلها الصالحون والعبّاد ، ويقصدها الغزاة ، وكانت لهم مشاركة فى القيام ببناء وترميم الحصون والاعتناء بالبساتين والقيام بالاعمال العادية كل حسب اختصاصه وحرفته ، وبالاضافة الى هذا النّشاط الزراعي والعمراني الذى يقوم به المتطوعة والمرابطون فى مدن الثغور ، فان المرابطين لا يريدون أن يعيشوا عالة على المجتمع فمنهم من كان يرابط فى فصول الرّباط ويشتغل فى أعمال البناء

---

(11) ـ مصطفى علي الحيّارى ، حياة النّاس فى مدن الثغور ، ص85 .

حتى يكمل نفقته فهذا سعيد بن عبّاد (12) يخدم المّرمة ويأخذ كل يوم سبت أجرته فيقتات منها (13) وهو مع ذلك من كبار تلاميذ سحنون كان عالما زاهدا وفقيرا صابرا يعيش من كد يده ولا يعتمد على أموال المرابطين .

ولا نكاد نتصور أن الرّبط قبيل القرن الخامس الهجري كانت دور بطالـــة ففي سلا وحدها على ما يذكر ابن حوقل (14) كان يجتمع بها أكثر مـــن مائة ألف مرابط ولا يمكن أن يرابط هؤلاء المتطوعة والمنقطعين للجهـــاد ورباطهم على بوغوالمة دون الاعتماد على أنفسهم في كسب عيش سكان هـــذه المحارس لهذا أرجح أن يكون لهؤلاء بالاضافة الى الاوقاف الكثيرة ، مصادر أخرى للرزق كالزراعة وصناعة الدّروع والاسلحة ، كما أن الربط في فترة مـــا قبل دولة المرابطين كانت تقوم بدورها اقتصادي ، يتمثل في حراسة القوافـــل التّجارية الذاهبة الى بلاد السّودان ، وحينما تعود الى المغرب ، يقـــوم المرابطون سكان الثغور الصحراوية بحمايتها من اللصوص وقطّاع الطرق، وبذلك وبطريقة غير مباشرة شاركوا في الدّورة الاقتصادية لبلاد المغرب والاندلس والسودان الغربي وهذا بتحقيق الامن ، وهو ما شجّع تجارة التّبر والذّهب

(12) ـــسعيد بن عباد السّرتي من تلاميذ سحنون المعدودين توفي سنة 251هـ/ 865م دفن بالقيروان أنظر: حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات جـ1/ ص367 .

(13) ـ نفســـه ص 367 .

(14) ـ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص82 .

والملح كما كانت الربط الصحراوية من خلال هذه الحركة التجارية تنال الهبات والاموال اللازمة من القوافل ، وكذلك تقدم لهم قيمة مالية جمركية مقابل وساطتهم هذه الذين فقدوا حيويتهم كحراس لقوافل السودان الغربي .

وفي عهد دولة المرابطين ظهر البعد الجديد لحياة سكان التخوم والربط فأغلب الظن أن رباط حوض السنغال ، كان اطارا جديدا ، فلم يكن هذا الرباط الاسلامي مجرد حصن ومسجد لاننا نعرف أن هذا الاخير قد ضاق عن أمـــة من المؤمنين الذين بلغ عددهم ألفا ، وكان على سكان الرباط الحصول عـلى قوتهم عن طريق الزراعة والصيد والثمار البرية التى تحتوى عليها الجزيرة التى رابطوا فيها عند مصب نهر السنغال (15) .

ومن هذا الرباط تمكن المتطوعون فيه من المشاركة فى جمع ما يكفيهم مـن ثمار وسمك ووحوش ، ثم كانت حياتهم اليومية تتوزع بين حلقات الذكر وحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والتدرب على الحرب ثم زراعة الاراضي المحيطة بالرباط ، فكونوا بذلك خلية نشطة حققت الاكتفاء الذاتي من الناحية الانتاجية الى أن خرجوا من رباطهم لجهاد قبائل للثام وبلاد الســـودان وسجلماسة وبقية ، أنحاء المغرب والأندلس .

ويبرز الدور الاقتصادى للمرابطين فى أنهم زمن التغيير والانقلاب الحضارى الذى عرفته الجهة الغربية ا مر المغرب الاسلامي اذ المعروف عند علمـــاء الاقتصاد أن الحياة الاقتصادية مظهر حضارى والحضارة عملية تراكمية مستمرة (16)

(15) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص82 .
(16) ـ أنظر مفهوم الحضارة بتوسع : محمد عبد السلام الجفائري مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي الدار العربية للكتاب ليبيا تونس1984 ص91 وما بعدها .

ومن ثم فالتغيير فيها تجيئ متدرّجة مع الزّمن ولهذا ينبغي اختيار حادث يرمز الى بداية التّغيير وآخر يمثل نهايته، والتّغيير البارز فى المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجرى/ الثاني عشر الميلادى، هو سيادة المغربة السياسية وليس هناك ما يصوّر بداية الانقلاب الاقتصادي أكثر من استيلاء المرابطين على بلاد السودان (17) وموقعة الزّلاّقة عام 479هـ/ 1086م لان الحادثين حدّدا القيمة الاقتصادية لدولة المرابطين ، فرغم سيطرة القوى الأوروبية على البحرالمتوسط فى هذا العصر وهو أحد طرفي التّحدي الاقتصادى من الخارج ، فان الظاهرة الهلالية (18) تمثل الطّرف الثّاني للتحدّي الخارجي لبيئات المغرب الثلاث فمن الدّاخل حاول المغاربة فى الجهة الشرقية مصانعة الأعراب دون جدوى ومع ذلك فقد صمد الزّرّاع فى وجه الموجة الهلالية وعملوا على استثمار الأراضي الزراعية أحيانا واشتغالهم بالتسنية فى أغلب الأحيان الأخرى ، فأما البلاد الغربية فانّها بفضل المرابطين قد تحدت التّحدى الخارجي والدّاخلي وأقامت دولة أســـس

---

(17) ـ كان ذهب السودان مصدر رخاء وازدهار لكثير من الدول الاسلامية التى قامت فى حواضر المغرب كسجلماسة وتاهرت والقيروان ومراكش وكذلك فى الاندلس أنظر: أمين توفيق الطيبي ،الحضارة العربية الاسلامية وأثرها الايجابي فى السودان الغربي فى القرون الوسطى ، ممالك غانة ومالي وسنغاى (دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والاندلس) المرجع السابق ، 303 .

(18) ـ اكتسح الهلاليون المزارع والقرى والحواضر فخرّبوها الا أنهم عرّبوها والى الابد ، وقد بالغ كل المؤلفين من ذكر عواقب هجوم بني هلال التخريبية على اقتصاد إفرقية أنظر: معالم الايمان جـ3/ ص204، محمد ولد داداه مفهوم الملك فى المغرب، ص90 .

اقتصادية نابعة من عدالة الاسلام (19) .

فقد ساعد (التخفيف من الضرائب والاقتصار على الزكوات والاعشار الاسلامية على رواج التجارة والنتجات الزراعية مع التّشدد على الحياة حتى لا يظلموا الناس ويستغلوا عملهم لمصالحهم الخاص وكانوا يعرضون لاشد العقاب وتصادر أموالهم اذا أثروا على حساب الدّولة (20) .

وعلى اثر هذا الامن الذى ساد البلاد فى عهد المرابطين فقد انتشرت الضّيع متباعدة ومتقاربة فى المدن فى مختلف بوادى المغرب ، وقد كان المرابطون فى الصحرائهم من أغنى القبائل الصحراوية فغدت فى أيامهم حواضر المغرب وبلاد السودان من أهم المناطق ازدهارا فى بلاد الاسلام .

ومن أهم المحاصيل الزراعية زراعة قصب السكر فى ناحية السّوس والقمح والشّعير فى نواحي مرّاكش (21) ونتيجة لتطور الصناعة فى الحواضر المغربية فقد اعتنى المرابطون بالتجارة ، وقد كانت سجلماسة وأغمات والمرية مراكز تجارية مرابطية من أغنى حواضر القرن السادس الهجرى ، ونتيجة لهذا كانت البلاد تعيش في غاية الخصب وكثرة المياه والاشجار وكان أهلها آمنين مطمئنين فى عيش رغدة ونعمة تامة منذ أمراء المسلمين : بنوتاشفين بلاد المغرب والاندلس (22) .

وفي العمل الزراعي عمل المرابطون بنظام الاقطاع فكانوا يشجعون المتطوعة المخلصين باقطاعهم أرضا يحرثونها وينتفعون بفوائدها بالاضافة الى رواتبهم

---

(19) ــ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص129 .
(20) ــ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الطبعة القديمة ج1/ ص239 .
(21) ــ نفســـــــــ ، ، 237 .
(22) ــ نفســـــــ ، ص ص231ــ232 .

العادية (23) في وقت الحرب ، وبذلك ازدهرت الفلاحة في هذه الاقطاعات وصارت ثقلا على أصحابها الذين يؤدون للدولة المبالغ المستحقة من جبايتها (24) .

ورغم تحول الدولة المرابطية الى ملك منذ عهد يوسف بن تاشفين الا أنها كانت لها بيت المال بمصادرها الشرعية تعتمد على الزكوات والاخماس وأموال الفيء المستخلصة من الجهاد في البر والبحر ضد النصارى الاسبان (ومع ذلك فقد كانت موارد الدولة من هذه الزكوات والاخماس عظيمة حتى بلغ ماوجد في بيت المال بعد موت يوسف بن تاشفين ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة الاف وأربعين ربعا من مطبوع (الذهب) (25) .

---

(23) ـ في هذا المجال هناك شهادة صادقة من صاحب الحلل يقول : (كانوا أقواما ربتهم الصحراء نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة ولا مخالطة الاسافل ، وكان تربيتهم في الأندلس أنهم لم يزيدوا فارسا على خمسة دنانير للشهر مع نفقته وعلف فرسه فمن ظهرت نجدته واعانته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده ، وتركوا الثغور المواجهة لبلاد العدو في حكم الأندلسيين لكونهم أخبر بأحوالها ، مجهول ، الحلل الموشية ، ص59 .

(24) ـ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ الطبعة القديمة ج1 ص230 .

(25) ـ نفســـه ، ص229 .

ومن تشدد المرابطين في حياتهم الاقتصادية فقد ولّوا بعض النصارى على جباية الأموال (26) كما أقاموا علاقات تجارية مع الجمهوريات الايطالية(27) ونتيجة لاخلاص المرابطين وقوة عملتهم الذهبية ، جعلتهم مضرب مثل في منطقة القلاع الشمالية الاسبانية (28) ، حيث كانت القيمة النقدية لسكة المرابطين مرتفعة نظرا لرواج التجارة بين المغرب وغيره من دول البحر المتوسط حتى أن الدينار المرابطي كاد يصبح نقدا دوليا اذ وصل حتى الى القسطنطينية بل لا نبالغ اذا قلنا أن الدينار المرابطي (دولار العصور الوسطى) (29) والذى يلمح أن ما حدث في الفترة الموحدية ما هو الا تطور لما بدأه المرابطون وخير ما يصور

---

(26) ـ ظاهرة استعمال أهل الذمة ظاهرة عجيبة في الحكومات الاسلامية فهذا الخليفة الاموى عبد الرحمن الناصر يقلد أوفد الطبيب اليهودي حسداى بن اسحاق (ابن شبروط) سفيرا الى صاحب جليقية . . .) وأول من استعمل الروم بالمغرب وأركبهم وقدمهم على جباية المغارم أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين أنظر: أمين توفيق الطيبي ، كتاب المقتبس الجزء الخامس لابي مروان بن حيّان القرطبي تحقيق ب. شالميتا مدريد 1979 (دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس) المرجع السابق ص154 ، الحلل الموشية ص ص 62ـ63 .

(27) ـ أنظر: M. le comte de Mas Latrie, Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale ou Magreb avec les nations Chrétiennes ... Librairie Firmin Didot Paris 1886 p67.

(28) ـ عن قوة العملة المرابطية أنظر: صالح بن قربة المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة بني حمّاد (تحت الطبع) ص452 وما بعدها .

(29) ـ أمين توفيق الطيبي ، النقود العربية انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى (دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس) المرجع السابق، ص333 .

ظاهرة الاستمرار العمراني والاقتصادي ، رغم البعد الصوفي والمهدوي الذي قامت عليه حركة الموحدين ، وحتى عهد الموحدين كان التحدّي الداخلي للظاهرة الهلالية عنيفًا لهذا (تصدى الموحدون لهؤلاء العرب أحيانا وصانعتهم لهم في أحيان أخرى كل ذلك لم يجد في ايحاء البلاد الشرقية) (30) وأما التحدي الخارجي للقوى البحرية والتجارية الأوروبية فقد اتسمت حركة الموحدين كسابقيهم بالمواجهة ثم مصانعتهم لها فيما بعد وبخاصة لتجار المدن الايطالية كل ذلك أدّى الى زيادة نفوذ هؤلاء التجار في التجارة المغربية البحرية بل أصبحت لهم تقاليد تجارية في افريقية والمغرب والمعاهدات السلمية والتجارية كثيرة (31) بحيث عدّ أحد الباحثين أن هذه العلاقات الودية للموحدين من الأمم المسيحية ربما كانت من الأسباب الموضوعية في تلبية نداء صلاح الدين الأيوبي من طرف أبي المنصور الموحدي ومساعدته في القضاء على الصليبيين (32) .

في المنطقة الغربية عاشت البلاد في حياة مضطربة نحو ثلاث وثلاثين سنة ابتداء من قيام الدعوة الموحدية سنة 515هـ/ 1121م ولم ينعم على اثرها الشعب المغربي بـ ... والرخاء ، ثم بدأت حياة الأمة تعرف الاستقرار ، وأخذت الحياة الاقتصادية تنتعش (ولم يتعد عبد المؤمن في بادئ الامر ، منهج ابن تومرت

(30) ـ عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي ص335 .
(31) ـ أنظر : هذه المعاهدات : محمد ولد داداه مفهوم الملك في المغرب ص 174ـ176 .
(32) ـ نفسه ص 174 .

الذى قرّره في تحصيل الأموال الضرورية ، فقد اكتفى بجمع الزكاة و تحصيل الاعشار و الاخماس حتى لا يرهق الشعب (33) و نتيجة لبداية العهد الامبراطوى للدولة بتوحيدها لبلاد المغرب و الاندلس ، فان حاجة عبد المؤمن للمنشآت الحربية من قلاع و حصون و تزويد الجيوش الجرارة بمختلف الأسلحة ، و ينشيء الاساطيل ، كل هذا لم تف مالية الدولة المقامة أساسا على الزكوات و الاعشار و أخماس الغنائم لهذا أصدر عبد المؤمن أوامره الى عماله في جميع بلاده بأن يمسحوا الارض (وكسّرها من بلاد افريقية من برقة الى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ و الاميال طولا وعرضا ، فأسقط من التكسير الثلث في الجبال و الشعراء و الانهار و السّباخ و الطرقات و الحزون وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع و الورق ، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب(34) ثم عمد الى مصادرة أموال اليهود و النّصارى الذين لم يسلموا طبقا لقراره الذى سبق أن اتخذه ، ولم يهمل عبد المؤمن جزءا من الأرض الصالحة للزراعة دون زراعة وأصبحت النهضة الزراعية في عهده لها مكانتها في الاقتصاد الموحدى ولم تمر عقود ثلاثة على اعتلاء عبد المؤمن عرش الموحدى حتى غدت بلاد المغرب آمنة وأخذت الحضارة تشق طريقها نحو الظهور و الرّقي فازدهر اقتصاد

---

(33) ـ عبد الله علي علّام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ، ص 253

(34) ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 199 .

المغرب الاسلامي ازدهارا لم يصل اليه الافي عهد المرابطين (35) .

ضرب الخلفاء الموحدون الدراهم والدنانير وعادوا بها الى سابق عهدها في صدر الاسـلام (36) . وكان نشر الدنانير جريمة عظيمة عند الموحدين لذلك امتاز قدره عجاء من النتائج الملوكية والاختراعات السّرية جامعا بين الفخامة والنّماء والطيب وشرف الانتماء (37) .

وعلى اثر ابتعاد الخلفاء الموحدين عن السياسة التى رسمها لهم ابـن تومرت ، فقدوا الفعالية، لذلك لا يمكن أن نفصل بين ذبول الفكرة الموحديـة والانهيار الاجتماعي والخراب الاقتصادى ، الذى عرفته بلاد المغرب فى فتـرة ما بعد معركة العقاب التى تمثل بداية الانهيار العسكري والسقوط الحضارى .

فاضطرب الأمن وسادت الفوضى وتقلصت الأراضي الزراعية واستعان بعض الخلفاء بأموال الأعراب ، لان الفتن قد منعت جباية الأموال ، فكانت الخزينـة خاوية فى أكثر الأحيان ، ثم ظهرت المجاعات وغلت الأسعار ، فتوقفت حركـة العمران التى عرف بها الخلفاء الأربعة الاول ، ودمّرت المنشآت القديمـة وخرجت مراكش ومكناسـة ، وتهدم جامع حسان بالرّباط وهو أروع رمز معمارى موحدى فى المغرب (38) .

---

(35) ـ علام الدولة الموحدية ، ص 254 .

(36) ـ كان وزنه يتراوح بين 4,729 غ و 4,25 ونقص أيام المرابطين فأصبح 3,960 ثم في عهد الموحدين حتى وصل الى 4,729 أنظر عبد العزيز بنعبد الله معلمة الفقه المالكي ص 217 .

(37) ـ نفسـه ، ص 217 .

(38) ـ عمر أحمد موسى ، دراسات فى تاريخ المغرب الاسلامي ، 114 .
أنظر عن هذه المئذنة صالح بن قربة ، المئذنة المغربية الأندلسية ص 159 .

ولا يمكن تفسير هذا الخراب العمراني والانهيار الاقتصادي والاجتماعي الا بابتعاد الدولة الموحدية عن أصولها الاصلاحية وهي الفكرة التي قامت من أجلها ، لهذا فان النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرنين السادس والسابع الهجريين يبرز الاثر العقائدي والسياسي في حيويته اذ أن العلاقة الجدلية بين فلسفة الدعوة الموحدية وبين الرفاه الاقتصادي والاجتماعي يمكن أن يظهر جليًا ماذهبنا اليه بأن حقيقة المُلْك بالمغرب الاسلامي في عصري المرابطين والموحدين قد قامت على (إيديولوجية الرّباط) في فترة وخلفتها عقيدة المهدي بن تومرت ، فلما انهارت وذبلت الفكرة فقد الاقتصاد حيويته وأصبحت البلاد تعيش في دوامة الصراع خاصة في عهد الموحدين (39) .

---

(39) ـ تناول كل من محمد ولد داداه وعز الدين عمر أحمد موسى بالدراسة والتحليل عصري المرابطين والموحدين من خلال الألقاب الملوكية والخلافية وكذا الحياة الاقتصادية وهي طريقة في كتابة التاريخ . عن حذق ودراية بنشوء الدّولة وسقوطها وهي في الحقيقة فكرة خلدونية أعطاها الباحثان أبعادها الحقيقيّة من خلال تجسيمها لتاريخ المغرب الاسلامي المرابطي والموحدي .

2- الدّور الاجتماعي :

كانت صورة الاجتماع في الرّباط تعبّر عن طاعة الله والترّسم بمظاهر الآداب ففي الرّباط يعيش المنقطعون الى الله كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من طوائف المجتمع الاسلامي (40) .

فلتهذيب النفوس وتصفية القلوب في الرباط رابطوا لهذا ظهر التّودد والنّصح كّسمى العلاقات الاجتماعية في هذه الخلايا التي عرفها المجتمع الاسلامي وحتى ندرك الدّور الاجتماعي للربط في عصري المرابطين والموحدين علينا أن نعرف على حقيقة هذا المجتمع الصغير الذي تربى على القرآن والسّنة فدورها الاجتماعي تجاه الامة يظهر من خلال ما تقدمه للمسافرين والحجاج وعابري السبيل ، فقد غدت دورا للضيافة تستضيف المغتربين القادمين من أنحاء العالم الاسلامي بحيث لا تزيد اقامة الضّيف الواحد على ثلاثة أيام يلقى فيها كل ترحاب من أهل الرّباط ويقدم له طوالها الطعام وغيره من مستلزمات الضيافة (41) .

فشبكة الرّبط التي تغطي عالم الاسلام تمثل وحدة المسلمين رغم غياب الوحدة السياسية ، فقد قامت الرّبط وتنفيذا لما نص عليه القرآن من رعاية ابن

---

(40) ـ السّهروردي ، كتاب عوارف المعارف ، ص1 ، 1 .

(41) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية (مجلة عالم الفكر) المجلد 11 العدد 1 الكويت 1980م ص122 .

السبيل واكرامه واطعامه وابن السبيل هو المسلم الغريب عن وطنه المسافر على الطريق الذي يحتاج ، فالى جانب ما يجد من الطعام ومأوى فانه يشعر أنه بين أهله واخوانه في أي ركن من أركان عالم الاسلام كان (42) وقد وجه القرآن الامة هذا التوجيه الانساني فعلوا حقوق الفقراء والمساكين وأبناء السبيل لهذا حرصت الامة وهي القيمة الحقيقة على الدين ، على تنفيذ التوجيه القرآني فأقامت الربط والزوايا ودور الضيافة في كل مكان ورحلات ابن جبير وابن بطوطة وغيرهم من الرحالة والجغرافيين خير شاهد على ماذهبنا اليه (43) .

هذه الربط ساهمت بقسط كبير في أعمال البر والمواساة في المجتمع الاسلامي بما تقدمه للمسافرين والضعفاء (44) فمن الربط التي كانت لها رسالة اجتماعية أعمق من ذلك بكثير فبعضها كان مأوى للمسافرين والمحتاجين وكانت لها رسوم في توزيع المال والطعام على الفقراء في كل عام (45) .

وهذه الخدمات الاجتماعية التي اضطلع بها الرباط حتى في أحلك أيام العالم الاسلامي ، أيام غزوات النصارى الصليبيين أو النورماند أو الأعراب تعبر

---

(42) ـ حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، ص22 .

(43) ـ نفسه ، ، 23 .

(44) ـ عاشور ، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ، ص122 .

(45) ـ نفسه ، ، 123 .

تدعو أسمى الاهداف التى رسمت لها قواعد ثابتة تضطلع بتنفيذها ادارة الرباط.

مجتمع الرّبط يتكون من ربط للرجال وأخرى للنساء ومهام الرّجال عطية ولية وحربية وهي معروفة من خلال الفصول السابقة أما ربط النساء (46) فهو ظاهرة بارزة في الحياة الامة الاسلامية فبالاضافة الى أن الربط كانت تقوم برسالة اجتماعية سامية فانها لم تستهدف مجرد العبادة فحسب وانما استهدفت أيضا أن تكون كالمودع للنساء المطلقات والارامل أي ملاجئ لـ ومن أمثلة ذلك في الشرق رباط البغدادية في مصر وأن هذا (الرّباط تجمع فيه النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن طة لهن ... ومن شدّة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات حتى أن قيمة المرابطات كانت تحترز من كل شئ يؤدى الى شبهات ضرار فتؤدب من رأت فيها مصدر افساد للمنقطعات (47) ففي افريقية بـت ربط خاصة بالنساء وكذلك بالاندلس، وبلاضافة الى الوظائف والاعمال الخاصة بالنّساء من اصلاح للثياب وتحضير الغذاء والانقطاع للعبادة و تعتناء بنظافة الرّبط فان كثيرا من الرّبط الخاصة بالنساء في الاندلس

---

46) ــ أنظر: أسامة عانوني ، البّر والمواساة في المجتمع الاسلامي (مجلة احث) عدد 5 السنة الثالثة مايو ، جوان بيروت 1981 ص63.

47) ــ عاشور ، الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية ص123.

كانت تشارك في الجهاد الى جانب الغزاة والمتطوعة والمرابطين القادمين من كل مكان فقد كان سكان الحواضر الاندلسية يخرجون الى الجهاد بالآلاف المؤلفة من المجاهدين حينما تبدأ الحرب بل كان كثير منهم يرابط في الثغور البّرية والبحرية مثلهم مثل المسيحيين ، وكانت معهم النساء مرابطات يحششن معهم ويخضن معارك الجهاد وكل هذا كان يبعث الثقة في النفوس المحاربين ويدفع الي الاستماتة (48) ، ويبدو من النصوص القليلة أن ربط النساء ظاهرة متأخرة عن ربط الرجال لاننا نقرأ في النصوص القليلة الاشارات الخفيفة لوجود ربط النساء دون تفصيل مهامها كما هو الحال لربط صفاقس والمنستير وقصر الطوب وقصور طرابلس الغرب أو ربط بونة وسلا ، لهذا نفترض أن هذه الربط على ما يذكر ابن الخطيب في مرحلة متأخرة أنها كانت بكثرة في أوخر عهد الموحدين وبداية عصر انهيار مملكة بني الأحمر بغرناطة ، ونتيجة للانهيار الاجتماعي وكثرة المآسي الاجتماعية فان الكثيرات من النساء اخترن الرّبط كملاجئ للانقطاع الى الله ، وهذه الصورة الاجتماعية ليست رهبانية (49) كما هي معروفة عند النصارى (اذ كان نظام الرّهبنية والاعتكاف في الاديرة لممارسة نوع معين من أنماط التفرغ للعبادة بعيدا

---

(48) ـ محمد مفتاح : مفهوم الجهاد والاتحاد في الادب الاندلسي ص199 .
(49) ـ استنكر الاسلام الرهبانية وأحلّ محلّها الجهاد فقد جاء في الحديث (لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله عز وجل) رواه أحمد بن حنبل .

عن المجتمع ند عرفته المسيحية ورجالها المتدينون بعد اضطهاد الرومان و ظلمهم لرجال الدين) (50) فان الاسلام لم يعرف هذه الظاهرة ، ويذهب بعض الباحثين الى محاولة تشبيه المجاورين وأهل الصفة من فقراء الصحابة وعامة المسلمين برهبنة واعتكاف المسيحيين الا أن الواقع أن أهل الصفة كانوا يتناقصون من حين لآخر بحسب من يتزوج منهم أو يفارق الحياة أويسافر بعيدا عن المدينة ، أما المجاورون في مرحلة متأخرة من تاريخ المسلمين فهم فقراء القوم انقطعوا للعبادة في المساجد فكان الناس يعينونهم بكل ما يحتاجون اليه من طعام وكسوة (41) .

وأما الرّبط فقد اجتمع فيها الشباب المسلم والرّجال الاتقياء والامراء و العلماء والعامة وانقطعوا للجهاد ليحققوا الامن الاجتماعي والرّاحة لبقية الامة ، والامن من الخوف هي أسمى ما قدّمه القرآن الكريم للانسانية والرباط يحصل لمن خرج عن أهله وسكن بالسواحل (52) ، لذلك قدم المرابطون الى مدينة بالساحل تعيش حالة خوف وقلق من غزوات النورماند أوغيرهم فان المدينة تنام في طمأنينة ، فاستقر بذلك الانسان المسلم وابتعد عنه القلق الذى من أسبابه انعدام الامن ، وأما الامن الاجتماعي فيظهر في اشاعة الرّبط الاخلاق

---

(50) ــ محمد توفيق بلبع ، المسجد والحياة في المدينة الاسلامية (عالم الفكر مجلد) 11 العدد الاول الكويت 1980 ص180 .

(51) ــ نفسه ، ص181 .

(52) ــ معالم الايمان جـ1/ ص9 .

الاسلامية و تربية المجتمع ، حيث أصبح هؤلاء المنقطعون في سواحلهم يحرسون عورات المسلمين مصرب مثل بل اصبحوا البركة و الخير ومقابرهم مقابر رحمة ومزاراتهم و تربتهم ملجأ للخائف والمحروم ، لهذا نالوا من المجتمع وسام التّقوى فبجلوهم و أشادوا بهم في مؤلفاتهم ، فماذا عن مجتمع رباط حوض السنغال ؟ لقد انطلقت مؤسس الرباط من النتائج التي توصل اليها بعد تجربة واسعة ودراسة وافية للمجتمع الاسلامي في النصف الاول من القرن الحادي عشر ورأى أن الاصلاح ممكن شريطة أن يكون هناك مؤمنون بالفكرة يكونون على استعداد للاستماتة في الدّفاع عنها ،لهذا نجد أن التغيير يتطلب وجود مجتمع ملتزم يوازي المجتمع المنحرف لذلك أصبح رباط عبد الله بن ياسين النموذج الواضح لهذا المجتمع المنشود ،فبعد تأسيس الرّباط حقق الامن الخارجي له ولجماعته أوجد مقاييس ثابتة تتوفر في من ينضم الى الرّباط وجماعته و من جملة هذه المقاييس، القدرة على العمل ، وهذا أدّى الى التركيز على عنصر الشباب القوى والاعزب ، ثم الاعتراف بالذنوب التي ارتكبها أي تجديد ايمانه و الاستعداد للعمل واكتساب المعرفة الدّينية و الحربية و الزراعية عمليا (53) .

فكان رباط السنغال يضم الشباب التّائب من لمتونة وجدّالة و بعض الامراء وشيوخ القبائل وعلى رأس ادارة هذا الرّباط الامام عبد الله بن ياسين، ونحن

---

(53) ــ العربي الزبيري ، دراسات فكرية (مجلة المجاهد) عدد 1258 الجزائر ديسمبر 1984 ، ص24 .

نتصور هذه الخلية الحيوية التي اجتمع فيها في ظرف قصير ألف رجـــل مؤمن مجاهد يؤدّون وظائف متعددة هي العبادة وحفظ القرآن والاحاديث والصوم وقيام الليل والعمل في الارض المجاورة للرباط حتى لا يكون المجتمع الرّباطي الجديد في حاجة الي الغير لتلبية ما يحتاج اليه من مستلزمـــات العيش (54) .

وعبد الله بن ياسين الذي خبر مواطن الضّعف في النّفس الانسانيـــة وثقافته الاسلامية جعلته صاحب نظرية في اصلاح المجتمع ، فقد كان داعيـة الى الله اماما موهوبا وقائدا حازما أيقظ الاسلام في رجـ لمتونة وحبّبهـــم فيه وكشف لهم عن كنز الايمان في نفوسهم ، لقد استطاع هذا المالكي اثائر أن يجعل من الدعوة الاسلامية تيارا شعبيا في بلاد المغرب ، هذا التيـــار الاسلامي جعله من المجدّدين في المغرب الاسلامي ، لهذا جاء على رأس جماعة الرّباط بتركيبته الاجتماعية القبلية كأعظم الزعماء الرّوحيين وجماعة الرّباط جعلت القرآن وحي التشّريع والسلوك (وكان جند المرابطين يحاربون بنفس الرّوح الاسلامية الذي تحلى بها الجند في صدر الاسلام يحاربون للجهاد و يظفرون بأحد الحسنيين النّصر أو الشهادة في سبيـــــل و اعلاء كلمـــــة الله ونصرة دينه) (55) كما اجتهد الامام ابن ياسين في بعض القضايا

---

(54) ـ العربي الزبيري ، دراسات فكرية ص 24

(55) ـ حسن ابراهيم حسن ، علي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص195 .

المستحدثة عارضة فيها الجغرافي البكري .

هذا المجتمع الصغير الذى تكون في رباط السنغال هو القدوة الحسنة للمجتمع المغربي وان وجدت حركته و تنظيمه الاجتماعي بعض الانتقادات كطريقة توزيع الاخماس و الحدود و العزوبية مع أن السّنة ترغب المسلم في الزّواج لبناء الاسرة كخلية أساسية في المجتمع الاسلامي .

و من مميزات حركة المرابطين على المجتمع أن سكان المغرب عرفوا و لحقبة طويلة الهدوء و الرّخاء و نشر المرابطون الاخلاق الحميدة بين المجتمع ، وحتى الاندلس التى عرفت بمجتمعها الذى ساده الانحلال الخلقي وشاعت فيها العلاقات الجنسية الحرام و شربت الخمر جهارا حتى تذمر العلماء والصلحاء من هذا الوضع المتودّى ، سكن الى حين عن الكلام غير المباح (56) .

وقد عانى الشعب الاندلسي في ظل الفوضى التى عرفها على اثر الانقلابات السياسية و توالي الحروب لهذا كان دور المرابطين و فقهاء المالكية له مكانة هامة في نشر الفضيلة و محاربة التّسبب الاجتماعي فانتقدهم على هذا المستشرق = رينهارت دوزى = فقال : (كان مجئ المرابطين الى الاندلس نذيرا بانقلاب بعيد المدى فقد دالت دولة الحضارة وقامت الهمجية على أنقاضها ،أما حسن الادراك فقد حلّت محلّه الخرافات، ذهب

---

(56) ـ عبد الله عنان ،دول الطوائف منذ قيامها حتىالفتح المرابطي ، ص407 .

التّسامح وسيطر التّعصب وأصبحت البلاد ترزح تحت نير الفقهاء والقواد وبدلا من أن نسمع مساجلات العلماء وفي دور العلم ومناقشتهم في الفلسفة ونشيد الشعراء وغناء أهل الموسيقى ، بدأنا لانسمع الاّ أصوات الفقهاء وصليل السيوف) (57) هذا البعد الاسلامي للمرابطين هو الذى أثار حفيظة هذا المستشرق المتعصب وتبعه في هذا الرأي غالبية المؤرخين فقال عنهم أحد الباحثين دون روية : (وكان عهد المرابطين الذى عرف باستبداده المتناهي وتعصبه الدّيني الممقوت ونظر اليه المراقبون كأسوأ وأخطر العصور حيث لعب دورا كان أشبه بالدور الذي لعبه الترك والمغول في الشرق) (58) .

ويمكن ملاحظة أثر الرّباط الخلقي والاجتماعي من حالة الشعر ، في عصر المرابطين ، فقد راكب العصر السياسي والفكرى للدولة اذ اتّسم وأصيب تيار المجون بصدمة عنيفة أدّت الى انحساره والحد من تدفقه وانصرف الشعراء عن معالجته ، وهذا ما ميز عهد ملوك الطّوائف (عهد القصور والجواري ومجالس الأنس عن عهد المرابطين (59) .

---

(57) ــ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص444 .

(58) ــ الدكتور جودت مدلج ، الحب في الأندلس ظاهرة اجتماعية بجذور مشرقية الطبعة الأولى دار لسان العرب بيروت 1985 ص107 .

(59) ــ محمد مجيد السّعيد ، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس دار الرّشيد للنشر العراق 1980 ص201 .

وقد تمتعت عناصر المجتمع المرابطي بالأمن ولم يسجل التأريخ في هذه الحقبة حربا دينية بين المسلمين وسائر السكان ،فقد سمح للنصارى واليهود باقامة شعائرهم بكل حرّية (60) وبكل تسامح ... رك النّصارى في الجيش المرابطي وان عدّت من سلبياتهم (61) أما اليهود فيظهر أنهم عاشوا شبه بعيدين عن العناصر الاسلامية بالمغرب ، دون أن ننسى أن بعض اليهود كانوا يحيكون الدّسائس ضد المسلمين في الأندلس، ومنهم من كان يعمل لصالح النّصارى في علاقاتهم بالمسلمين (62) .

وقد أشاع الرّباط بعض المبادئ الطّيّبة في المجتمع كنظام الحلقات العلمية التي ... قبل أن تؤدى رسالة أدبية وعلمية ودينية ، صورة للاجتماع بين عناصر المجتمع حتى تزول الفوارق العصبية ويسود التّسامح والايثار والتّضحية والتكافل الاجتماعي وكان سلوك المرابط في الرباط وخارجه على هذا العهد من الدّقة بحيث كانت حركاته وسكناته محسوبة ،فقد تعلم آداب الرّباط فاذا خلع نعليه وصلى ركعتين شكرًا لله ، ثم سلّم على الجماعة وسأل عن أخبارهم وأخبار الرّباط في صورة تعبّر عن وحدة الصف المرصوص (63) وهذا بفضل

---

(60) ـ ابراهيم حركات المغرب عبر التاريخ ، الطبعة القديمة ، ص233 .

(61) ـ استخدم المرابطون والموحدون القوى المسيحية في جيوشهم وبرر ابن خلدون هذا العمل لمعرفة هؤلاء للزحف في الحروب وبينما يعرف العرب والمغاربة الكر والفر أنظر: De Mas Latrie, relations et commerce P61

(62) ـ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الطبعة القديمة ، 2 33 .

(63) ـ السّهروردي ، كتاب عوارف المعارف ، ص139 .

ما ثبته الامام عبد الله بن ياسين في المرابطين وهم بدورهم بلّغوا هذه الرّسالة للأمّة في كل الأقطار التي فتحوها .

وعلى ما يبدو أن المرأة المرابطية حظيت عظيمة بين أفراد المجتمع حتى عدّ عبد الواحد المراكشي (64) تورطها في السياسة من أسباب سقوط دولة المرابطين ولا ندري صحّة ما أشاعه الموحد ، عن سفور المرأة في هذا العهد مع العلم أن الحجاب كان قد أصبح عادة قبل المرابطين .

أما الدور الاجتماعي لحركة الموحدين فقد جاء نتيجة للنظام السياسي و الاجتماعي الذي أحدثه ابن تومرت في القبائل التي اعتنقت مذهبه ، هو حدث من أهم الاحداث التي شهدها المغرب في العصور الوسطى (فان دولة الموحدين بتينمل كانت مؤسسة على نظام اتّحادي وكانت القبائل مرتبة فيها على درجات متفاوتة ، وكان هذا الترتيب نظاما حربيا أصيلا (65) فعلى قمة هذا النظام المتسلسل قبيلة هرغة وهي قبيلة المهدي وضمّ الى هرغة صاحب المهدي الاولان عبد المؤمن والبشير ، الزناتيان أصلا وذلك بواسطة التّبنّي ، ويتبع هرغة قبائل تينمل ثم هنتاتة ثم جدميوة ثم جنفسية ثم صنهاجة ثم القبائل الاخرى ثم هكسورة (66) فاذا كانت السنن الأسلامية الاولى هي

---

(64) _ عبد الواحد المراكشي ، المعجب ص177 .

(65) _ ولد داداه مفهوم الملك في المغرب ، ص142 .

(66) _ نفســــــ ، ، 142 .

التي منحت دولة تينمل صبغتها الاخلاقية والدّينية فان العادات المغربية القديمة هي التي ركّز عليها النظام السياسي والاجتماعي الذى شكل الدولة الموحدية (67) .

والى جانب هذا التنظيم فقد ذكر المؤرخون وجود هيئات عديدة استشارية بجانب المهدي الزعيم الروحي والرئيس الأعلى للنظام الموحدي وهي أهل عشرة وأهل خمسين وأهل سبعين وأهل الدّار (68) .

وهذه المجالس الاستشارية على ما يبدو في تاريخ الموحدي أنها اتخذت هي الاخرى صيغة وراثية ولم ترسخ مبدأ الشورى الاسلامي الذي جاءت من أجله فتحى المهدي كان يتصرف كامام معصوم ومجدد (69) .

والى جانب هذه التنظيمات الاجتماعية والسياسية فهناك السكاكون والجند فالمؤذنون في القبائل والمقيمون بالمدينة ثم الحفاظ فأهل الحزب ثم الرّماة) وفي عهد المهدى حاولت الحركة الموحدية أن تبدو في مظاهرها الاجتماعية على الصورة التى رسمها الامام المعصوم ، لذلك كان التكوين العقائدى والثقافي خاصة التّوحيد هو الحبل المتين الذى يشد المهدى ببقية عناصر هذه

---

(67) ــ ولد داداه ، مفهوم الملك في المغرب ، ص 142 .

(68) ــ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، 79 .

(69) ــ نفســـــه ، ص149 .

التنظيمات (70) .

ويتساءل الباحث في غياب النّصوص عما اذا كان هذا النّظام السياسي الاجتماعي قد قام بالفعل أم هو قائم على الورق ، ومن أذهان مبتكريه والاجزاء الوحيدة التي لا يتشكك فيها المؤرخون هي (العشرة) (والخمسون) ويبدو من المرجّح أن هذين هما الجزءان اللّذان بقيا طوال حياة الدّولة ووا صلها من بعدهم الحفصيون (71) .

ان النّظام الموحدي معّقد تعوزه المرونة لهذا مات موتا طبيعيا كالمذهب الذي حاول صاحبه ترسيخه في العقلية المغربية ، ولا نتصور ان هذا النّظام قد أفسد البساطة الاصلية لحركة الموحدين (72) رغم أن الموحدين يشكل عندهم الطلبة هيئة انسجمت فيها المبادئ النّظرية والمبادئ العملية انسجاما تاما فان المجتمع المغربي الذي كان أتباع مذهب الامام مالك منذ قرون قد أعرض عن الفكر الموحدي وانسجامه مع الفكر الصوفي ونزعات الزّهد في عهدي المرابطين والموحدين جعلت تأثير الموحدين على الحياة الاجتماعية يبدو بسيط الاثر (73) رغم أن الرّعية كانت تبدي للخلفاء الموحدين احتراما

---

(70) ـ عن ترتيب الموحدين راجع ، بورويبة ، ابن تومرت ، ص91 وما بعدها .
هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى ، صص159ـ169 .

(71) ـ هوبكنز ، النظم الاسلامية في المغرب ، ص 194

(72) ـ نفسه ، ص194 .

(73) ـ ولد داداه ، مفهوم الملك في المغرب ، ص182 .

كبيرا فلا تدخل عليهم الا اذا نوالها ، وتجلس أمامهم على حسب طبقاتهم ومراتبهم وتهذب الكلام أمامهم ، وتنظر الى الارض في مجلسهم ولا تخاطبهم الا بضمير الغائب وكانت تنزل عن مراكبا لتحيتهم بينما هم راكبون ، كما يبدو أن زيارة قبر المهدي بتينمل وتربة الخلفاء بدا أصبحت عادة في المجتمع الموحدي خاصة بين الطبقة الحاكمة ، (وقد اختلفت معاملة الموحدين لعناصر السكان عن معاملة المرابطين لهم فبينما أتخذ الاولون سبيل العنف في القضاء على ثوراتهم واستخلاص الضرائب منهم واخضاعهم للنظام القائم كان المرابطيون يتجنبون كل سبيل للشدة لا تبلغ عقوبتهم حد القتل الا نادرا وعلى العكس من ذلك كان الموحدون) (75) .

وسياسة العنف التي اتبعها الموحدون في حركتهم ، أعطتهم بعدا عسكريا كانت له آثاره الاجتماعية ، فقد حاول عبد المؤمن بنفسه تربية ، مجتمع المصامدة تربية عسكرية وتربوية بحيث ربي الحفاظ على كتاب (المهدي أعز ما يطلب) وغير ذلك من تآليف المهدي ، وكان يدخلهم في كل يوم جمعة بعد الصلاة ، داخل القصر فيجمع الحفاظ فيه ، وهم ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة واحدة ، من المصامدة وغيرهم قصد بهم بسرعة الحفظ والتربية ، على ما يريد ، فيأخذهم يوما بتعليم الركوب ، ويوما بالرمي بالقوس ، ويوما بالعوم في بحيرة صنعها خارج بستانه

---

(75) — ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الطبعة القديمة جـ1 / ص ص 349 . 350

فتأدبوا بهذا الآداب تارة بالعطاء وتارة بالادب (76) ثم في النهاية و لاهم في مناصب الدولة ،في القضاء والتعليم بالمساجد ومدارس حواضر المغرب (77) .

وفي مقابل ما امتاز به العهد الموحدي من شدة تجاه الثور وأهل الذمة خاصة اليهود (78) فانهم عرفوا بطريقتهم السمحة في الاحسان الى الفقراء والعطف على المرضى والعجزة حيث اتخذت طابعا انسانيا فريدا من نوعه وما رستان مراكش خير مثال فقد كان الخليفة المنصور الموحدي يركب ويدخله بعد الصلاة يوم الجمعة ، يعود المرضى ويسأل أهل كل بيت وعلى أحوالهم (79) (ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش

(76) ـ مجدول ، الحلل الموشية ، 114 .

(77) ـ نفسه ، ، 114 .

(78) ـ تشدد الموحدون مع اليهود منذ عهد عبد المؤمن ، وزاء التشدد في عهد المنصور الذى كان يقول : (لو تيقنت بكفرهم لقتلتهم و سبيت نساءهم)وقد أكد المراكشي ما ذهبنا اليه بقوله : (ولم تنعقد عندنا ذمة ليهودى ولا نصراني منذ قام أمر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولاكنيسة انما اليهود عندنا يظهرون الاسلام ويصلون في المساجد ويقرئون أولادهم القرآن : جارين على ملتنا وسنتنا ، والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم) عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 305 محمد ولد اداده ، مفهوم الملك في المغرب ، 170 ، حركات ، المغرب عبر التاريخ الطبعة القديمة ج1/ ص 352 .

(79) ـ الدكتور أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، الطبعة الثانية دار الرائد العربي بيروت ، 1981 ، ص 281 .

من غريب حمل اليه وعولج الى أن يستريح أو يموت) (80) .

ومن خلال المصادر نجد أن المجتمع المغربي في عهد الدّولة الموحدية مرّ برخاء ورفاه اقتصادي انعكس على الحياة الاجتماعية فقد شهد السكان في عهد الموحدين رخاء عظيما خصوصا في أيام الخلفاء الاربعة الاول ، أما في أواخر عهدهم فقد اشتدّ الوباء والمجاعة حتى غلت الأقوات الى ان عاد الرخاء من جديد الى الأسواق المغربية عند ما أوشكت الدولة الموحدية على السقوط (81) ويمكن أن نتعرف على حياة الناس الاجتماعية وآثار الدعوة الموحدية من خلال حالة المدن والحواضر والبادية المغربية في هذا العصر (82) فقد زاد العمران والاستقرار الاجتماعي رغم الثورات والفتن والهزّات الاجتماعية الناتجة عن الحروب .

وأما الظاهرة التى خلفتها الدعوة الموحدية هي ترسيخ الملك الوراثي بين الطبقة الحاكمة المتنفذة وترسيخ الطبقة والقبلية وهي من الصفات التى تحاربها الدعوة الاسلامية ، لذلك فان مجتمع الموحدين مجتمع طبقي برزت فيه الارستقراطية وكبار الملاك من حاشية السلطان وأما الرّعية فهي كل حسب وظيفته الاجتماعية ومدى قربه من أصحاب النفوذ السياسي فى الدولة .

لذلك يصدق ما ذهبنا اليه في السابق من أن الدّعوة الموحدية هي مزيج

---

(80) ـ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص288 .

(81) ـ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الطبعة القديمة ج1/ ص352 .

(83) ـ نفســـــه ، ص353 .

بين مبادئ الاسلام المثالية القائمة على التّوحيد ومحاربة السلفية المرابطية وبين العادات المغربية ، التي لم تستطع الدولة التّخلص منها بل رسّختهـــا منذ الانطلاق من رباط تينمل الحتيد بقيادة المهدي بن تومرت وزاد المجتمع الموحدي تعقيدا عبد المؤمن بن علي الذي رسّخ وراثة ملك الموحديـــن والإعتماد على عصبية قبيلة كومية (83) .

ممّا سبق نستخلص أن رباط السنغال ورباط تينمل لعبا الدور الاجتماعي الحاسم ولو إلى حين .

---

(83) ـ اعتبر المؤرخون اعتماد عبد المؤمن بن علي على قبيلة كومية تحولا خطيرا في الدولة ذلك أنه تخل عن المبادئ الأصلية للحركة لمنفعة أسرته ومنذ ذلك الحين اعتمد عليهم كمحاربين مع الأعراب وهم في نظر المصامدة من الاعراب الذين لم يشاركوا في قيام الدولة أنظر : ابن أبي زرع روض القرطاس صص 201 ـ 202

لي تورنو ، حركة الموحدين في المغرب ، ص 75 وما بعدها .

3ـ الدّور الثقافـــــي :

الرّباط في الأصل ثكنة عسكرية أريد بها الدّفاع عن ثغور المسلميـــن في المشرق ، وأما الرّباط المغربي فكان الى جانب مهمّته الحربية مكانـــا للعبادة ومعهدا تدرس به شتّى العلوم ولا سيما العلوم الدينية ، وكـان الرّباط من المعاهد العلمية الهامة بالمغرب ، وزادت أهميته في عهـــد المرابطين ثم في عهد الموحدين من الوجهتين الحربية والعلمية وعلى الرغم من أن الرّباط نشأت في أول أمرها بالمشرق فان رُبُط المغرب كانت أكثر نفعا وأبعد أثرا في تطوير الحياة .(84) .

ففي المرحلة التى سبقت القرن الخامس الهجري نجد أن تأسيس الرّباط كان بداية لاستقلال التعليم الافريقي بنفسه فالناس يتحدثون كثيرا عن نحاة الكوفة والبصرة ولا يتكلمون عن نحاة المغرب والأندلس، فالرباط الذى ظهر سنـــة 181هـ/ 797م أحدث انقلابا جديدا في التعليم اذ أصبح مدرسة للرحلـــة العملة ، تشد له الرحـ لأنّه مؤسسة ثقافية ثانوية مكملة للبرامج التّربوية و التعليمية التى بدأها المسجد (85) ففي هذه الرّبط (يبث المرابطون احتسابا بالله العلم في صدور النساء وصدور الرجال) (86) ولما قصد في الأول نشر

---

(84) ـ علّام، الدولة الموحدية بالمغرب صص292ـ 293 .

(85) ـ الكتّاني ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص16 .

(86) ـ نفســه ، ص17 .

الدّعوة الاسلامية بين العرب والمغاربة والسودانيين والجاليات النصرانية واليهودية بالمغرب فان التّعليم ونشر اللغة العربية كانت الوسيلة الاساسية لهذه المعاهد الدّينية والعلمية ، بحيث ما وصل القرن الرابع الهجري الّا ولم يبق نصراني واحد من عجم الساحل الافريقي أي من الرومانيين المتصلين بالبلاد التونسية قبل الفتح ولا من الافارقة الذين كنوا على النّصرانية أو الوثنية الّا واستفادوا من عصر النّهضة العلمية والدعوة الاسلامية فأدى بذلك الساحل التّونسي وربطه رسالتهما الحضارية والتّعليمية على خير وجه وهو ما يفسّر المكانة الاسلامية والعلمية للجهة الشرقية من المغرب الاسلامي .

ويمكن اعتبار التقاليد العلمية التى نشأت بالمغرب الاسلامي في أواخر القرن الثاني الهجري قد جاءت كثمرة من ثمار الظاهرة الجديدة التي عرفها المغرب في ميدان التعليم وهي الرّحلة العلمية من الاندلس والمغرب الى القيروان و سواحل تونس من ناحية ، ومن افريقية الى الفسطاط والمدينة ودمشق وبغداد من ناحية أخرى فالشباب المغربي لهم مطامح ورحلات وأدب الرّحلة من مصادر ثقافية المغاربة والاندلسيين وقد جاءت هذه الظاهرة في نفس الوقت الذي أسست فيه المجموعة الاولى من الاربطة (87) .

لذلك يشد المغاربة الرّحال طلبا للعمرة والحج ثم مجالسة الفضلاء والصلحاء

---

(87) — الكّعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص19 .

واقتناء الكتب النّفيسة من الحجاز وأرض مصر الغنية بالصلحاء و العلماء (88) وهذا ما يبعث الحنين في نفوس الاندلسيين و المغاربة الى ارتياد البلد الحرام واكتراع المعرفة من المناجع الفياضة مع اعتبارها كان يشعر به هـــــؤلاء من روابط الدّين واللغة (89) .

وطالب العلم من مدينة علم الى مدينة أخرى ، وكلّما سمع بوجود أستاذ مشتهر زاره وحضر حلقته وأخذ عنه اجازة في سماعياته أو نقل من املائــــه تصانيفه بعد أن يقابلها عليه رواية ودراية فيصير حلقة من سلسلة أسانيد ، و هذا ما جعل الكتب عند أهل المغرب والاندلس تروى بالاسانيد كالاحاديـث (90) وكانت الرّبط المغربية بحسب أهميتها مجال رحلات الاندلسيين وأهل الجهة الغربية من المغرب الاسلامي .

واستطاعت الرّبط المغربية أن تشارك في قيام التقاليد لعلمية التى من نتائجها استقلال التعليم بكتب افريقية دون الكتب المشرقية كما ظهرت التّصانيف التربوية و الطّبية وهذا ما أدى الى الاكتفاء الذّاتي العلمي كما ذهب السى هذا المؤرخ عثمان الكّعاك (91) ولم تعد الهجرة في طلب العلم كمـــا

---

(88) ــ حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، ص18 .

(89) ــ ابو الحسن القلصادى ، رحلة القلصادى ، دراسة وتحقيق محمد أبو الاجفان الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 65 .

(90) ــ عثمان الكعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، 19 .

(91) ــ نفســـــه ، ص21 .

كانت من قبل فقد التقت الاندلس والمغربان الاقصى والاوسط وصقلية حول القيروان وجامع الزيتونة ورباط المنستير وسوسة .

(ومن أشهر مدرّسي رباط المنستير سحنون بن سعيد التّنوخي صاحب المدونة الذي كان يقرئ الفقه في رمضان من كل سنة ، وأحمد الجّزار القيرواني الذى كان يقرئ الطب ويعالج المرضى في أشهر معلومة من السّنة) (92) .

هذا في الجهة الشرقية ، وقد أدت الرّبط مهمتها العلمية بفضل هؤلاء الزهاد والعباد والعلماء والفضلاء لهذا ظهرت فيها تقاليد علمية وحضارية معتبرة فهل الرّبط الصحراوية والبحرية من داكار بالسنغال الى رباط الفتح قد ساعدت على قيام تقاليد علمية في الجهة الغربية ؟ لهذا فان النشاط الاسلامي والحياة العلمية في الجهة الغربية تحتاج الى قراءة تاريخية من لون جديد من منطلق ان كان للرّباط دورا ثقافي معتبر وهل استطاعت الرّبط كسابقتها في الجهة الشرقية تأسيس تقاليد علمية وأدبية وهذا بنشرها للعلوم والثقافة والآداب العربية بين المغاربة ؟ .

يمكن اعتبار النشاط العلمي والثقافي بالمغربيين الاوسط والاقصى كظاهرة اجتماعية لأنّها تعبّر عن تغيير العقلية المغربية ، فهل كانت الظروف المحلية تساعد على النشاط الثقافي ؟ .

وعند ما نتدبر الامر الاول وهلة نجد أن هنالك عوامل كان من شأنها أن

---

(92) ـ محمد زنيبر ، كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس ، 116 .

تعرق النشاط الثقافي فكيف تحولت بلاد المغرب و ماهي هذه العوامل المعرقلة ؟ يمكن اجمال هذه العراقيل أمام الثقافة اللغة ،فاذا كان أكثر المغاربة يعرفون العربية فان اللغة الاكثر تداولا بينهم هي اللهجات المغربية واذا عدنا الى العصور الغابرة ،فان معظم القبائل و القرى لم تكن تعرف العربية (و نحن نعرف أن المهدي بن تومرت حينما أراد أن ينشر عقيدته الموحدية بين مصامدة الاطلس الكبير وسوس ،اضطر الى كتابتها بالشلحية)

و هنا يجب أن نلاحظ أن اللغة العربية اذا كانت اليوم معروفة لدى جميع المغاربة تقريبا هو في الحقيقة وليد الظاهرة المرابطية و الموحدية و الهلالية لهذا كانت اللغة من العوائق أمام الدور الثقافي للمربط ،أما العائق الثاني فهو الطابع الجغرافي للمنطقة .

فالمنطقة الغربية يمكن تقسيمها الى أقسام ثلاثة الواجهة البحرية طنجة وسبتة وهي أندلسية الثقافة و الصحراء الغربية و بلاد شنقيط و بلاد السودان وجزء عظيم من المغرب الاوسط كانت ذات خصوصية طبيعية تجمع بين الصحراء و البراري الشاسعة و هنالك الاطلس و السوس التي تقع بين الصحراء و الجبال الوعرة لهذا تكون الحواجز الطبيعية لها أثرها الملحوظ في عرقلة الحياة الثقافية و خاصة في تلك الازمنة الغابرة التي كانت فيها وسائل النقل بدائية و الطرق مخوفة و الرحلات شاقة وأما العائق الثالث فهو الوضع الاجتماعي فالمجتمع السوسي و الصحراوي تسوده البداوة و النظام القبلي بينما المنطقة ذات التأثير الاندلسي كان بامكانها أن تعرف تقاليد علمية ، لهذا يكمن هنا الدور الفعال

للربط في نشر العربية والثقافة بين هذه القبائل المتعددة الاهواء والعقائد .

وأول ما يلاحظ عن بداية النشاط الرّباطي يتمثل في أعمال رباط شـــاكر الذى نال شهرة كبيرة وأصبح مقصدا للاولياء والصالحين ، ثم كان للبعثـــة العلمية التى أرسلها عمر بن عبد العزيز وقد نال المغرب نصيبه من هاته البعثة العلمية وخاصة منطقة السوس القريبة من الصحراء وهي منطقة جهاد (93) .

ولا يخفى أن الرّبط الاولى الادريسية قد قامت بمهمتها الثقافية ولا يخفى أن مدرسة وجاج بن زلّلو اللمّطي في السوس الاقصى (دار المرابطين) هي الذروة التى وصل اليها التعليم الرباطي في القرن الخامس الهجرى فهذه المدرسة العلمية كانت أول مدرسة داخلية في المغرب حيث تقدم للطلبة جميع أنواع الدّروس خاصة الدينية منها على طريقة سلفية المغرب الاقصى وهي مدرسة لها جذورها الافريقية من خلال أستاذية الامام أبي عمران الفاسي الذى استفادت منه دولة المرابطين (94) وهو صاحب دعوة اصلاحية في المغرب الاسلامي كلّــه وكان يعرف قوة الصحراويين (95) .

ولا يخفى أيضا ما قامت به الرّبط في الجانب الثقافي في القرنين السادس والسابع

---

(93) ـ عبد العزيز بن عبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ، ص64 .
(94) ـ أنظر: Abdelmadjid Dori, l'Afrique à l'époque Ziride (Histoire de la Tunisie au moyen âge) S.T.D. P300
(95) ـ المرادى ، كتاب السياسة ، ص11 .

الهجريين خاصة رباطات أولاد أمغار الصنهاجيين في تيط و مولاى بو شعيب في آزمور و أبي محمد صالح المصمودى في آسفي واصحاب رباط شاكر ورباط تينمل دار الموحدين وأهل مدينة العباد قرب تلمسان حيث مدفن أبي مدين الغوث وفي ميدان تثقيف الجماهير المغربية و نشر تعاليم الدين القويم ولغة العرب في مجاهل الاطلس و الصحراء (96) و بذلك نقول : أن أربطة طرابلس الغرب البحرية التى أسست لحماية الثغور من هجمات الأساطيل البيزنطية و الأربطة الصحراوية لحماية الثغور البرية من هجمات السودانيين لم تكن حصونا دفاعية أو هجومية فحسب ولم تكن منطقة أمان و سياج حراسة ليس الا بل كانت نبراس اشعاع العلوم العربية و الاسلامية و مراكز بث شديد للثقافة العربية الاسلامية (97) ، كما ساعدتها المحطات التجارية و العواصم الصحراوية الثقافية في آداء هذه الرّسالة التى هي غدامس وغات وجنّات وتنمبكو شنقيط وقاو وغيرها بالجنوب من خليج السّرت الكبير الى خليج غانة عبر الصحراء الكبرى (98) وهذه المدن كا ذهب الى ذلك المؤرخ عثمان الكّعاك هي في الأصل مجرد أربطة صحراوية تولدت من الأربطة الكبرى وعلى مسافات

---

(96) — بنعبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ، 64 .

(97) — الكّعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، 119 .

(98) — نفســــــــــه ، ص119 .

متوالية حتى صارت مشابك من مدائن العلم تشكل مراكز ثقافية بالصحراء على غرار رقعة الشطرنج (99) فالحركة العلمية (الرباطية) بدأت بطرابلس الغرب وغربت حتى اخترقت الصحراء الى غانة وهذه الاربطة أصبحت معالم الثقافة والرواية مما أعطى للمغرب الاسلامي ثقافته العربية الاسلامية (100).

والرباط مدرسة ثانوية والتعليم به هو شرح لأصول التعليم بالكتـــاب فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، وكتب الفقه وشعر المواعـــظ التي تسمى (الرقائق) والتي تعقد لها مجالس خاصة في يومي السبت و الخميس من كل أسبوع (101) ولا يخلو الرباط من أناشيد دينية تسمى العادة والعمل ،فأما العادة ،فهي أناشيد متحدة بين جميع الأربطة أصلها بيزنطي كما يقول عثمان الكعاك (102) وهي التي تولدت منها أناشيد الصوفيـــة

---

(99) ـ يشبه المؤرخ التونسي عثمان الكعاك الأربطة في بلاد المغرب الاسلامي برقعة الشطرنج فهي متكاملة متشابكة أنظر: المرجع السابق ، ص120.

(100) ـ بل نذهب أبعد من هذا الى أن الربط والاسلام أيام المرابطين هو الذي نفذ بلاد السودان الغربي وأصبحت اللغة العربية لغة التعليم في معاهد المدن السودانية كتمبكتو وجني ولغة التأليف في المواضيـــع الفقهية والتاريخية أمين توفيق الطيبي ،الحضارة العربية الاسلامية وأثرها الايجابي في السودان الغربي (دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس) المرجع السابق ،ص ص 302ـ 303.

(101) ـ عثمان الكعاك ،مراكز الثقافة في المغرب ،ص18.

(102) ـ نفســـــه ، ص18.

رأمّا العمل فأناشيد خاصة بكل رباط أو بمجموعة من الأربطة (103) .

ويبدو أن سلوك المرابطين قد يتغير من حين لآخر ولهذا نجد الدّعاة المصلحين يتصدون لهذه الانحرافات التي تخرج الرّباط عن رسالتها الاسلامية والثقافية ، ومن الانحرافات التي غرق فيها بعض المتصوفة ماكان يجري في (حضرة المرابطين) من بكاء وتمزيق للجيوب وغيبوبة وهذا حينما تــدرج الرّباط رويدا رويدا نحو التّصوف السلبي حتى ان أحد الاطباء أظهر في أحد كتبه أن من أسباب مرض (المالنخوليا) التزمت الرّباطي وجدب البكائيــــن المتخوفين من عقاب الآخرة أو فوات ثوابها على الأزل ، لهذا ظهرت حركة رباطية مضادة لهذا الانحراف وانبرى لها المصلح الرّباطي يحي بــــن عمر (104) الأندلسي تلميذ سحنون ودفين مدينة سوسة فألف كتابا ضد الرّدائق) (150) ويحي بن عمر هو الأول من المرابطين الذين كتبوا عــن تاريخ الأربطة (106) وتبعه تلميذه يوسف بن مسرور الذى ألف في الأهمية

---

(103) ــ عثمان الكعّاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص18 .

(104) ــ يحي بن عمر من مواليد 213هـ/ 828م ، موطن الأندلس مسقط رأسه ثم اختار تونس مكان تعلّمه ذكر ابن الجزّار القيرواني الطبيب أن ليحي بن عمر نحو الأربعين مصنف ومن هذه الكتب : كتاب النساء ، الرد على الشكوكية ، الرّد على المرجئة ، وكتاب أحمية الحصون ، فضل المنستير والرّباط (مسجد السبت) توفى بسوسة عام 289هـ/ 902م أنظر عنه ح ح عبد الوهاب ، ورقات ج1/ ص129 .

(105) ــ عثمان الكعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، 121 .

(106) ــ معالم الايمان ج3/ ص235 .

كتابا وما يجب على سكان الحصون أن يعملوا به فكان سكان الحصون يخضعونه لذلك و يؤذونه .

وعلى هذا الاساس حافظ علماء الرّباط على الجهاز الثقافي المنسجم الموحد الذي عرفه الاسلام ، فهو أداة تعليمية كاملة الجدّة المعنوية و المادّيـــة و التربويـــة تعمل طيلة وجود الفاتحين في المغرب و بلاد السودان لنشر العربية و الاسلام (107) وصارت الصحراء بفضل المرابطين وحركتهم الدينية و الثقافية مركز الاهتمام الا أن رباط حوض السنغال الذى كون نخبة متوسطة من الدّعـــاة عاجز عن تكوين الاطار الاسلامي العالي فوجب توسيع حركة الرّباط الثقافية التي تأسيس جامعة على أبواب الصحراء - أى في مدينة مرّاكش - لتقوم مقام الجامعـــة اليوم بعد الدراسة الثانوية في الرّباط .

لهذا ظهرت الجامعة اليوسفية+ سنة 514هـ/ 1120م على أشهر الاقوال فعززت هذه الجامعة الجديدة جانب جامعة القرويين الادريسية بفاس وجامعة سبتـــة الادريسية (108) لأبي بكر اللمتوني كشخصية كبرى الفضل في نشر الثقافـــة العربية داخل السودان و بث الثقافة الرّباطية . تشييد العواصم الثقافيـــة

(107) - عثمان الكعّاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص37 .

+ - هي الجامع الكبير بمراكش أمام مسجد الكتبيين الذى كشفت عنه الحفريات احتاج له يوسف بن تاشفين ليجاري جامعة قرطبة وفاس ، نفسه ، ص47 .

(108) - عثمان الكعّاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص47 .

في تلك الاصفاح النائية .

وبفضل هذه الحركة الثقافية للرباط أصبح عصر المرابطين من أزهى الفترات التاريخية في الثقافة والعلم ورغم ما عرف عن حكام المرابطين من بساطة في العيش والثقافة فانهم شجعوا على نشر العلوم وقربوا الفقهاء فازدهرت على أيديهم العلوم الشرعية وعلى الرغم مما عرفته الاندلس من فوضى وما وصف به عهد يوسف بن تاشفين من ركود في الحياة الادبية ومن هذا ينطلق المستشرق ((دوزي)) في تحامله على المرابطين ويظهرهم بمظهر البدو الجفاة الغلاظ الذين أشاعوا في البلاد جوًّا من التعصب حتى أقفرت سوق الادب وكسدت بضاعته وأما تفسيره لاستخدام المرابطين أعلام كتاب ديوان الانشاء فيرى أنه طلبا للعيش وانحط لذلك الذوق الأدبي وهام الشعراء على وجوههم (109).

فاذا استثنينا العلوم الفلسفية (110) نقول أن وصف عصرهم بالجهل والظلام

---

(109) ـ حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ، ص443-444 .

(110) ـ عانت الفلسفة والتفكير الحرفي عهد المرابطين لاسباب ، منها توقف الفقهاء المتسم بالقسوة مما سبب تحديدا للفكر الحر وللحرية الفكرية فاصبح كل متفلسف مهددا بالتكفير أو النفي أو القتل ومع هذا عرف عصرهم أبا الحسن بن جودى 530هـ/ 1136م الذى تحوّل فيما بعد الى قاطع طريق ، ومالك بن وهيب اهـ الفلاسفة في الاندلس وابن باجة الذى استوزره يحي بن تاشفين لمدة عشرين سنة أنظر: عبد الواحد المراكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص172 ، يحي هويدى تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية الجزء الأول ، ص203 وما بعدها ، الشبيبي ، أدب المغاربة والأندلسيين ، ص64 .

يعتبر ظلما لهم واجحافا وبعدا عن الدراسات التاريخية النزيهة ونرد على دوزي وغيره بقول عبد الواحد المراكشي الموحدي النزعة والهوى، يقول عن عهد علي بن يوسف: (ولم يزل أمير المسلمين من أول امارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك) (111) .

كما شجع الرباط الحياة الادبية والعلمية، فهو اذن معهد ديني وعلمي بالاضافة الى هذه المهمة التربوية، فان الربط في المغرب الاسلامي عبارة عن معاهد لصناعة الحبر والرق والكاغد لتوزع على الطلبة بالمجان و دار استنساخ للمصاحف ومجاميع الحديث وكتب الفقه (فالمؤلفون يحبسون تصانيفهم بخطوط أيديهم على الاربطة لتكون منها النسخة الام التي يرجع الى نصها الصحيح وتقابل عليها النصوص المنتسخة ويتولى المرابطون النساخون استنساخها لمكاثرة عددها وتوزيعها على طلبة العلم احتسابا) (112) لهذا كان كل رباط يحتوي على مكتبة جدارية مفرغة في طاقات من الحائط بها النسخ الام (ونجد مثالا للمكتبة الرباطية برباط المنستير وهي غرفة كبيرة حولها مصاطب مبنية يجلس عليها المطالعون وفي جوانبها طاقات مفرغة بالحائط على غرار مكتبة

---

(111) ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 173 .

(112) ـ عثمان الكعاك، مراكز الثقافة في المغرب .

لمبيز الرومانية بالجزائر) (113) توضع فيها المخطوطات ، ولما كان عدد الاربطة ألفا بالمغرب فقد كانت هناك ألف مكتبة ، و هذا ما يفسر كثرة المخطوطات الاصلية في الثقافة العربية على خلاف كتب اليونان و الرّومان (114) .

و تشجيع التأليف (115) وجمع الكتب ظاهرة طيبة عرفت في عهد المرابطين و بفضل تعاليم الرّباط التى أشاعت الدين الصحيح و العلم فتحول هؤلاء القوم الجفاة الغلاظ الى حماة لحضارة الاندلس و مجاهدين فى الاسلام (116) .

و في عهد الموحدين استطاع ابن تومرت بمنهجه التّربوى أكمال رسالة الرّبط التى بدأها المرابطون وان طوّر المهدي بساطة التعاليم الرّباطية جاعـــلا من علم الكلام وعقيدة التّوحيد أساس الثقافة الموحدية ، و الخلفية الثقافيـــة للدعوة الموحدية كانت كسابقتها المرابطية ثقافة عملية فهي تعكس سلوك الفرد الموحدي الذي أصبح يعيش الدّعوة الجماعية حيث أن رباط تينمل كوّن الائمّة

الرد الثقافي

---

(113) ـ عثمان الكّعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، 17 .

(114) ـ نفســـه ، 17 .

(115) ـ شجع أمراء المرابطين العلماء فهذا ابراهيم بن يوسف الذى جمع في حضرته الفيلسوف ابن باجة و الاديب المؤرخ بن خاقان فألف له الفتح (قلائد العقيان) و العلاء بن زهر ألف له كتابا في الطب و يوسف وولده على لهما حظ عظيم في تشجيع العلم .

(116) ـ أنظر: Georges Marçais, La Berbérie musulmane et l'orient au moyen age, édition montaigne PARIS 1946. P232.

الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (117) ، والثقافة الموحدية هي الاخرى ترسخ الطبقية والتخصص في التكوين وحينما نستعرض المؤسسات الثقافية الموحدية التي انبثقت عن رباط تينمل ندرك ثقافة كل قبيل موحدي على حده (118).

وحاول الموحدون اعطاء المغرب الاسلامي بعدا ثقافيا مستقلا عن الشرق فرغم ثقافة المهدي الاصلاحية الجديدة المتأثرة بفكر الغزالي فان وظائف المهدوية ليست شيعية بأتم معنى الكلمة وفاطمية اسماعيلية الكلامية ليست اشعرية بحته لهذا أخرج ثقافة مغربية من اجتهاده وهو أعظم حدث وقع في عهد الدولة الموحدية (119) وهو ما عكس موقف الدولة من المشرق حتى كان المنصور الموحدي يعتزم على فتح مصر وقد [...] أبو يوسف يعقوب للموحدين بالرّحلة الى الشرق بعدما كانت تحاول دولته التقليل من رحلات الحجيج وكان يذكر البلاد المصرية وما فيها من المناكر والبدع ويقول: نحن ان شاء الله مطهروها (120).

ووفّر الموحدون لأتباعهم شروط النّهضة حتى أنه لم يسبق للفكر العلمي أن

---

(117) — الكعّاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص51 .

(118) — لقد فسرها واستعرض أسسها بشكل جيد - المؤرخ التونسي عثمان الكعّاك - وللمزيد أنظر: الكعّاك مراكز الثقافة في المغرب ص ص 50—57 .

(119) — علام الدولة الموحدية بالمغرب ، 277 .

(120) . ولد داداه ، مفهوم الملك في المغرب ، ص174 ، عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص284 .

تحرر بالمغرب الاسلامي كما وقع في عهد الموحدين (121) (ورغم ما أظهره المنصور في موقفه ضد الفلاسفة فان هدفه الاساسي هو ضمان التّوازن بين المعقول والمنقول باعتبار أن هذا التّوازن هو أساس نجاح كل تجربة علمية لأن النّظر الذى لا يعززه الواقع لا يمكن أن تدعمه قاعدة راسخة) (122)

وأصبحت مصنفات روّاد الفلسفة والجغرافية والفلك والطب مرجعا لرجال القرون اللّاحقة، لذلك عرف المغرب الموحدى أزهى عصوره في تشييده للمدارس المتخصصة، وهي ليست كمدارس المشرق ومدارس المغرب التى ستظهر في العهد اللّاحق (123) وانّما هي مدارس للدعاة والموظفين الموحدين وهي تساير نزعة الدولة الجديدة وترضي برامجها وثقافتها فهناك المدرسة العامة لتخريج الموظفين والمدرسة الملكية لتعليم الامراء ومدرسة تعليم فن الملاحة بمدينة الرّباط ولعل هذه الاخيرة هي الاولى من نوعها في العالم الاسلامي (124) والجدير بالملاحظة أن العهد الموحدى قد ظهرت فيه الزاوية لتخلف الرّباط في مهمته الدينية والتعلمية لهذا أصبحت مؤسسة مستقلة بمريديها وتعاليمها ومن ذلك الحين تضاءل الدّور الثقافي للرّباط كما تضاءل دوره العسكرى أيضا .

ويمكن أن نستخلص من هذه المنافسة بين الرباط والمؤسسات الاخرى الزّاوية والمدرسة والمساجد الجامعة، كيف انزوى الرّباط على نفسه بل تحولت غالبية هذه الرّباط الى مأوى للصوفية وتحول هؤلاء عن تعليم الرّباط البسيطة الى التّصوف

(121) عبد العزيز بنعبد الله الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب (مجلة الدّارة) العدد الثالث السنة الخامسة السعودية مارس 1960 ص 59 .
(122) ـــــــــــ ، 59 .
(123) عثمان الكعاك مراكز الثقافة في المغرب ، 54 .
(124) نفسه ، ص 55 .

الفلسفي الذى تشبع بالتعاليم الاغريقية والهندية والفارسية ، وهذا بعد أن أوجد الرّباط تقاليد علمية حاربها الموحدون ووصفوها بالسطحية لهذا اختلف دور الرّباط بين عهدي المرابطين والموحدين في تكوين ثقافة الانسان المغربي فأولا ول كان عبارة عن مدسة ثانوية والثاني أرادوا تطويره ليقوم بمهام المؤسسة الخاصة بالدعوة وبمثابة الجامعة في عصرنا ، وأما أعلام الرّباط وأقطاب الظاهرة الصوفية في المغرب والأندلس في عهد المرابطين ثم من بعدهم الموحدين نذكر: —

أولا : وجـــاج بن زللّو اللّمــــطــي :

رغم أن وجاج بن زللّو حلقة ذهبية متينة في نشأة الدولة المرابطية ومع هذا فانّه كتلميذه = عبد الله بن ياسين = لم يحضى باهتمام كبير من طرف أصحاب التراجم وكتب الطبقات ، وكل ما نعرف عنه أنه من السوس الاقصى هذه البلاد التى تقع بين جبال الاطلس العتيدة والصحراء وهي عوائق أمام نهضــة علمية تعرفها هذه المنطقة .

ولا نعلم ان كان لوجاج بن زللّو رحلات أندلسية وحجازية ومشرقية على غرار أهل الأندلس والمغرب يوم كانت الرّحلة من مصادر ثقافة الانسان المغربي وما تذكره المصادر سوى أن وجاج هذا هو أحد تلاميذ الدّاعية الرّباطي أبـي عمران القاسي الذى استقر به المقام في القيروان وكانت له امامة العلم فـي ذلك الوقت ، فتلميذ أبي عمران رحل الى فاس بعد دراسته الأولى في الكتاب و

الثالوث البنّاء (أبو عمران الفاسي ، وجاج بن زللّو اللمطي ، عبد الله بن ياسين الجزولي) هو محور القيروان نفيس رباط السنغال الذى حقق (الانقلاب الاسلامي) الذى كانت تدعو اليه كتب المالكية وعلماء الاسلام ، وكتاب أبي عمران الفاسي الى وجاج الذى يقول فيه: (أما بعد : اذا وصلك حامل كتابي هذا وهو: يحي بن ابراهيم الجدّالي فابعث معه من طلبتك من تثق بعلمه ودينه وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الاسلام ويفقههم في الدّين ، ولك وله في ذلك الثواب والاجر العظيم ، والله لايضيع أجر من أحسن عملا) (129) .

وكتاب أبي عمران هذا هو نقطة البداية نحو التغيير ، ثم أحسن أمير دار المرابطين وجاج بن زللّو اختيار الفقه السلفي الثّائر ابن ياسين ، ولما اضطهد هذا الفقيه في ديار الملثمين وخرج من عندهم الى جزيرة عند نهر السنغال ، غضب وجاج أشد الغضب وهو الشيخ الموقر عند صنهاجة والمصامدة وغيرهم من القبائل فقد كانوا يزورونه ، ويتبركون بدعائه ، واذا أصابهم قحط استسقوا به (130) حينها كتب وجاج الى رجال جدّالة أن من خالف ابن ياسين فقد خالف الجماعة، والجماعة عند المسلمين كلمة رهيبة ، إنّها تمثل الكيان الاسلامي، ففيها آمال وآلام المسلمين لذلك حين أعلن الشيخ وجّاج وهو في قمّة مجده وبهائه الديني والأخروي صرخته للقبائل (131) حينها عرف الناس أنّهم أمام أمر عظيم وأن لهذا الصّرخة صدى عظيما فتلقفها ابن

---

(129) ـ ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص123 .
(130) ـ ابن الزيات التّادلي ، التشوف الى رجال التّصوف ، ص66 .
(131) ـ المرّادي ، كتاب السياسة ، ص15 .

من المرجح أنه درس في قصبة المغرب الاقصى تمارت التى كانت تعج بالعلماء في القرن الرابع الهجري (125) وبعد أن رحل استاذه الى القيروان لحق به لتوسيع مداركه ((وقد أخذ وجاج من أستاذه علما كبيرا وتأثربه في دعوته الاصلاحية ثم اتفقا على أن يعود الرجل الى بلده نفيس وأن يقيم رباط هناك (...) ونجح وجاج نجاحا كبيرا اذ أقبل عليه العدد العديد من الطلبة و من العجب ولاشك أنه باتفاق مع ابي عمران الفاسي أنه سمى الدار التى بناها بالسوس(دار المرابطين)) ، (126) ، فقد كان عابدا زاهدا يدعو النّاس الى الخير عن طريق الامر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، واتبع أستاذه في الاصلاح ماذ غرس في بلاد نفيس ثمرة طيبة ، فكون الحلقات أو المراكز العلمية وهي في حقيقة الأمر معاهد لتخرج الدّعاة يطمحون الى التّغيير والدّعوة الى تجديد عهد الاسلام بين الامّة والدعوة الى الجهاد ، وهذا لاثارة دواعي الحماس الدّيني في النّاس فقد عمّل وجاج بن زللّو على تنشيط الدّعاة في دار المرابطين فأصبحت خلية لقراءة القرآن الكريم وتفسيره ، والحديث وأصوله وروايته والفقه على مذهب الامام مالك و فروعه والزّهد في الدّنيا والتفرغ للعبادة (127) وهذا المصلح السوسي هو الذى كوّن الدّاعية عبد الله بن ياسين ، منشئ أعظم دولة في تاريخ الاسلام دولة تمكنت من القضاء على الفساد المستشري في غرب العالم الاسلامي (128) وكان

---

(125) ــ المرابدي ، كتاب السياسة ، 12 ، ابن الزّيات ، التشوف ، ص 66 .
(126) ــ نفسه ، ص 11 .
(127) ــ ابراهيم محمد الحمل ، الامام عبد الله بن ياسين في رباط السنغال ص 250 .
(128) ــ المرادى ، كتاب السياسة ، ص 12 .

ياسين وصحابته وأنطلقوا منها التغيير ، وبهذا يكون أمير دار المرابطين وجاج بن بن زللو أحد علماء التعاليم الربانية بمسية أستاذه أبي عمران الفاسي أحد المؤسسين الاوائل لهذه الحركة وهذا حتى وان لم يخرج هو عن منهجه ومنطلقه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا شك أن ابن ياسين يدرك تمام الادراك النقص الذى تعاني منه دار المرابطين فأكملها بانشائه (مدرسته الدينية والدينية برباط السنغال) فحققت الآمال الاصلاحية التي من أجلها قامت رسالة الداعية أبي عمران الفاسـي و تلميذه وجاج السوسي ، ولا تكاد تسعفنا النصوص لمعرفة ان كان وجاج قد عاصر انتصارات تلميذه ، وهل عارضه في منهجه كما فعل الاندلسي : أبو عبيد البكري .

+ ثانيا : ابن العريف الطنجي 536هـ/ 1142م .

هو أحمد بن محمد بن يوسف بن عطاء الله الصنهاجي أصله من طنجة يكنى أبا العباس ويعرف بابن العريف (132) من أهل المرية ، سمع ابن بشكوال وأجازه (133) وكان متناهيا في الفضل والدين منقطعا الى الخير حتى التف حوله الزهاد وحمـــدوا صبته وكان ابن العريف من الفقهاء والمحدثين والقراء المجيدين (ثم غلب عليه الزهد والورع والايثار مع الاقلال فأصبح علما من أعلام المتصوفة وأحد رجال الاخلاق العالية ، وكانت بينه وبين القاضي عياض اليحصبي مخاطبات معلومة ، ومكتبات مستحسنة (134) وكانت أفكاره تثير شعورا غريبا لدى المتصوفة الذين جاءوا من بعده وكتابه

---

(132) ــ ابن الزيات التادلي ، التشوف الى رجال التصوف ص 95 وما بعدها .
(133) عباس بن ابراهيم المراكشي الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام الجزء 1/ ص 164 .
(134) ــ ابن بشكوال كتاب الصلة جـ1/ 81 .

المسمّى (النفائس ومحاسن المجالس وشبكة الالباب وملاطفة الاحباب) الذى يختصره بمحاسن المجالس هو الذى يحمل أفكاره في التصوف (135) وقد اعتنى بـ. وعلق عليه حجّة الاستشراق الاسباني الأب آسين بلاسيوس (136) .

وقد كانت غايته من تأليف كتابه المذكور هو التّسهيل على المريد صعوبـــة طريقة وتشيد للمراد وعالم صدقه وتحقيقه (136) .

وتصدّر ابن العريف للتدريس في مدينة المرية وسرقسطة كما وُلّي الحسبة ببلنسية ولما كثر أتباعه حسده الفقهاء على ما كان يتمتع به من نفوذ روحي لدى العامّة فسعوا به على بن يوسف الذي استقدمه الى مرّاكش، وقد سبقتـــه شهرته الى المغرب وبعدها أطلق الامير سراحه اذ لم يثبت عليه ما يستوجب عقابه وتوفي بعد حين بمراكش سنة 536هـ/ 1142م فندم أمير المسلمين على ابن يوسف على فعلته وربما كان سبب موته أن أمير المسلمين قد أمر بدسّ السمّ لـــه (138) وهو ما لا يمكن أن يفعله هذا الامير الذى يقول عنه عبد الواحد المرّاكشي (كان حسن السّيرة جيد الطّوية نزيه النّفس بعيدا عن الظلم كان الى أن يعدّ في الزّهاد والمتبتلين أقرب منه الى أن يعدّ في الملوك والمتغلبين) (139) هذا مع اشتهاره بحب أهل العلم والدّين ، وابن العريف هو أول من صنف في التّصوف وأحوال الصوفية ومقاماتهم بحسب تعاليم الامام أبي حامد الغزالي (140) وقد

---

(136) ـ محسن جمال الدين مما أسهم به المستشرقون الاسبان في الدراسات الاندلسية الاسلامية (مجلة المورد) المجلد 9 العدد 4 العراق 1980 ص440 .
(137) ـ أنظر: Ibn Al Arif, Mahasin al magalis. P75
(138) ـ أنظر: ibid. PP 6-7.
(140) ـ الفرد بل ، الفرق الاسلامية ، ص380 .

وقد خلّف ابن العريف طبقة من المريدين أشهرهم صديقه ابن برجان أحد متصوفة قرطبة الذي كانت له هو الأخر محنة مع أمير المسلمين بعد الحسد و الوشاية من حاشية الامير من الفقهاء فقدم على السلطان غير أنه هرب الى جزيرة ميورقة حيث توفي في نفس العام الذي توفي فيه ابن العريف وقد كانت لهما مراسلات طريفة في العلم و التّصوف ، تنم عن صداقة كبيرة (141) .

وأبرز المريدين الثائر ابن قسيّ الذي ثار سنة 1141م في رباط شلب وفرض على منطقة الغرب الاندلسي دولة المريدين طوال عشر سنوات الى أن قتل في سنة 545هـ/ 1151م تاركا لنا ثورة المريدين الفاشلة التي قضى عليها الموحدين (142) ويلاحظ أن حركة التّصوف قد ازدهرت أيام الموحدين اذ عاش كبار المتصوفة المغاربة في عهدهم (143) .

ثالثا : أبو مدين شعيب الأندلسي : 594هـ/ 1198م

هو شعيب بن الحسن الأندلسي أبا مدين و يعرف بالغوث الاندلسي البجائي (144) وفي بعض التّراجم الاندلسي التّلمساني (145) ولد بضواحي اشبيلية

---

(141) ـ أنظر: R.P. Paul Nuria, notes sur quelques fragments inédits de la correspondance d'Ibn al-Arif avec Ibn Barrajan (Hespéris) 1956. PP 217-221

(142) ـ الفرد بل ، الفرق الاسلامية ، ص380 .

(143) ـ أمين توفيق الطيبي ، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1984 ص262 .

(144) ـ مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ص164 .

(145) ـ خير الدين الزّركلي ، الاعلام ج3/ ص166 .

سنة 520هـ/ 1126م (ق 145) توفي والده وهو حدث، فكفله اخوته، وانتقل الى المغرب الاقصى لطلب العلم في حواضره المرابطية العامرة، طنجة وسبتة ومراكش وفاس، فدرس علوم الغزالي بواسطة العالم المحقق أبي الحسن علي بن حرزهم الفاسي (147) والعلامة أبي الحسن بن غالب، كما اتصل بالوالي العارف بالله صاحب المناقب أبي يعزى يلنور بن سليمان (148) وغيرهم من الافاضل حملة العلم والتصوف .

قام برحلة الى المشرق فأدى فريضة الحج، وهناك اتصل بالشيخ عبد القادر الجيلاني، فقرأ عليه الحديث وألبسه خرقة الصوف، وكان يفتخر بصحبته وبذلك تمكن أبومدين الأنصاري من أن يجمع بالمغرب والأندلس والمشرق تعاليم كبار الصوفية و بعد عودته ألقى عصا الترحال ببجاية الناصرية، وفيها تكاثر أتباعه حتى خافه السلطان أبو يعقوب المنصور الموحدي فوشي به رجال بلاطه، ويبدو وأن شعبيته = وليستخلفته = هي التي حملت السلطان على اضطهاده، فقد أرسل اليه وأتي به مكبلا بالحديد وهو شيخ طاعن في السن، تجاوز الثمانين وربما رغب المنصور اختباره فأمر بحمله اليه مع

(146) – اذا صدقنا المصادر التي تقول: انه تجاوز ثمانين سنة فمعناه أنه من مواليد 514هـ وأما مخلوف فيقول: انه توفي عن عمر يناهز 85سنة هذا معناه أنه من مواليد 509، وعلى الارجح أنه من مواليد 510هـ انظر: مخلوف، شجرة النور الزكية ص164 الزركلي ، الاعلام ج3/ ص166 .

(147) – من نسل عثمان بن عفان وأحد كبار أعلام المغرب توفي عام 559هـ أنظر: ابن الزيات التادلي ، التشوف الى رجال التصوف، 171، مخلوف شجرة النور الزكية ص162 وما بعدها .

(148) – هو الصوفي الكبير أبي يعزى يلنور صاحب المناقب الطيبة والأخلاق العالية كان الناس يفدون اليه من جميع أنحاء المغرب والاندلس توفي 572هـ أنظر: ابن الزيات التادلي ، التشوف الى رجال التصوف، ص195 وما بعدها .

الاعتناء به فأساء عماله التّصرف معه ،حتى اذا وصل تلمسان اشتدّ عليه المرض فمات سنة 594هـ/ 1198م ودفن برابطة العباد (149) .

(وكان يقول : كرمات الاولياء نتائج معجزاته صلى الله عليه وسلم وطريقتنـــا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده الى الجنيد ، بسنده للحسن البصري عن علي عن النبّي صلى الله عليه وسلم) (150) والفضل الكبير الذى يسجله تاريخ الفكر الاسلامي لهؤلاء الرّجال هو وضعهم لأسس حياة روحية صادقة واقرارهم لمبادئ تفكير حرّ ملتزم دون خروج عن حدود التعاليم الاسلامية فهذا الصوفي الجليل أبو مدين الغوث كان يرى كالحسن البصرى أن المؤمن في الصلاة خاشع والى الرّكوع مسارع ،قوله شفاء وصبره تقى وسكوته فكرة ونظره عبرة ، يخالط العلماء ليعلم وسكت بينهم ليسلم ويتكلم ليغنم) (151) نجد ،كلّه اقبالا على الصوم والزهد والصلاة والتقشف والعبادة لهذا يعد من الزّهاد المتبتلين (152) ومن أقواله :

(بفساد العامة تظهر ولاّة الجور ،وبفساد الخاصة تظهر دجاجلة الدّين الفتانون) (153) وبهذا القول استوعب أحاديث الرسول المعروفة في هـذا الشأن ويلاحظ أن الغوث من أقطاب الصوفية ومن العلماء فهو (من أعلام العلماء وحفاظ الحديث جامع التّرمذى ،قائما عليه يلازم كتاب الاحياء وترد عليه الفتاوى في مذهب مالك فيجيب عنها في وقتها له مجلس وعظ يتكلم فيه على النـــــاس)

---

(149) ـ الشّيال ،أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي ،ص164، التادلي التشوف الى رجال التصوف ، ص317 وما بعدها .

(150) ـ أبو القاسم الحفناوى ، تعريف الخلف برجال السلف ،الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة (القسم الثاني) بيروت 1982 ص182 .

(151) ـ توفيق بن عامر ،دراسات في الزّهد والتّصوف ، ص 90 .

(152) ـ له كتاب بعنوان (مفاتيح الغيب لازالة الرّيب وستر العيب) أنظر معالم الايمان جـ3/ ص210 .

(153) ـ الحفناوي ، تعريف الخلف ، ج2/ ص186 .

(154) وأقوال وحكم هذا الزاهد تشكل فهمه للاسلام والاخلاق الاسلامية ومناقبه معلومة وان شرّه العوام طريقته في الزهد والصفاء الروحي ومن تعاليم أبي مدين الغوث استمد عبد السلام بن مشيش (155) تعاليمه وعنه أقدها أبوالحسن الشاذلي الذى أسس طريقته التي تعرف لوقتنا الحالي (156) .

رابعا : أبو العبّاس السبتّي : 601 هـ/ 1205م .

هو الولي الصالح العالم المحقق أحمد بن جعفر الخزرجي من مواليد سبتة سنة 524هـ/ 1130م، يكنى أبا العباس، أخذ العلم عن الولي أبي عبد الله الفخّار الذى تكفل بتعليمه القرآن والاحكام ثم قصد مراكش، وهناك أظهر مذهبه الاصلاحي الذى ينطلق من الصدقة والاحسان (157) وقد مدحه أحد المعاصرين (158) فقال:

(أعطي بسطة اللّسان وقدرة على الكلام لا يناظره أحد الّا أفحمه) (159) .

وفي عهد أبي العباس السّبتي قويت الحياة الرّوحية ونشط التصوف وكثر المتصوفة فقد أحس المجتمع المغربي بحاجته الى هذه الطاقة الرّوحية التي تعوضه عن

(154) ـ الخفناوى ، تعريف الخلف ، ص180 .

(155) ـ من سلالة الامام ادريس درس على ابن حرزهم والغوث بناحية غمات قتله الثائر الكتامي ابن أبي الطواجين عام 625هـ أنظر : ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ج 1/ ص323 (طبعة قديمة) .

(156) ـ من مواليد 593هـ/ 1197م باقليم غمات ، كان يعارض الصوفية في لبس الخرقة التي تظهر المريد في صورة الفقير ، وهو من المتصوفة الذين يدعون الى العمل أنظر: أخباره ، الشيال أعلام الاسكندرية ، ص162 وما بعدها .

(157) ـ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ 1/ 324 (طبعة قديمة)

(158) ـ مخلوف ، شجرة النور الزكية ص184 وأما هذا المعاصر فهو العلامة التادلي (أبو يعقوب بن يوسف بن يحيى) صاحب كتاب التشوف الى رجال التصوف .

(159) ـ مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ص184 .

المآسي التي بدأ يعاني منها في أواخر الدولة الموحدية لهذا لجأ المجتمع الاسلامي في المغرب الاقصى بالخصوص التى التدين بل أغرقوا فيه وفي العبادة والزهد لهذا نجد في كتب التراجم أن أقطاب التصوف كلهم تقريبا من جبل غمات والريق، وفي هذا الجو بدأ أبو العباس السبتي حركته الاصلاحية وهي أشبه بالدعوة الاجتماعية التي تنبني على تنازل الفرد عن ثروته للصالح العام واكتفائه بما يقيم صلبه ومعاشه (160) (فكان مذهبه رحمه الله ألا يترك لنفسه (ناضا) من المال الا قدر ما يقوته وعياله في يومه وباقية يتصدق به) (161) و هي دعوة للتكافل الاجتماعي السلمي وهي صورة مثالية لهذه الدعوة الاجتماعية استمدها أبو العباس السبتي من الدعوة الاسلامية.

وهذا من خلال ثقافته الاسلامية فهو الى هذا من حفاظ كتاب الله تعالى كان يتلوه ليلا نهارا .

وصاحب مذهبه الاصلاحي الاجتماعي دعوة الى تبسيط أصول الشرع والتي أرجع أركانه الخمسة الى الصدقة والاحسان ويحل ذلك على الصورة الآتية :

1- اذا كبر المسلم تكبرة الاحرام أثناء شروعه في الصلاة وقال الله أكبر فهو يقصد أن الله أكبر من أن نضن عليه بشيء وحينما رفع المسلم يديه للتكبير فانه يقصد بذلك أنه قد تخلى عن كل شيء من الدنيا ولم يحتفظ منها بشيء ويفسر الركوع بأنه مشاطرة للفقراء في الأموال (162) .

(160) ـ ابراديم حركات بالمغرب عبر التاريخ ج1/ 324 (طبعة قديمة)
(161) ـ نفســـه ،، 324.
(162) ـ نفســـه ،، 324.

2ـ (الصوم يقصد به أن يتحمل الصائم ألم الجوع الذى يكابده الفقراء فيتصدق عليهم) (163) .

3ـ الزكاة تؤدّي سنويا فيعتاد المرء بذلك إخراج المال باطّراد (164)

4ـ الحج يتجرد فيه المرء عن زينة الحياة الدّنيا و يلبس نعلين و يحلق رأسه و يتخلّى عن متاع الدّنيا فحاله تلك شبيه بحال الفقير ولو كان غنيا (165)

و بهذا التحليل الذي يعبر عن عبقرية و اعطاء الصدقة و الاحسان أبعادا اجتماعية مما جعل مذهبه فذا في اقناعه و جلبه للناس حتى أنّه يروى أن المنصور الموحدى تأثر كثيرا بما عرفه عن أبي العباس السّبتي فاستدعاه و امتحنه حتى أنّه قيل : انه بسبب العارف بالله أبي العباس هذا تنسّك المنصور و أحبّ الصوفية وسلّم الملك الى ولده النّاصر ، وكانت وفاة هذا الدّاعية المسلم بمرّاكش سنة 601هـ/ 1205م .

و خلاصة القول: ان تجربة التغيير في حركتي المرابطين و الموحدين الاصلاحيتين اعتمدت على تنزيل تعاليم الاسلام النظرية في الواقع اليومي لحياة الناس في جميع مظاهرها و هذا التغيير الذى انطلق من رباطي السنغال و تينمل يعتبر في المنطق الاسلامي جزءا أساسيا من حقيقة الدّين ، وبذلك أصبحت قضية تطبيق التعاليم الاسلامية في واقع الحياة مشكلة ذات شأن كبير في مجتمع المرابطين و الموحدين مما أحدث انقلابًا اجتماعيًّا في القرنين السادس و السابع الهجريين و

---

(163) ـ ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ج1/ ص325 طبعة قديمة .
(164) ـ نفسه ، 325 .
(165) ـ نفسه ، 325 .

وكانت حركة الاصلاح التى عرفها المغرب الاسلامي قد صدرت عن عزيمة مخلصة للضمير الاسلامي في تصحيح المسار التّاريخي لحيوية الدّين الاسلامي وقد ثبت بتلك الاعمال التى قام بها ابن ياسين ومن بعده ابن تومرت أنها تتسم بعنصر الاخلاص في حركة التغيير انطلاقا من الرّباط واعتمادا على الامر بالمعروف والنّهي عن المنكر وهذا لازالة الباطل واحقاق الحق وبهذا كانت حركة الاصلاح قد عالجت الواقع المغربي مما أعطى للمغرب الجيل الاسلامي المجاهد في بـلاد المغرب والاندلس حتى شبه العهد بعصر اليقظة أو الصحوة الاسلامية بحيث استوعبت حركة المرابطين ومن بعدها حركة الموحدين المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والدّينية للأمة الاسلامية وبلاد المغرب والاندلس بالخصوص والجدير بالملاحظة أن الزعيمين ابن ياسين وابن تومرت كل واحد منهما اتّبع أسلوبا معينا في توجيه جماعته المؤمنة نحو التغيير فصاحب دعوة المرابطين ابن ياسين قد وصف الانحراف العقائدى والفوضى السياسية بالرّدة عن المدّ الاسلامي الذى شمل المغرب في القرون الاولى ، لهذا كانت المحنة السياسية والدّينية التى كانت تعيشها بلاد المغرب أوائل القرن الخامس الهجرى مثّلت تحدّيا صارخا للرّوح الاسلامية التى كانت لها الغلبة التّامة على كامل المغرب والاندلس منذ القرن الثاني الهجرى والتى تنزع الى الوحدة السياسية تحت راية الاسلام عقيدة على الطريقة السلفية وشريعة على المذهب المالكي (166)

(166) ـ عبد المجيد النّجار تجربة التغيير في حركة المهدى بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن 6هـ) الطبعة الأولى مطبعة تونس قرطاج 1984 ص21.

وكان نجاح ابن ياسين في التّغيير من خلال رباط السنغال يعتمد على تيجان لمبادئ التغيير في القرآن الكريم التي تعتمد على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من جهة ، ومن جهة أخرى استوعب فلسفة التّاريخ في القرآن التي عرفته أن الجماعة الصالحة المسلمة التي تقود البشرية الى شاطئ الحضارة تتعرض للسقوط وتتعرض على مر السنين لامتحانات تصهرها كالنار التي تقضي على خبث الحديد وعرف أن التغيير الداخلي وتصديقه بالعمل الصالح هو الانطلاق نحو زيادة البشرية (167) وبذلك كون جماعة المرابطين بل نجح في تحقيق أهدافه الاسـلامية .

وأما مجتمع الموحدين فقد كانت وراءه شخصية فذّة متميزة المعالم تتقوّم بخصائص ذاتية نسجتها عوامل حياته الثّرية بالاحداث وتظافرت في بنائها الظروف التي أسهمت في تحقيق الحدّة والجدّية في طباعه وكان نضجه الفكري وايمانه العميق بتحمل مهمّة الاصلاح قد أكسبه خصالا قيادية أنضجتها التّجربة في الدعوة وأكسبته بعدا في الهمة وشدّة في العزيمة ، فكانت حركة الموحدين تعمل على ايجاد تجربة تجمع بين الفكر والعمل معتمد على الواقعية في التّجربة رغم المزالق التي وقعت فيها الدّولة وأبرزها ما كانت تسلكه في الحكم من أنموذج الملك الوراثي الذي

---

(167) - ان الحل والخروج من دائرة التخلف يكمن في ضرورة تكوين الفرد المؤمن برسالته في التاريخ ليكون عاملا فعالا في صنع الاحداث وليس مجرد كائن يعيش على هامش الحياة والحضارة الاسلامية حضارة متجددة وبهذا الصورة الحقّة للحضارة فهي تجمع الى جانب الجمع (جامعة) الانتشار والاستمرار والفعالية والتجديد أنظر: محمد عبد السلام الجفائري ، مشكلات الحضارة عند المالك بن نبي ، ص178، محمد فتحي عثمان ،القيم الحضارية في رسالة الاسلام ص25 .

يؤدي في كثير من الأحيان الى استبداد بالرأي وانعدام الشورى وأدّى فعلا في أواخر عهد الدولة الى التناحر على الامارة والملك مما عجل بسقوطها و انقراضها (168) .

وتبقى تجربة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم من التجارب الاسلامية الرّائدة في المغرب الاسلامي مما أكسب عصرهم مرحلة ذهبية قلّما حظي بها العالم الاسلامي .

---

(168) ـ عبد المجيد النّجار ، تجربة التغيير في حركة المهدي بن تومرت ص114 .

الفصـــــل الخـــامس

الرّبط والعمارة في عهدي المرابطين والموحدين

1ـ الدّور العمراني للرّبط

2ـ الخصائص المعمارية للربط المغربية والاندلسية

3ـ الرّبط المغربية الاندلسية وربط المشرق الاسلامي

4ـ الرّبط الاسلامية ونظام الرّهبانية والدّيرية المسيحية

1ـ الدّور العمراني للرّبط :

يحصل الاجتماع البشري الذي هو العمران عند ابن خلدون (1) بالتعاون والصورة المميزة للاجتماع والتّعاون الحضري بالخصوص يتمّ بالسياسة المدنية ، وفي مجتمع المدينة الفاضلة يتحقق النظام بظهور قوة قاهرة تنظم المجتمع وتحافظ على الشّريعة وتنشر الآداب والأمن ، لهذا فمعرفة خصائص المدينة الاسلامية هي التي تحدد الدّور العمراني للرُّبُط ، اذ اننا نلمس حقيقة واقعة أن انتشار الاسلام ، قد واكبته حركة عمرانية واسعة لا مثيل لها في بلاد فارس وبلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس فضلا عن مناطق أخرى تابعة للدولة الاسلامية في أوج ازدهارها (2) .

فظهرت الكوفة والبصرة وواسط والفسطاط والقيروان ، لهذا نجد العلماء يتناولون هذه المدن بالدراسة والتحليل فعرفّوا من خلالها بفن تخطيط المدن الاسلامية ، فمن النّاحية النظرية طرح الماوردي مسألة عمارة البلدان وحصرها في توفر المياه العذبة ومصادر الميرة وصلاحية البيئة والقرب من المراعي وغابات الاحتطاب وتحصين الموقع من الاعداء ، ووجود أرياف تحيط بها لتمدّها بالغذاء (3) ، وهذا عن موقع المدينة ، فأما تأسيسها فيشترط مراعاة بناء المساجد والاسواق

(1) ـ ابن خلدون ، المقدمة ، ص 540 .
(2) ـ جان لوي ميشون ، المؤسسات الدينية (المدينة الاسلامية) نشرها روب سرجنت ، ترجمة أحمد محمد تعلب اليونسكو 1983 ، ص 15 .
(3) ـ الماوردي ، في سياسة الملك (نصوص سياسية من كتاب تسهيل النّظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك) تحقيق رضوان السّيد ، الفكرة العربي) العدد 23 السنة الثالثة بيروت 1981 ، ص 21 .

وتسوير المدينة وتزيين السكان على مجموعات متجانسة ، وأن ينقل اليها العلماء وأهل الصناعات والامصار عند الماوردي نوعان ، مصر مزارع وسواد ومصر فرضة وتجارة وهو يفضل المدينة الزراعية ويشترط أن تبنى في وسط المنطقة الزراعية حتى تتساوى الطرق الموصلة اليها من جميع الأطراف (4) .

ولابن خلدون نظرات رائدة في الاجتماع البشري يحددها في أهل البادية وأهل الحضارة وقد سمت به أفكاره في هذا المجال الى ريادة علم جديد هو علم العمران ، والمدينة الاسلامية رمزها العمراني المسجد ، حيث تتجه أنظار المسلمين لأنّه مكان صلاتهم ومنطلق جهادهم ، لهذا فالعمارة الاسلامية قد ظهرت في أسلوب معماري يتناسب مع الظروف العقائدية الاسلامية والظروف المناخية ، وكانت العمارة الدينية هي المحور الاساسي في المدينة الاسلامية (5) ورغم الانقلاب العمراني في عالم المسلمين الا أنّه بقي المسجد تأثيره على توجيه اتجاهات الاحياء والمؤسسات الاقتصادية والثقافية الاخرى وهذا يعني أن كل الطرق تودّي الى المسجد ، رغم أن تخطيط المدن أو العمران قد سار في اتجاهين الاول عفوي أو طبيعي ، بمعنى أن المدينة كانت تتوسع وفق مقتضيات حاجة الناس وظروفهم وتقاليدهم وضمن ظروف البيئة والاتجاه الثاني عقلاني اعتمد على معطيات سياسية أمنية ودينية وطبقية وهكذا كانت بغداد على الاقل في عهد المنصور (6) ومراكش في عهد يوسف بن تاشفين (7) على أن العمارة

---

(4) ـ الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، تعليق محمد كريم راجح ، الطبعة الأولى دار اقرأ ، بيروت 1981 ، ص 26 ـ 27 .

(5) ـ عفيف بهنسي ، الفن الحديث في البلاد العربية ، دار الجنوب للنشر ، تونس 80 ، ص 122 . 123 .

(6) ـ نفسه ، 123 .

(7) ـ حسان عوض ، جغرافية المدن العربية على ضوء تطورها الديموغرافي ، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط 1964 ، ص 69 .

الاسلامية قد قدّمت الدليل على عبقرية المسلمين في تكوين أسلوب معماري يتناسب مع العقيدة والتصور الاسلامي كما رأى العقلية والحضارة المميزة للجماعة الاسلامية (8) وبنشوء المدن الاسلامية التي أصبحت مركز للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية أقيمت الاسواق وأنشئت المدارس والجامعات وكان تطور المدن انتقال الناس اليها واستقرارهم فيها أدّى الى اقامة الصناعة والتجارة ونمو الحياة الاقتصادية وباتساع المجتمع الاسلامي وتعدد ميادين الانشطة الثقافية والاقتصادية كانت الضرورة لتنظيم هذا المجتمع على أسس اسلامية تحول دون اضطراب الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فظهرت نظام مراقبة الاجانب الذين يدخلون المدينة كما عرفت المدينة الاسلامية نظام الشرطة ومن الطريف أن الادارة الاسلامية عرفت نظام مكافحة الحرائق وهذا بفرض المحتسب وجود أوعية كبيرة أمام الاسواق وفي المحال مملوءة بالماء (9) ه لاطفاء النيران .

هذه المدن الاسلامية ذات الوظائف المتعددة لها مكانتها المميزة في بلاد المغرب الذي هو في الاصل دار حرب يحتاج الى الدفاع عن المكاسب الاسلامية لهذا أسس ألف رباط على السّاحل من طنجة الى الاسكندرية لحماية الثّغور وحراستها ووقايتها من الصليبيين والغزاة الا أنه من حسنات هذه الظاهرة العسكرية الدفاعية أنها بمرور الزّمن تحولت غالبيتها الى مدن زاهرة وهو ما يفسر كثرة العمران والاستقرار بالسواحل ومن الامثلة الدّالة على ذلك مدينة صفاقس* بافريقية التّونسية فقد كان

---

(8) ـ محمد الباهي : مفهوم عملية التجديد الشاملة داخل غشاء معماري قديم (مجلة مجتمع وعمران) العدد الرابع تونس 1983 . ص 52 .

(9) ـ حسان على حلاق : الادارة الفعلية الاسلامية (المحتسب) الدار الجامعية بروت 1980 ص 13 .

* لفظة صفاقس من مصدر مغربي يعني ازار فاليس من المستبعد أن تعني لفظة صفاقس المدينة المسورة أو المدينة المحمية خلافا لما ذهب اليه بعضهم من أنها مركبة .../...

ابتداء أمردا محرسا من المحارس مبرجا في موقع قصبتدا الآن صتار مجلبة المسكان والتّجار حوله حتى أمر الامير أحمد بن الاغلب (242ـ249هـ/ 856 863م) ببناء سور من الطّوب على ما اجتمع من المساكن والفنادق والسّوق (10) وليس من المستبعد أن تكون القصبة الواقعة في الركن الجنوبي الغربي من السّور قد حلّت محل أحد الرّباطات التي كانت متسلسلة على سواحل افريقية (11) فقد ابرزت الترميمات التي جرت في القصبة معالم جامع يوجد بها فاذا هو من طراز الجوامع التي نجدها حول الرباط وكان منطلق المدينة فانها تطورت من حيث التخطيط العمراني بصورة تتماشى مع الخطيط المدن الاسلامية ولا يمكن أن يبتي عمرانها أساسه تجمعا عمرانيا عفويا بقي على ما هو عليه دون تجديد .

وعاشت صفاقس قورنا وسط ألذ غابة زيتون وأشجار مثمرة محققة بذلك نظرات الماوردي في بناء المدينة التي تجمع بين المدينة الزراعية والفرضة التّجارية حيث نستنتج أن صفاقس كانت منذ نشأتها الاولى تتعاطى التجارة يقصدها التجار من الأفاق بالاموال الجزيلة لابتياع المتاع والزّيت وأسواقها عامرة ومن زيتونهـــا أهل مصر وأهل المغرب وصقلّية كما كانت تتعاطى صيد السمك والفلاحة وصناعة النسيج (13) .

.../...

صفا : حسب الأسطورة المعروفة أرنسبة للملك النوميدي سيفاكس أنظر: علي الرزاري صفاقس سلسلة مدن العالم العربي ، دار الجنوب تونس 1980 ، صص 15ـ16 .

(10) ـ نفسه ص15 .

(11) ـ نفســه ، ص15 .

(12) ـ نفسه ، ص15 .

(13) ـ الادريسي ، القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ، ص181 .

ويتكون سور المدينة الاسلامية = صفاقس= من شرفات و محارس و رباطات و أبراج دفاعية وقد سكن هذه القلاع طيلة قرون علماء مرابطين جاهدوا في سبيل الله ، و تأخذ المدينة صورة مربع مستطيل طوله ستمائة مترا وعرضه اربعمائة مترا و هو مربع قلّما يوجد مثله في المدن الاسلامية و هو ما أعطى لمدينة صفاقس الاسلامية خصائص العمارة الاسلامية الخلّاقة ذات هندسة اسلامية ففي قلب هذه المدينة يقوم الجامع و هو معاصر للسور (14) هذا السّور الاغلبي الذي يمثل مربعا مستطيلا لا يشبهه سوى سور سوسة و هو على ما يظهر من بناء واحد و هندسة واحدة (15) و يتضح مما تقدم أن الرّباط الاغلبية كان لها دور عمراني جاء نتيجة لتعمير السكان مدائن الساحل للمكانة الاقتصادية و الدفاعية لهذه الثغور الافريقية .

و يتضح الدّور العمراني للرّباط أيضا في مدينة سوسة ، فرغم أنها مدينةفنيقية كانت تعرف باسم حضرموت فان سوسة في العهد الاسلامي يعود الفضل في ازدهارها العمراني ، الحيوي الى مكانتها الحربية كثغر من ثغور الدّولة الاغلبية فمنذ انشاء أبي هارون موسى من قبل ابراهيم بن الاغلب حصن سوسة مكان قصر الرباط الحالي بسوسة بقصد الدفاع عن هذا الجانب من الساحل ، من ذلك الحين تواصلت جهود أمراء دولة الاغالبة بدون انقطاع طيلة مائة عام لتمصير سوسة و تعميرها بالمعالم و المصالح الحربية و الدينية (16) و (لم يمض على تأسيس

---

(14) ـ علي الزواري ، صفاقس ، ص44 .
(15) ـ حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات جـ2/ ص41 .
(16) ـ نفســــه ، ص22 .

قصر الرّباط أكثر من ثلاثين سنة حتى تكاثرت المنشآت بسوسة وقد اتّسعت رقعة المدينة بتزايد عدد السكان من المرابطين ومن الجنود الحربيين الأسطوليين فضاقت حينئذ عمن يقطنها وتوفّرت ضرورياتهم وتنوعت) (17) وكان سكان سوسة أهل ديانة وورع وقرة ايمان ،فعمد الأمير أبو العباس محمد بن الاغلب نظرا لتلك الحال الى انشاء مسجد كبير يكون جامعا للخطبة وهذا سنة 236هـ/ 850م كما انشأ هذا الأمير في أعلى ركن من المدينة القصبة وهي المعقل الكبير المعد لاجتماع أهل الثغر من جنود الدولة (ووضعت هذه البناية على هيئة مدينة صغيرة ذات أقسام متّسعة وأجنحة فسيحة متّصلة ببعضها أو منفصلة ويحيط بالجميع جدار متين يلتحق بالسّور الخارجي) (18) لذلك ظهرت متانة سوسة الأغلبية كمدينة حربية لها قوتها البحرية بفضل الأسطول الاغلبي الذى نجح في فتح صقلية ،واستقر بها الفضلاء والعلماء الذين قصدوها من جميع أنحاء العالم الاسلامي من المشرق والمغرب والسودان الغربي (19) لأن المدينة من أعظم المعاقل الاسلامية التى انشئت في الساحل الافريقي لاسيما وقد اشتملت دائرتها على محارس دفاعية لا تعدّ اذ ما عرفنا الاعداد الكثيرة من المرابطين الذين عمّروها ولم يمض على تمصير سوسة الاغلبية أكثر من نصف قرن حتى أصبحت في صف المدائن الثغرية الافريقية الكبرى وفي عداد المشهور من المرافئ البحرية والأماكن الدّينية الهامة بفضل محارسها ورُبُطها .

---

(17) ـ حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات،ج2/ ص33 .
(18) ـ نفسه ، ، ص33 .
(19) ـ نفسه ، ، ص51 .

وبفضل هذا المجتمع بالاضافة الى عناصر مسيحية (20) وعدد من اليهود فانها كانت تمثل صورة العالم الاسلامي من حيث تعدد أجناسه واعقب هذا الجيل سلالة جديدة عدت من أبناء المدينة الاصليين اشتغلوا بالجهاد والعلم وفلاحة الارض وبناء الاساطيل وتجهيزها حتى غدت سوسة قبلة الغرب الاسلامي لما لربطها وعبادها من مكانة دينية عند المسلمين .

ومن الامثلة الحية على الدور المعماري والعمراني للمرابط في افريقية دائما نذكر مدينة المرسى التي تقع شمالي الشمال الشرقي لمدينة تونس، حيث يمتد رأس ينتهي الى البحر على مسافة خمسة عشر كيلو مترا في فضاء مدينة قرطاجة القديمة حيث انتشرت الربط والمحارس، ففي خليج تونس وعلى نقط هذا الرأس انتشرت هذه المحارس ولاسيما في جبل المنار وقد كانت المنطقة من قبل مدافن مشهورة للصالحين ومقصودة للمتبرك بالدفن فيها مثل سوسة والمستير (21) كما ورد في المناقب أن الشيخ محرزبن خلف (22) كان يقيم حول الحنايا الواصلة الى قرطاجة ويعتبر بالاطلال اعتبارا يفيض اشعارا بليغة في وصف هذه المعالم (23) ، (وعلى هذه السنن ورج رجال التصوف بعد الشيخ محرز، ففي القرن السادس جاء تلاميذ الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسن الاندلسي) (24) فاتخذوا الجبل

(20) ــ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات جـ2/ 53 .
(21) ــ الفاضل بن عاشور، ومضات فكر، الدار العربية للكتاب تونس 1982، ص270 .
(22) ــ هو محرز بن خلف دفين تونس توفي سنة 413 هـ من الصلحاء أنظر مناقبة وأخباره
Abu l-Tahir al Fārisi, Manāqib ... Muhriz b. Halaf ... introduction ... par H.R. Idris ... 1959 ... 89.
(23) ــ ابن عاشور، ومضات فكر، ص270 .
(24) ــ نفســـــــ ، ص271 .

الذي كان رأس قرطاجة مقاماتهم و منقطعا ، و استمر المرابطون على هذه الحالة يعمّرون محارس المرسى و يتبركون بالتعبد فيها و الدّفن بتربتها و النزول بروابطها الكثيرة الى أن عدة قرية جميلة ذات مكانة دينية هامة عند سكان تونس العاصمة لشدة زوارها من العلماء ولاضرحتهم ومزاراتهم الكثيرة (25) ولا تزال المنارة القديمة شاهدة وقد كانت خاصة بالمحرس و الرّباط وقد نوّة العلماء بالمرسى و محارسها وكيف تطورت في العهد الحفصي من النّاحية العمرانية بفضل الدّور الكبير الذى قام به الرّباط و المحرس في جلب العباد و المنقطعين الى هذه المنطقة ويظهر من خلال موقع المرسى المكان الهام الذى تربّعت عليه ، فهي في جوف عميق بين الصخور الحمراء لجبل المنار و رمال جبل قمرت ، تمتد الى الغرب وراء المشارف العليا القرطاجة وجبل المنار ، بساتين وآبار متصلة بضاحية أريانـــة حتى وادى مجردة .

أما في المغرب الاوسط فان المدن التى أحاطت بها المساكن لاتكاد تذكـر مع العلم أن بونة و مرسى الخرز وشرشال و دنين ووهران بها ربط واضحة المعا، أما المدينة التى يتضح فيها دور الرّباط العمراني فهي مدينة تلمسان حاضـرة المغرب الاوسط في عهد الزّيانيين .

و الجدير بالذكر أن نواة المدينة القديمة قرية صغيرة هي أ ادير اختطها بنو يفرن الزناتيون وخلال حكم المرابطين ظهرت قرية تا زارت و هي المحلّة أو المعسكر وضمت تا زارت الى أ ادير فتكونت مدينة واحدة هي تلمسان (26) مدفن

---

(25) ــ ابن عاشور ، ومضات فكر ، ص272 .
(26) ــ يحيى بوعزيز ، تلمسان عاصمة المغرب الاوسط سلسلة (مدن تاريخية) الجزائر 1985 ، ص20 .

ولا يمكن أن تظهر بمعالمها الكاملة الا نحي العباد أو قرية العباد وهي مدفن الاولياء والصالحين ومنهم أبي مدين الغوث وهناك نص يدل على الدور العمراني للعباد حيث يقول فيه صاحب الرّحلة المغربية وبظاهرها (تلمسان في سند الجبل موضع يعرف بالعّباد وهو مدفن الصالحين وأهل الخير وبه مزارات كثيرة ومن أعظمها وأشهرها قبر الصالح القدرة فرد زمانه أبي مدين رحمه الله) وعليه رباط مليح معدوم مقصود الدائرة بالبلد كلّه مغروس بالكروم وأنواع (27) الثمارة وسوره من أوثق الاسوار وأصحها وبه حمامات نظيفة ومن أحسنها وأوسعها حمام العالية (28) .

ويمثل حي العباد الاثري اليوم مع المدرسة التى شّيدت عام 1373م والمسجد صورة رائعة للعمران العربي الاسلامي في صورته المغربية الاندلسية ، وعرفت المدينة على عهد الموحدين تحصينات ومعاقل حتى أصبحت من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره ووفد عليها الناس من كل أنحاء الغرب الاسلامي فأضحت تلمسان وراثة لحواضر الساحل والداخل كأرشقول وتيهرت بعد تخريب ابن غانية المعالم المعمارية وكان لقرية (29) العباد وترها المكانة الهامة في جذب العلماء والصلحين فسكنوها وعمّرها ، فرغم قدم المدينة الا أن مدفن العبّاد يعتبر مركز جذب هام

---

(27) _ العبدى البلنسي ، الرّحلة المغربية ، تحقيق أحمد بن جدّو نشر كلّية الاداب الجزائر دون تاريخ ، ص9 .

(28) _ نفســـــــ ،، ص10 .

(29) _ أنظر وصف يحيى ابن خلدون لتلمسان وهي من الأمّية بمكان . ابن خلدون ، بغية الرّواد ، ج 1/ ص91 وما بعدها .

في تخطيط عمران تلمسان ، ويعمرها من البشر ناس أخيار أولو حياء ووقار بالصدد وعفاف ودين واقتصاد في المعاش واللباس والسكنى على عهدى السّلف الصالح ، غالب تكسّبهم الفلاحة وحياكة الصوف وأهلها معدن العلماء الاعلام والاولياء المشاهير (30) مساجدها عامرة مشاركة في الحياة الدّينية والثقافية بقسط كبير فأنجبت الاخيار فكان لهم بالبلاد شأن عظيم (31) .

أما المغرب الاقصى فالدور العمراني للرباط يظهرفي كل من رباط الفتح وتازة .

وأول مدينة أنشأها عبد المؤمن هي مدينة تاز وهذا لما أدرك أهمية الموضع الحربي ، فعمد الى انشاء رباط الجيشه على أرضها ثم شيد مسجدها وأقام عليها سورا في سنة 529 هـ/ م وكان رباط تازا حامي حمى المغرب الاقصى من الناحية الشرقية (32) ولتازة طابعها الخاص نظرا لوظيفتها الحربية وذلك لاهمية موقعها فهي تقع في الممر الطبيعي الذى يتم بواسطة التحكم في المغرب الاقصى وبقية بلاد المغرب القابع بين جبال الرّيف شمالا وجبال الاطلس جنوبا (33) (وبهذا استهدفت مدينة تازا مكانة تينطل حربيا هذا أضحت مهمتها الحربية مقصورة على حماية جنوب المغرب ، فلما فتح عبد المؤمن مدينة مرّاكش وأصبحت حاضرة المملكة

---

(30) ـ يحيى بن خلدون ، بغية الرّواد جـ1/ ص92 .
(31) ـ نفســـــه ، ص100 .
(32) ـ عبد الله علّام ،الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ، ص379 .
(33) ـ حسان عوض، جغرافية المدن المغربية ، ص ص86ـ87 .

الموحدية ومستقر قيادة الجيش العامة انكمشت تينمل وأمست مزارا) (34) يتبرك به الموحدون لاشتمالها على ضريح المهدي بن تومرت ولكنها مهد الدعوة الموحدية (35) .

وظلت تازة محتفظة بأهميتها الحربية وأخذت بأسباب الرّقي والازدهار حتى اضحت بفضل رباطها العسكري من أهم المدن المغربية غنية بدورها و قصورها ومساجدها ومعاهدها العلمية وبساتينها و ميادينها العامة (36) .

ورباط الفتح خير شاهد على الدّور العمراني المرتبط في المغرب الاقصى في عهد الموحدين فالمدينة تتكون من عدة مناطق فقد كانت أيام ابن حوقل عبارة عن قصبة الاوداية وهي رباط يجتمع فيه المسلمون بقصد الجهاد ومقاتلة البرغواطيين كان يجتمع فيها من المرابطين مائة ألف انسان يزيدون و ينقصون (37) ويبدو أن عبد المؤمن هو أول من اتخذها دارًا فأدار أسوارها و بنى مسجدها ومدرستها واجرى اليها الماء من نحو عشرين ميلا وهذا عودته من فتح فاس عام 540هـ/ 1146م وقد سماها المهدية ومما عثر عليه آثار بالمحل الذى بنيت فيه الرّباط شاهد على أن مدينة شالة كانت بنايتها متصلة بالاوداية ومصب الوادى (38) ويبدو أنّ آثار شالة القديمة على الضفة اليسرى للوادى والتى لا تمتد حتى المحيط يرجّح أن آثارها تمثل مكان مدينة أو معسكر روماني قديم ، على

---

(34) ــ علّام ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ، ص379 .
(35) ــ نفســـــــــ ، ، ص379 .
(36) ــ نفســـــــــ ، ، ص379 .
(37) ــ ابن حوقل ، صورة الارض ، ص82 .
(38) ــ حسان عوض ، جغرافية المدن المغربية ، 105 .

أن أقدم أحياء الرباط حاليا هو حي الاوداية (39) غير أن رباط الفتح كمدينة بأسوارها الحالية أسسها يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين و الرباط وسلا توأمتان تقعان على مصب أبي الرقراق فاذا كان المعسكر الروماني (مدينة سلا نصيب الضفة اليسرى فان الرباط يقع في الضفة اليمنى (40) وقد قامت سلا بتحصين رباط الفتح اذ استقر بها المتطوعة و المرابطون ، واستمر رباط الفتح في النمو أيام أبي يعقوب يوسف الذى رصد له الاموال اللازمة و هو الذى أطلق عليه اسم رباط الفتح تخليدا للانتصار الذى أحرزه الموحدون في الأرك على ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، وكان يحيط بالمعسكر سور من اللبن تكتنفه أبراج مربعة الشكل تحصر بين البحر و النهر مساحة قدرها 450 هكتارا (41) .

وكان المنصور الموحدى يقصد ببناء رباط الفتح منافسة الاسكندرية بمصر سواء من حيث ضخامة البناء و أو جماله ، ثم شهدت ازدهارا عظيما بعد المنصور حتى تخرب أكثرها خلال الحروب الموحدية المرينية (42) وأهم معالم الموحدين بالرباط منارة مسجد حسنان الذي كان من المنتظر أن يكون أعظم مساجد المغرب لو كمل بناؤه و أما المنارة التى اشتهرت باسم حسان فقد تكون أعظم منارة اسلامية لو تمت هي أيضا و الظاهر أن رباط الفتح كمعسكر قد أعطى الصفة الحربية للمدينة لأنها منطقة جواز الجيوش الموحدية للاندلس ، ولهذا كثرت الدور غيرانها سرعان ما تحطم

---

(39) ـ عبد العزيز بنعبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ، ص28 .
(40) ـ أنظر: الاختلافات الموجودة بين الباحثين حول موقع شالة ، سلا ، رباط الفتح ليفي بروفنسال ،رباط الفتح ،دائرة المعارف الاسلامية ، ص25 ومابعدها .
(41) ـ نفســــــــه ، ص26 .
(42) ـ ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ (الطبعة القديمة) ج1/ ص362 .

كثير منها أيام المنصور نفسه اذ لم يكن بناء المنازل من طرف الاسرى الاسبان وثيقا (43) .

والرّباط المغربي في أصله نواة قبل استقطاب الناس حوله لأنّه عبارة عن معسكر ضخم به أهل الرّباط وحماة الثغور وكان للربّاط من الرّجال والمؤونة والخيل ما يحقق الاكتفاء الذّاتي فهو أشبه بالكومونة الصينية اليوم التى بها من الصناعة والزراعة ما يكفي أكثر من ميلون من البشر ولهم وسائل : دفاع وهجوم ما جعلهم أشبه بجمهورية صغيرة ، وقد وصل الى هذه الجمهورية الصغيرة رباط الفتح في مرحلة متأخرة من العصور الوسطى أيام سقوط غرناطة وطرد بقايا المسلمين من الاندلس (44) .

وبهذا تظهر المكانة العمرانية التى لعبتها ربط المغرب الاسلامي في الواجهة الشرقية والمغرب الاوسط والواجهة الغربية والآندلس .

---

(43) ـ ابراهيم حركات بالمغرب عبر التاريخ ، (الطبعة القديمة) ج 1/ ص361 .

(44) ـ حدد هذا التطور بشئ من التحليل والتفصيل المستشرق ليفي بروفنسال في مادة رباط الفتح ، بدائرة المعارف الاسلامية وهو الذى أطلق على رباط الفتح بعد هجرت الاندلسيين اليه بالجمهورية ، جمهورية سلا ورباط الفتح أنظر: ليفي بوروفنسال ، رباط الفتح ، ص28 .

2_ الخصائص المعمارية للرّبط المغربية والأندلسية .

حينما تذكر المصادر أن ثغور المسلمين من الاسكندرية الى سبتة محمية بسلسلة من الرّبط والمحارس والقلاع الكثيرة ، يفهم من هذا أن هذه المؤسسات ذات طابع عسكري دفاعي ، ومن المعلوم أن وسائل الدّفاع في العصور الوسطى تعتمد على أهمية الأبراج ومتانة الأسوار وكثرة المعاقل ؛ ظاهرة دفاعية ، تدخل ضمن الهندسة والعمارة الحربية (45) .

وقد أقام المرابطون حصونهم في مواقع دارت بها الجبال من جميع الجهات لهذا كانت تطورات الهندسة المعمارية العسكرية في عصري المرابطين والموحدين واضحة المعالم (46) .

ومن بين الرّبط الواضحة المعالم في هندسته العسكرية رباط سوسة الذي أعتنى به أكثر من أمير أغلبي لهذا فان الدراسة لأهم خصائصه المعمارية تعطينا نموذجا واضحا للرّبط المغربية ، والرّباط يوجد في الجزء السفلي من المدينة وسط الاسوار مما يجعله قليل الاهمية من النّاحية الاستراتيجية غير أنه في الظاهر شيّد في وقت لم تكن هذه الاسوار موجودة فرباط سوسة يتكون من سور مستطيل به وفي جوانبه

---

(45) _ أنظر : Georges Marçais, l'architecture musulmane d'occident (Tunisie Algérie Espagne Sicile) edit. arts et métiers graphiques PARIS 1954. P.154.

(46) _ السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير ، ص764 .

و وسطه قلاع ،كما توجد أسوار و نتوءات مجّهزة في القّمة بسلسلة من الاقواس مشكّلة بذلك افريزا (47) و ستة من هذه الحصون دائرية ، في الزاوية الجنوبية الغربية يوجد نتوء مّربع يجعل قلعة اسطوانية تمتد الى بعد 15م تحيط به سطوح تحتوىّ على منارة ذات قبّة ، ويوجد نتوء مربع آخر في وسط الجهة الجنوبية يحتوى على المدخل الوحيد للّرباط ، و هناك سلم ينحدر من الباب الى الدّاخل ينتهي الى الساحة التى تشغل مركز البناء كما توجد أروقة تحيط بهذه السّاحة تؤدى الى الطابق الاول وغطي رواقان من هذه الاروقة بقيت نصف اسطوانية أما الرّواقات الآخران ،فقد جهزا بدون شك في عصر أقدم بقباب ذات زوايا بارزة وتنتح هذه الاروقة على حجرات تفتقد للنوافذ و هي على شكل قباب نصف اسطونية ،كما تفتح على حجرات للوضوء (48) أما الطابق الثاني فتوجد به حجرات تحيط بالساحة من ثلاثة جهات ، أما الجهة الرّابعة ،الجنوبية فتوجد بها قاعة الصلاة واحدى عشرة جناحا ورقّان ،و هناك محراب صغير مبسيط يمتد على طول الجدار الذى هو جدار القبلة ،الذى يعتبر متراس المعقل و الذى يحتوى على ثغور تشكل مرمى النبال ،و هذه الطريقة و الظاهرة تعبّر بصورة مدهشة عن الطبيعة المزدوجة للّرباط اذ أنه يلعب دورين في نفس الوقت ،دورا دينيا ،وعسكريا ، كما يبرز موضع المحراب في الخارج على شكل قبّة تعلو حجرات على السطح ، و هذه المعاقل الكبيرة أو المساجد الكبيرة

---

(47) ـ أنظر: Marçais, l'architecture musulmane. P 30

(48) ـ أنظر: ibid. P 31.

كما يقول (مارسي Marçais) تشبه أضرحة المرابطين (الصلاح و العباد) مما أعطاها قداسة روحية (49) و ربما كان برج المراقبة الذى يرتفع في الزاوية المجاورة للقبلة يصلح لاداء الأذان ، فنحن نعلم أن المسجد المجاور لا يحتوى على منارة و أسلوب البناء هذا القوى الذى يعبر عن بساطة و تقشف في العمارة يوافق ايمان هؤلاء المجاهدين و يعكس عقيدة الأمة الاسلامية و أصبحت سوسة بفضل بفضل هذا الرباط دار جهاد و رباطها من روائع العمارة الحربية في الثغور المغربية وعلى نفس الهيئة و بنفس التصميم المعمارى تقريبا لرباط سوسة نجد رباط المنستير (50) .

و رباط سوسة يعبّر عن صورة كتاب مفتوح في الهندسة الحربية الاسلامية ببلاد المغرب (51) و من خلال تصميم رباط سوسة تتوفر شروط الحياة بشكل يعبر عن عبقرية في تحكم العقلية الاسلامية في الفن المعماري فهناك غرف النّوم الخاصة بالمنقطعين و المرابطين ، و الانارة تكون عن طريق مصابيح زيتية ، و أما الماء الخاص بالشرب و الطّهي و الوضوء ، فمصدره تحت السلم المؤدى الى الرّباط فبمائه يتظف و تظهر حاجات سكانه و منه تورد الخيول المعدّة للمجاهد ، و أما المؤن و الاسلحة الخاصة بالاحتياط فانّها توجد بالغرف الموجودة بجنوب الرّباط ، وأما اتّساع الرّباط فحسب الباحث (لوزين Lézine) فانه لا يتجاوز استيعابه لخمسين مرابطا

---

(49) _ أنظر: Marçais, L'architecture musulmane P31

(50) _ أنظر: ibid. P32

(51) _ أنظر: A. Lezine, Le Ribat de Sousse, P23

باستطاعتهم صد الهجومات المفاجئة و هو ما يعطينا فكرة عن بداية الرّباط فى نهاية القرن الثامن الميلادى (52) .

ورغم فقدان الرّباط الاهميته الحربية بعد اقامة أسوار سوسة فانّه عرف تطورات عمرانية جديدة خاصة بعد تأسيس المسجد ،كما تعرض للحريق أثناء قيام ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد وفي القرن الخامس الهجرى ، بقي شامخا أمام تخريب الأعراب لمدينة سوسة ، و يبدو أن الرّباط في صورته المعمارية الحالية لا يعبّر عن صورة الرّباط الأغلبي البسيط لأنه في القرن الماضي أجريت عليه اصلاحات كثيرة (53) و هذا بعد أن كان مدرسة في القرن الثامن عشر الميلادى بحيث أن الاصلاحات و التعديّلات المعمارية التي أدخلت عليه أعطته صورة فنية رائعة حتى أصبح لوحة معمارية تجمع بين صفات كل خصائص العمارة الحربية في العصور الوسطى (54) .

و بلا شك أن هذا الرّباط المزود ببرج للاشارات الضوئية يعمل على تحقيق أمن سوسة .

ومن ناحية التّصميم المعمارى بافريقية أيضا رباط المنستير الذى هو الاثر الوحيد الذى بقي على هيأته الاصلية و هو أقدم المعالم المؤرخة في افريقية الاسلامية و هو يمثل النموذج الاول المدروس لدور اقامة المرابطين التى خطّطت أيام الرشيد و أحضر مثاله الى افريقية و أقيمت الاربطة الاغلبية طيلة القرن الثالث للهجره على

(52) ـ أنظر: Lezine, le ribat de Sousse P. 24

(53) ـ أنظر: Ibid P. 22.

(54) ـ عن مواد بناء رباط سوسة بالتفصيل راجع لوزين : Lezine, le ribat de Sousse. P. 26.

نسقه اذ أن أصوله المعمارية وتأثيره على عمارة الرّباطات في العصر الاغلبي واضحة المعالم في الساحل الافريقي (55) .

(ويتكون مخطط هذا الرّباط (المرقب) من حصن صغير مربع تقريبا (56) أضلاعه 80 ، 32م × 40، 32م ، تقوم في زواياه أبزاج دائرية من مستوى سطح القصر منارة اسطوانية ... وقد قسّم سطحها الخارجي بثلاثة أفاريز بارزة بسيطة ويصعد اليها من مدخل يفتح على سطح مسجد القصر يؤدى الى سلم دائرى يشتمل على 89 مرقاة وتتسرب اليه الاضاءة من كوى صغيرة موزعة على ارتفاعات متباعدة) (57) وبدوره الارضي غرف صغيرة مقبية تصطف على أسواره الاربعة يتقدمها رواق يفتح على الحصّن ، عدا مجموعة جدار المدخل القبلية فانّه يتقدمها رواقان وعلى هذا الجانب من الدور الارضي مسجد يقع محرابه فوق المدخل ويبدو أن زيادة قد ظهرت على هذا الدّور مما أدّى الى ازالة بعض أقسامه بعد الزيادات التى أضيفت للقصر في مختلف العصور ،وبقي الجزء القبلي وحده بكامل عناصره (58) وهذا الرّباط ومنارته أصبح من خصائص مدرسة العمارة في الغرب الاسلامي (59) .

والعمارة التي قام عليها قصر الرّباط في المنستير وملحقة رباط النساء يوضح الفن المعمارى الاسلامي في صورته المغربية .

---

(55) ـ ابراهيم شبّوح محول منارة قصر الرّباط بالمنستير وأصولها المعمارية ص6 .
(56) ـ أنظر مخططات قصر المنستيرفي: Lezine, Le ribat de Sousse PL XXII-IV
(57) ـ ابراهيم شبّوح محول منارة قصر الرباط بالمنستير وأصولها المعمارية ، ص6 .
(58) ـ نفســــــــ ،، ص7
(59) ـ نفســــــــ ،، ص6

وهناك نماذج للرّبط في تازة ورباط الفتح الّا أنها تفتقد لبعض خصائص الرّبط الافريقية فرباط تيط على الساحل الاطلسي وعلى حوالى 12 كلم من مزغان وهذا في مولاى عبد الله اليوم وهو من القرن 12م به ثلاثة أبواب وله ستة قلاع عظيمة من الحجر الصلد (60) ورغم مرور الزّمن فقد صمد في وجه الدّمار، ومع ذلك ذاتنا لا نملك له صورة كاملة حتى نتعرف على شكل من أشكال ربط المغرب الاقصى .

ويلاحظ الاستاذ جورج مارسيه (Marçais) أن هناك تصالا وثيقا بين الفن الافريقي التونسي والهندسة الحربية المرابطية وخير مثال على ذلك قلعة تزغيموت (THSGHIMOUT) فهي تمثل الهندسة العسكرية التي تربط بين صنهاجة الشرق وصنهاجة الغرب (61) هذه القلعة العتيدة عبارة عن قلعة أو رباط أسسها المرابطون لمدافعة الموحدين كانت تقيم بها حامية مرابطية تتكون من مائتي فارس وخمسمائة من المشاة لحراسة بلاد هزغة، وهي تقع الى الجنوب الشرقي من مرّاكش وعلى بعد ثلاثة كيلومترات، وعلى بعد نحو عشرة كيلومترات شرقي أغمات (62) ولذلك برز في عهد المرابطين والموحدين الفرق بين الفن الدّيني في بناء المساجد والزوايا وبين الفن العسكرى في اتخاذ القلاع والابراج والحصون والرّباطات وهو ما أعطى ثروات فنية اسلامية تجمع بجلى خصائص الابداع

---

(60) ـ أنظر: Marçais, L'architecture musulmane P249

(61) ـ أنظر: ibid. P 220.

(62) ـ عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص766 .

المعمارى الاسلامي (63) و من خلال دراسة الرّبط بالمغرب الاقصى يبدو حسب شهادة ابراهيم حركات أنها لا تختلف عن الرّبط الافريقية فهي عبارة عن حصون مربعة يتكون الواحد منها من طابقين يرقى الى الثاني منهما بسلم و يحتوى كل منها على غرف تطل على صحن تحيط به أقواس وفي كل من زوايا الحصن برج لمراقبة العدو (64) .

وحتى المدن المغربية والاندلسية من خلال الابواب و الاسوار تظهر على شكل رباط من خلال التصميم المعمارى (65) ، والعمارة الحربية الاندلسية واضحة المعالم لأنها دار جهاد ، الا أن تصاميم القلاع الحربية والرّبط لا تختلف في شيء عن تصاميم قلاع المرابطين والموحدين وهذا مانجده من خلال برج قرطبة المثمن الشكل وهو من الاعمال الموحدية (66) وكذلك حسب وصف قلعة تزغيموت التى تعبر عن امتزاج الفن المغربي الاندلسي في أبلغ صورة اذ أن المرابطين ومن بعدهم الموحدين قد وقعوا تحت تأثير العمارة الدّينية والحربية الاندلسية وانتقل الفن الاندلسي الى المغرب من خلال بقايا المرابطين والموحدين من قلاع ومساجد وحصون واسوار نكتشف هذا التأثير الاندلسي البديع الذى أظهر للوجود المدرسة المغربية الاندلسية في الفن المعمارى الدّيني والحربي (67) .

---

(63) ـ أنور الرّفاعي ، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، ص5 .
(64) ـ ابراهيم حركات ، تاريخ المغرب عبر العصور جـ1/ 175 طبعة قديمة .
(65) ـ أنظر: على سبيل المثال أبواب شالة في رباط الفتح فهي عبارة عن مقدمة قلعة عتيدة كذلك أبواب طليطلة فهندستها هندسة عسكرية راجع:
G. Marçais, Manuel d'art musulman, l'architecture, p. 647-665
Elias Terés, le développement de la civilisation arabe à Tolède P. 93.
(66) ـ أنظر هذه القلعة في: بالنثيا تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس، 439 .
(67) ـ أنور الرّفاعي، تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ص19 و ما بعدها .

والظاهر بعد دراسة هذه الاشكل المعمارية يمكن أن نذهب أبعد من هذا على أساس أن العمارة الحربية والرّبط والحصون بالخصوص في الغرب الاسلامي كانت الى حدّما متقاربة من حيث التصاميم فهي جلّها تقريبا مربعة بها أبراج للمراقبة وكوى لرمي النبال وأخرى لرمي الحجارة عن طريق الدبابات (المنجنيق) وربما يعود هذا التّشابه المعماري الى سهولة التواصل الحضارى والتكامل الاجتماعي والعسكرى بين جهات الغرب الاسلامي الى فترات طويلة في عهد الولاة وعهـــد الخلافة الأندلسية ثم بلغ التواصل المغربي الأندلسي عصره الذهبي في عصـــرى المرابطين والموحدين ولهذا فالأبواب والأسوار والأبراج لها نفس الاشكال ونفس التّصاميم مما أعطى مدرسة حقيقية في الفن المعمارى الحربي ببلاد المغرب الاسلامي .

3ـ الرّبُط المغربية الأندلسية و ربط المشرق الإسلامي :

من خصائص الرّباط المغربي أنه في الأصل حصن على جبل تجمع فيه الأقوات الخاصة بالقبيلة و مدخراتها من الزّاد ، يتولى بعض أفارد القبيلة حمايته ، ثم تطور رباط المغرب الى أن صبح عبارة عن معبد ديني ، ومنارة لا يضاح السبيل واقامة العلامات النّارية للبريد بالليل وحمام الزاجل بالنهار. (68) ومع هذا فان الرّبط الأولى في افريقة لها خصائص العمارة الموجودة بالعراق و بلاد الشام فتصميم رباط سوسة الاغلبي من تصميم مهندس مشرقي عباسي (69) وهذا ما يظهر من التصميم المعماري رغم ان مواد البناء المستعملة محلّية هي عبارة عن جبس ورمل المنطقة و بقايا آثار بيزنطية ، بل يذهب الباحث (لوزين Lezine) الى القول بأن الافريز الخاص بالمنارة وأقواس الواجهة يشبه القوس الكبير لقصر صابور الاول الفارسي (70) كما أن الهندسة المعمارية التى تستعمل الأجر و القرميد ذات أصول عراقية ترجع في أصولها الى عمارة حضارة وادى الرّافدين (71) وكل الذّين درسوا رباط سوسة وجدوا صورة الفن الاموي السّوري و العباسي ، ومن الطبيعي كما يذكر جورج مارسيه أن الباحث في أصول هذا النوع من الهندسة المعمارية لربط افريقة يعثر على التأثر الشديد بالقصور الأموية بالشام و بخانات شمال الكوفة بالعراق (72) .

---

(68) ـ عثمان الكعّاك ،مراكز الثقافة في المغرب ، 37 .

(69) ـ أنظر: Lezine, le ribat de Sousse. P24

(70) ـ أنظر: ibid. P.25

(71) ـ أنظر: Marçais, l'architecture musulmane P32

(72) ـ أنظر: ibid. P33

ومن الطبيعي أيضا التّعرّف على التقارب المعمارى من حيث التصميم بين فنون المشرق الاسلامي وفنون بلاد المغرب في هذه الفترة المبكرة في عهد الولاة ودولة الأغالبة لعدم بروز المدرسة الفنية المغربية الأندلسية بعد التى عرفت أوج تفوقها الفنّي والمعمارى في القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى.

ويمكن أن نتعرف على التواصل المعمارى من المشرق والمغرب من خلال منارة قصر هرثمة وهي من أهم المشاكل المعمارية وأكثرها اثارة للتساؤل (ذلك أن افريقية عرفت قبلها الصومعة (73) المربعة الشامية الطراز التي قدمت مع الولاة الامويين من دمشق ومازال أقدم نماذجها يأخذ مكانة في المسجد الجامع بالقيروان) (74) وبقي استخدام مسقط هذه المنارة المربع في افريقية وسائر المغرب والاندلس حتى أصبح من خصائص مدرسة العمارة في الغرب الاسلامي، وأما المنارات ذات الطراز الدائري ذات الوظيفة الحربية فقد اختصت بها قصور المرابطة المرتبطة بوظيفة حربية واضحة (75) وهذه المنارات وعلاقتها بالعمارة العسكرية تتمثل في منارة جامع الرّقة (76) التى تقف في صحن المسجد مستقلة عن الأبنية ويلاحظ أن جامع الرّقة بني أيام المنصور العباسي سنة 155هـ 771م وجددت بعض أروقته بأمر من نور الدين محمود بن زنكي أحد كبار ملوك الشرق الذين شيدوا الاربطة والزوايا بكثرة في الشام ومصر بصورة ملفتة للنظر

---

(73) ـ الصومعة هي التّسمية القديمة التى انتقل بها هذا العنصر المعمارى الى افريقية والمغرب، وظل قائما فيهما، وكانت الكلمة في الاصل تعني البرج والبناء العالي بالسريانية فقد تطورت فيما بعد للدلالة على خلوة الرّاهب والمئذنة للأذان وهي ذات وظيفة دينية أما المنارة فهي ذات وظيفة حربية أنظر: شبوح حول منارة قصر الرباط، ص7

(74) ـ نفسه، ص7.

(75) ـ نفسه، ص7.

(76) . أنظر: الصورة رقم 1.

ومنارة جامع الرّقة حسب الدراسات الحديثة (77) ذات مدمة مزدوجة فهي الى جانب أنها من عمارة الجامع الدّينية ، تقوم هناك كمرقب و برج للاشارات أيضا وهذا الاهمية للرقّة العسكرى لوقوعها في التخوم الشمالية على حدود بيزنطة فاتخذها العباسيون قاعدة خلفية للحدود الاسلامية تؤدى دورها في الدفاع وفي مدّ الهجوم أثناء عطيات الصوائف ومن خلال هذا الوضع الحربي لثغر الرّقة ندرك دواعي جعل أبنيتها وقصورها أشبه بالحصون والثكنات العسكرية (78) . لهذا فان منارة قصر الرّباط بالمنستير (79) ربما يرجع تاريخها الى عصر منارة الرّقة التي تشترك معها في كثير من التفاصيل المعمارية وان تأسست منارة قصر الرباط بعدها بربع قرن تقريبا ، وكذلك نجد نفس التشابه العمراني بين رباط أسوان ومنارته بالخصوص مع منارة قصر الرباط المنستير هي كلّها عبارة عن منارات عباسية (80) وأسوان ثغر الاقليم بين النوبة وأرض مصر لهذا فمنارات القصور الثغرية في العهد العباسي في المشرق ومصر والمغرب تتشابه في كثير من الخصائص المعمارية من حيث استعمال مواد البناء والقواعد وتشييد الجزء الاسفل بأحجار من الجرانيت ثم الاجر فوقه ، ويتساءل الباحث عن هذا التشابه بين هذه المنارات وان كنا نرجح أن هذا العنصر الخاص بالرّبط من العناصر الفنّية العراقية

---

(77) ـ شبوح ، حول منارة قصر الرباط بالمنستير ، ص8 .

(78) ـ نفسه ، ص9 .

(79) ـ أنظر: منارة رباط هرثمة بن أعين بالمنستير صورة رقم 2 (الملحق) .

(80) ـ ابراهيم شبوح حول منارة قصر الرباط بالمنستير ، ص15 .

في الطاره الفني الاسلامي (81) لهذا فان الوظيفة في حد ذاتها التى قامت لها العمائر الاسلامية ذات العسكرية (منارة الرّقة وأسوان والمنستير) هـي التى حدّدت التصاميم والتأثير ناجح عن التصاميم العباسية التى يعتبرعصرها عصر الفن الاسلامي الامبراطورى كما يحلو لبعض المستشرقين تسميته (82) ومنارة قصر الرباط بسوسة (83) تحمل نفس الخصائص المعمارية للعمارة الاسلاميـة في العهد العباسي .

هذه المنارات الاسلامية لربط مغربية ومشرقية ذات تصاميم عباسية ثابتة من خلال الدراسات الحديثة والحفريات المتواصلة وشواهد مادية من المنارات والاسوار والغرف الخاصة بالمرابطين .

ويبدو الاختلاف بين العمارة الحربية المغربية والعمارة المشرقية في مرحـلة متأخرة من عهد الموحدين ، وهذا يظهر من تسمية هذه المؤسسات فالرّبـاط و الزاوية في المغرب والأندلس أصبح يحمل اسم تكية أوخانقاه لها وظائف خاصة بالاخوان وأصحاب الطرق الصوفية (84) ويبدو من خلال ضخمة تقوم مقام الرّباط من حيث تقديم الضيافة ومساعدة أبناء السبيل ، وهنا يتجلّى فضل الاســـلام في بلاد المشرق وخاصة بين القبائل العربية الذين كانوا يرحبون بالزوار مـــن

---

(81) ـ ابراهيم شبوح ، حول منارة قصر الرّباط بالمنستير ، ص15 .

(82) ـ أنظر: Jamme Smidel Thomme, ... l'art de l'Islam ... REI Hommage ... Paul Geuthner ... p 83.

(83) ـ أنظر: منارة قصر الرباط بسوسة صورة رقم 3 (الملحق) .

(84) ـ أنظر: Marçais, notes sur les ribats en Berbérie P.10

المساحين (85) ففي المشرق اندمج الرباط في الخانقاه المأثورة عن الفرس (86)
ومهما يكن فان الدارسين يفرقون بين الخانقاه والرباط فالخانقاه المستقر الدائم
لاناس يقضون فيها كل حياتهم في حين أن الرباطات كان ينزلها رجال من العباد
المرابطين مدة محدودة على أنه لا يمكن الجزم بأن ذلك هو الفارق بينهما (87)
ومهما يكن في الامر من شيء فان الربط الدائمة تحمل الطابع العسكري لهـــذا
فعمارتها وظيفتها الحربية بينما الخوانق والزوايا والتكايا أصبحت مؤسسات للطرق
الصوفية هي أشبه بالمساجد وارتاب بعض الدارسين أن هذه التكايا والخوانق
كانت فيما مضى عبارة عن ربط تحولت الى هذه الصورة السلبية في مرحلة متأخرة
وانعكس هذا العمل السلبي على العمارة فأصبحت أقرب الى العمارة الدينيـــة
كالاضرحة والجوامع ، منها الى قلاع والحصون والمحارس والربط ذات الصبغة
الحربية .

وقد انعكس هذا الاختلاف بين المؤسسات الدينية والحربية حتى في مـــواد
البناء فالمادة الخاصة بالمساجد والاضرحة يكاد يغلب عليها اللبن والجبس (88)
بالاضافة الى هندستها الخاصة من حيث الكتابة والنقوش وأنواع القباب ، والعقود
وأما الحصون والاســوار والمحارس فتكون بالحجر دائمــا ولا تكاد تذكر المصادر

(85) ــ حسين مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، ص23 .
(86) ــ أنظر: Horgues, notes sur les ribats en Berberie P.
(87) ــ ليفي بروفنسال ، مادة رباط ، دائرة المعارف الاسلامية ، ص23 .
(88) ــ مانويل جوميث مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1968 ، ص13 .

بناء الاسوار والربط باللبن (89) اذ أن قلاع الاندلس وأسوار المدن و الابواب عبارة عن قلاع محصنة تبدو عليها مظاهر المدينة الحربية (90) والحجارة المصفوفة لولا وعرضا في الحصون الاندلسية التى تبنى على شكل رباط سوسة مع اختلاف بسيط أن الحصون الاندلسية مستديرة الشكل تحيط بها الابراج المستديرة أيضا (91) وهو ما يبرز خصائص العمارة الحربية في الاندلس بنفس الصورة المعروفة في بلاد المغرب .

والمعروف في الفن الاسلامي بالمغرب أنّه ينطلق من نظرية كونية هي أنّه لا يوجد في العالم أشكال بذاتها ولا توجد صور بذاتها وانّما الوجود والدوام لله وحده (92) لهذا نجد أن العمارة العسكرية راعت هي الاخرى هذه الخاصية المميزة للهندسة المعمارية الاسلامية فجاءت في صورة بعيدة عن الهندسة الوثنية التى عرفتها الامم السابقة ولهذا لانجد آثار الصور وغيرها من رموز الحرب عند الامم السالفة ، ولهذا أيضا نشأت لدى المسلمين مدرسة في الهندسة المعمارية الحربية بعيدة عن مظاهر القوة المستوحاة من الطبيعة ، بل نجد صورة القوة في العمارة الاسلامية منطلقة من القرآن الذى دعا المسلمين الى الاخذ بأسباب القوة لما لها من رهبة في نفوس أعداء الله وأعداء الاسلام وبهذه الجدلية برز الفن المعمارى العسكرى على شكل بنايات بسيطة ولكنها في مجملها تمثل لوحة فنّية تعبر عن فطرة

---

(89) ــ محمد عبد الهادى شعيرة ،المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية ص152 .
(90) ــ أنظر: de Valve, la ville d'Almeria. P65.

(91) ــ مونو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ص210 .
(92) ــ أندريه باكار ،المغرب والحرف التقليدية الاسلامية في العمارة ، ترجمة سامي جرجيس ،دار اتوليي للنشر فرنسا ، 1981، ص 132 .

آدمية في التعبير عن حاجة الانسان المسلم وهذا ما أوجد النّظريـــة الاسلامية في الفن (93) فاستفادت منها العمارة الدينية والعسكرية في المشرق الاسلامي ومن بعده بلاد المغرب والاندلس .

فجيئنا تخلو ربط المغرب ولاندلس من تصوير الكائنات الحيّة فانهم بـذلك ونتيجة لميل المهندس المغربي والاندلسي المسلم بصورة طبيعية الى الافكار التجّريدية والتزامه بتحريمه تصويرا لكائنات الحّية مالبثت هذه الحالة أن جعلته في مصاف المبدعين المدهشين ، وتحت تأثير هذا الميل الطبيعي الذى تكسته عقيدة ثقافة اسلامية حافظ الفن المعماري العسكرى على تصاميمه وحافظ عليهـا المغاربة والاندلسيين على مدى التاريخ الاسلامي (94) .

وعلى الرّغم من اختلاف المدرسة الفّنية المشرقية مع المدرسة المغربية الاندلسية في فن بناء الرّبط والمنارات الحربية فان الامتداد الطبيعي للعمارة الاسلامية حاضر في المدرستين .

وخلاصة القول نستنتج ومن شهادة بعض المشارقة (95) ورجال الاستشراق (96) أن الرّبطة المغربية الاندلسية من حيث التّصميم والدّور التاريخي الذى قامت به أبرز في العلاقات الدولية والعسكرية بين المغرب والقوى الصليبية فـي

---

(93) ـ أندريه باكار ، المغرب والحرف ، ص 132 .

(94) ـ نفســــــ ، ج 1/ ص 143 .

(95) ـ عبد الله علي علّام ، الدولة الوحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ص 293 .

(96) ـ أنظر: Margais, l'architecture musulmane. P. 30.

في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، من الربط المشرقي الذى سرعان ما عاد الى صورة سلبية في صورة زاوية أو خانقاه وافتقد للهيئة التي وجد من أجلها وهي الحالة والدّور العسكرى والنجاح الذى حققته الرابطة المغربية أدى الى تطور العمارة العسكرية بالمغرب والاندلس من جهة كما كانت الرابطة أو الرباط نواة لتشكيل دول مثلث العصر الذهبي لبلاد المغرب متمثلة في دولتي المرابطين ومن بعدهم حركة الموحدين (97) وكان عصرهم في الغرب الاسلامي أو بعبارة أخرى أدق كان القرن السادس الهجرى ،الثاني عشر الميلادى من أخصب عصور الفـــن المعمارى الحربي وأكثرها تمثلا خاصة بعد تزواج الفن المغربي بالفن الاندلسي (98) فأعطى للهندسة الاسلامية المدرسة المغربية الاندلسية .

---

(97) ـــ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، العصر الذهبي في المغرب ، المرابطون والموحدون (مجلة الجيل) المجلد 9 عدد 9 قبرص سبتمبر 1985 ، ص 57 وما بعدها .

(98) ـــ ليو بولد وتوريس بالباس ، الفن المرابطي والموحدى ترجمة سيد غازى دار المعارف بمصر 1971 ، ص13 .

4 – الرّبط الاسلامية ونظام الرّهبانية والديرية المسيحية .

عرفت أوروبا في العصور الوسطى حركة دينية تعرف باسم الرّهبانية والدّيرية والمقصود بالرّهبانية ،عيشة الفرد عيشة انعزالية في خلوة كاملة بعيداً عن المدن والاماكن العامرة ،أما الدّيرية فهي تعني التقاء جماعات من الرّهبان واجتماعهم في مكان بعيد كذلك عن العمران والانقطاع فيه للعبادة (99) وعرفت المسيحية بذور الزّهد والرّهبانية من خلال تعاليم السّيد المسيح عليه السلام ، الذي يؤثر عنه قوله (اذا أردت أن تكون كاملا فبع ما لديك وأعط ثمنه الى الفقراء واتبعني) . (100)

واذا كنا نسمع عن أمثلة بعض الذين آثروا الانقطاع للحياة الدّينية في أوائل عهد المسيحية (الاّ أن اللّون من ألوان الحياة الدّينية لم يصبح شيئا مألوفا ،في الشّرق المسيحي قبل القرن الرّابع ،في حين لم ينتشر في الغرب قبل القرن الخامس ولم يصبح شائعا قبل القرن السادس ويفهم من هذا أن الحياة الدّيرية شرقية الاصل بل انّها أقوى أثر تركه الشّرق في المسيحية) (101) ومن هذا نجد أن الزّهد والعزلة وهما من الدعائم الاولى للحياة الدّيرية مهدا في أول الامر لنوع من حياة الرهبانية الانفرادية التي تحوّلت فيما بعد

---

(99) – ابراهيم أحمد العدوي ، المجتمع الاوروبي العصور الوسطى ،دار المعرفة القاهرة 1961 ، ص89 .

(100) – أنظر: [illegible]

(101) – سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ،دار النهضة بيروت 1972 ، ص123 .

الى حياة ديرية اجتماعية) (102) .

ومعرفة الدّيرية كنظام ديني واجتماعي ، يبرز لنا دراستنا المقارنة بينها وبين الرّبط والمرابطة الاسلامية التى تعرّفنا على قيامها ودورها الحضارى .

فالدّيرية تبدأ من حالة الزّهد والتنسّك المتأصل في الشّرق شأنه شأن ماتنطوى عليه المسيحية من مبادئ أخرى ثم امتدّ الى الغرب (103) (واتخذ الزّهـــد عند المسيحيين الاوائل صورة بسيطة تتمثل في طول أمد الصلاة والصّيام وفي حرص النّساء على العفّة على حين أنّه كان مألوفا في مصر في القرن الثالث أن يعتزل الزّاهد أو الناسك بيئته ، بل أنّه يتخلى عن المجتمع المتمدن نهائيا)+ ومـــن هنا بامكان الباحث تفسير الرّغبة في العزلة والتقشف بأنها كانت رد فعل نفسي ضد ماساد المجتمع الرّوماني في القرن الرّابع الميلادى من انحراف وفوضى (فالفرق الكبير بين تعاليم العهد الجديد وبساطة الكنيسة من جهة ، وبين فساد المجتمع الخارجي من جهة أخرى مدفع كثيرا من المخلصين الى الفرار نحو الاماكن النائية ينشدون راحة الفكر والضّمير ، هذا فضلا عن أن الاضطهاد الوحشي الذى لقيه المسيحيون والذى بلغ أشدّه في أواخر عهد دقلديانوس) (104) مما جعل الكثيرين يفكرون في الفرار بعقيدهم الى الاماكن البعيدة ، لهذا أصبح الفقر والحرمـــان يؤدّيان الى طهارة النفوس ، (105) (وفي هذا المعنى يصحّ اعتبار الدّيرية حركة

(102) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، دار النهضة بيروت 1972، ص127 .
(103) ـ السيد الباز العريني ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى دار النهضة، بيروت 1968، ص165 .
+ ـ نفسه ، ص165 ، أنظر: أخبار الزهاد والرّهبان، أبو بكر الطرطوشي سراج الملوك ص39
(104) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص128 .
(105) ـ السّيد الباز العريني تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، 165 .

اصلاحية جديدة استعادة .كان للمسيحية الاولى من مثل بالحياة الآخرة ، أضحى الناسك والرّاهب من أبطال الايمان مثلما كان الشّهداء الاوائل ،وصارا موئل الصّفات المسيحية الخالصة وظلّا على ذلك نحو ألف سنة) (106) .

وهيأت الفوضى التّي تردّت فيها الامبراطورية الرّومانية منذ القرن الرّابع الميلادى للكنيسة جوّا خاليا من المنافسة ،مما أبرزت مقام القّسيس ورجل الدّين في المجتمع فغدا رجال الدّين بالضرورة طبقة بارزة ذات نفوذ وسلطة ، وأبرز دليل ما عرف به رجال الكنيسة من تبجيل وتقدير في أوساط الشعوب الجرمانية وهذا ما كان من أمر رجال الدّين والكنيسة التى وصلت الى غرب أوروبا أثناء القرن الذى تلا اعتناق الامبراطور قسطنطين+ المسيحية ،فمن المعروف أن التنّسك ظاهرة عامة في جميع الاديان وأن المسيحيين في مصر هم أصل الدّعوة لهذا النوع من الحياة الّدينية) (108) ". ويعتبر القديس بولس الطّيبي (حوالـــي 251ـ 356م) والقديس أنطون المعاصر لهـ أول مثلين تعرفهما الرهبانيـة فالقديس بولس ضُفت عليه الكتابات المتأخرة هلة واسعة من النّور يصعب في ضوئها المصطنع تمييز الحقيقة من الخيال حتى قيل : انّه قضى سبعة وتسعين عاما وحيدا في أحد كهوف طيبة بمصر العيا (109) (أما القدّيس أنطون فقد نظم

---

(106) ـ السّيد الباز العريني ،تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، 165 .
(107) ـ هـ .أ .ل. فشر ، تاريخ أوربا بالعصور الوسطى ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ،الطبعة السادسة (جمعية التاريخ الحديث) الجزء الاول دار المعارف بمصر ، 1976 ،ص 112 .
+ ـ حكم الامبراطورية من 306م الى 337م وفي عهد وقع المجتمع المسكوني بنيقيا بتركيا الحالية وظهر المذهب الاثناسيوس بعقيدة التثليث وتبناه الامبراطور ورفض المجتمع مبدأ التوحيد وبشرية عيسى عليه السلام الذى يدعو اليه القديس أريوس .
(108) ـ هـ .أ .ل .فشر ،تاريخ أوربا العصور الوسطى ج1/ صص112ـ113 .
(109) ـ عاشور ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص128 .

كثيرا من المستعمرات الرّهبان في مصر العليا خصّص فيها لكل راهب خليـة يتعبد فيها منفردا و لا يشترك رهبان المستعمرة الّا في انتاج ما يلزمهم من طعام و ملبس،فالحياة الدينية المثلى في نظر القديس أنطون قامت عـــلى أساس الانفراد) (110) .

لهذا يعلل المؤرخون ظهور الرّهبانية و انتشارها في صورة عزلة انفرادية في بداية الامر كاحتجاج على ما طرأ على المسيحية من تغيير منذ أ.مدا الاولـى وعلى أنّها ثورة على ما ساد المجتمع الرّوماني من تسيب ، و من حياة شبه وثنية في القرن الرّابع الميلادى ، وظهرت المفارقة الحادة بين تردد في الكتاب المقدس من ديانة خالصة وحياة سهلة ،وبين ما صنّفه رجال الدّين و هذا بترتيب هيئتهـم (111) وازدادوا قوة من لاهوت غليظ صارم و ما غلب على حياتهم من صفـة

---

(110) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ،تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص128 .

(111) ـ يقول فشر (والى هذا العصر القاشم (القرن الرابع الميلادى) و حوادثه بالذّات يرجع أصل السيطرة و المكانة و السّلطة التى يتمتع بها رجـال الدّين حتى الوقت الحاضر،لأن الفوضى التى تردّت فيها الامبراطورية منذ القرن الرابع الميلادى هيأت للكنيسة جوّا خاليا من المنافسة ، و طفولة الجرماني و جهالته أبرزت مقام القسيس في المجتمع ... و سمح الجرماني السّاذج بتدخل الدين في أخص شؤونه الى درجة لوجرت لسيدة رومانية زمن الامبراطورية لاعتبرته فضولا لايطاق ولا يغتفر،... فغدا رجال الدين بالضرورة طبقة بارزة ذات نفوذ وسطوة ، وأوضح دليل على ذلك طلب الكنيسة في القرن السادس الميلادى الى رجال الدّين أن يتخذوا لأنفسهم طرازا خاصّا ،فاختاروا القباء الطويل و الشعر القصير ، حفظا للزّى الروماني القديم على حين ظلّ الجرمان على عادته من القباء القصيرة و الشعر المرخي على الكتفين)أنظر: فشر ،تاريخ اوربا العصور الوسطى ، ج1/ ص112 .

دنيوية فضلا عن الابتذال والمجون خارج الكنسية بكل ذلك حمل النّفوس شديدة الحساسية على الفرار الى الصحرّاء للابتعاد عن دواعي الاغراء ومفاسد المدينة الرّومانية والبحث عن الصفاء الرّوحي في العزلة (112) .

وعمد هؤلاء الرّهبان + الى المغالات في تعذيب الجسم وذلال النّفس ... بالمعيشة الانفرادية ،في القفار البعيدة عن المدن والعمران ، أوعلى رؤوس الجبال ، وذلك فضلا عن التّهجد آناء اللّيل وأطراف النّهار ، مع الصيام الطّويل والحرمان ، وغير ذلك من رهبانية صارمة ابتدعواها لانفسهم ،ولقيت في نفوس الكثيرين من اتبعوهم — هوى فساروا على منوالهم (113) (ومهما يكن من أمر فان الرهبانية الانفرادية نوع من التطرف البعيدة عن الحكمة وطبيعة الانسان الاجتماعية ،فليس من الدّين في شئ أن يبتعد الفرد عن اخوانه من بني الانسان ليعيش وحيدا وسط الهوام ... لذلك كان لابد للعقلاء من الراغبين في الانقطاع للعبادة من ابتكار نظام آخر يتفق وطبيعة البشر ومن هنا نشأت النظام (الديرية) الذى يجمع بين الرّغبة في الانقطاع للعبادة من جهة وبين طبيعة البشر الاجتماعية من جهة أخرى) (114) .

وكانت أولى الاديرة التى عرفتها المسيحية هي تلك التى شيّدها باخوم

---

(112) — السّيد الباز العريني ،تاريخ أوربا العصور الوسطى ، 164 .

+ — أنظر، حياتهم وانقطاعهم ، السّيد الباز العريني ،تاريخ أوربا العصور الوسطى ص164 .

(113) — فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ج1/ ص113 .

(114) — عاشور، تاريخ أروبا العصور الوسطى ، صص138— 139 .

القديس[+] قرب دندرة وأخميم بصعيد مصر، ما بين (315– 320م) (115)

(وهنا يلاحظ أن باخوم تأثر عند اقامة ديره الجديد بما شاهده في الجيش الروماني من نظم ،فجاء الدّير في تصميمه وخلواته أشبه شيء بما هو معروف عن المخيامات الرّومانية ،كما أن القديس باخوم استّن لديره بعض التنظيمات شبه العسكرية المعروفة في الجيش الروماني ،ففرض على أضاء الدّير الطاعة والهدوء والنظام والعمل اليومي ،زيادة على مباشرة الطقوس الدينية) (116) .

وبهذا الطرح الجديد لنظام الرّهبانية والديرية من حياة التعبد عند المسيحيين وجد الناس ضالتهم فاقبلوا على الديّرية اقبالا شديدا حتى بلغ اتباع القديس باخوم عام 390م ثلاثة آلاف راهب ،فضلا عن سبعة آلاف كانت تضمهم بعض المؤسسات الديرية الأخرى (117) .

ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت حياة الرهبانية والدّيرية خارج حدود مصر في الجزء الشرّقي من العالم الرّوماني ، أي في بلاد الشّام وقبرص وما بين النّهرين وآسيا الصغرى) (118) ويمكن ملاحظة تطور الدّيرية والرّهبانية في هذه المرحلة وهذا أيام القدّيس باسل (329–379م) الذى استفاد من الانظمة الديرية الانطونية والباخونية ولم تعجبه (فأسس مؤسسة ديرية في قيصرية الجديدة بآسيا الصغرى ... وسرعان ما أصبحت التنظيمات التى وضعها القدّيس باسل

+ — من أهالي الوجه البحرى بمصر، ولد في أسرة قرية من أبوين وثنيين، ثم اشتغل جندياً في جيش قسطنطين حتى اهتدى الى المسيحية فانسحب الى الصحراء ليباشر حياة الرهبانية الانفرادية متبعا مذهب (العزلة عبادة) الى أن ضاق ذرعا بهذه الحياة فشيد أول دير عرفته المسيحية قرب دندرة أنظر، سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا العصور الوسطى ص139 .

(115) — نفسه ، 139 .

(116) — نفسه ، ص139 .

(117) — نفسه ، ص139 .

(118) —

لمؤسساته الدّيرية بمثابة دستور للاديرة الباسلية) (119) وصارت تنزع الحياة الديرية في الأمبراطورية البيزنطية بقية العصور الوسطى) (120) .

ونظام القديس باسل يجمع بين المثالية والواقع العملي ، اذ قضى على ما كان هنالك من أثر للعزلة والحياة الانفرادية داخل الدّير ، وجعل الرّهبان يشتركون اشتراكا فعليا في الحياة العامّة ، فنبذ اقامة الأديرة في الصحارى والمناطق النائية ، وفضل اقامتها في المدن أو على مقربة منها ، وحرّم نظامه تعذيب النّفس واهمال الجسد ، ووجه طاقات الرّهبان توجيّها ايجابيا ، وهذا بتوجيه نشاطتهم للاعمال النافعة ليس الغرض منها سد حاجة الدّير مطالبة فحسب بل مساعدة الفقراء والمحتاجين من أهل المنطقة التي يقع فيها الدّير (121) (وهكذا لم تهمل الاديرة الباسلية العمل النافع المفيد داخل الدّير ، مثل الفلاحة والنسيج وصناعة الجلود والاخشاب والبناء مع تحريم الملكية الخاصة على أعضاء الدّير بحيث لا يمتلك الرّاهب الّا ثوبه ونعليه) (122) ومن هذا يمكن القول بأن القديس باسل هو المؤسس الحقيقة المديرية ...

وعلى الرغم مما تقدمه الدّرية للمجتمع الاوروبي الّا أنه يلاحظ أنّها مقدمــــة للتفكك والانحلال ، فأصبح نظام الدّيرية من عوامل تمزيق كيان الأسرة وشل كثير من مرافق الحياة العامة ، وأثر على الدولة الرّومانية (فأستنّت قانونا يقضي بتحريـم دخول الأديرة على اللّائقين للخدمة العسكرية ، وربما كان من العوامل التي

---

(119) ــ سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص130 .

(120) ــ نفســــــ ، ص130 .

(121) ــ السّيد الباز العريني ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص168 ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص131 .

(122) ــ عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص131 .

(123) ــ نفســــــ ، ص131 .

دفعت الدّولة الى اتخاذ مثل هذا القرار هو أن الديريين أخذوا يشتبكون أحيانا مع الكنيسة و الدولة) (124) لأن الدّيريين فرضوا مبادئهم على الجامع الدّينية بالقوة ، وفي هذه الحالة يمكن اعتبار انتشار الحياة الدّيرية قد أدى الى وجود فئتين من رجال الدين الاولى ، تشمل رجال الدّين النظاميين ، أي رجال الاديرة من الرهبان الخاضعين لنظم ديرية محدودة وفئة ثانية تظم رجال الدّين (الدنيويين)(أو العلمانيين) أي رجال الكنيسة من أساقفة و شمامسة وقساوسة الذين سمّوا بذلك لأنّهم على العكس من الديّريين ، كانوا أكثر تدخلا في الحياة الدنيوية و أكثر امتزاجا بعامة النّاس (125) .

(و نتقلت الرّهبانية الشرقية الى ايطاليا حوالى سنة 339م على يد أثناسيوس صاحب المذهب المشهور ، و وصلت منها الى اسبانيا وغاليا و ايرلندا (126) (غير أن العقلية الاوروبية على وجه العموم لم ترحب بالصّرامة التى تطلّبتها هذه الحياة الدّينية الجديدة ، ولم تستحسن صورة الرّاهب المصرى و هو يطل على حجاجه وزواره (127) من علياء التّقوى الجائعة و القذرة لان العقل اللّاتيني يميل الى النّاحية العملية في الحياة (128) و يبدو المؤرخ (فشر من خلال هذا النص بعقليته الغربية التى تحتقر كل ما هو شرقي ، لهذا يظهر اللّاتيني في صورة صاحب العقلية

---

(124) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص132 .
(125) ـ نفســـــــه ص133 .
(126) ـ فشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ج1/ ص113 .
(127) ـ يعارض السيد عبد الفتاح عاشور ، هذه الرؤية: فهو يرى أن الطريقة المصرية وجدت لها صدى في غرب أوربا أنظر: عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص134 .
(128) ـ فيشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ج1/ 113 .

العملية والشرقي في صورة قذرة ، وهذا ما يبرز عقدة التفرق الغربي على

حتى في العقيدة الواحدة التي يعتنقها المسيحيون في أوروبا والمشرق على أن

هذه العلاقة عرفت اختلافات متباينة فيما بعد بين الاثناسيوسية والاريوسية

وهي لا تدخل في مجال الحديث عن تطور الديرية الرهبانية في أوروبا حتى يتسنى

لنا دراستها ومقارنتها مع نظام الربط والمرابطة في العالم الاسلامي ، ويبدو

لنا من خلال دراسات المؤرخين أن ايطاليا هي البلد الوحيد في غرب أوروبا الذى

كانت به مجتمعات ديرية منظمة ، وذلك على الرغم من حدود الاتفاق على وجود

رهبان متفرقين ، أوجماعات غير منظمة من الرهبان في كثير من بلاد الغرب (129)

ونتيجة بجهود ثلاثة رجال نفخوا في الحركة الديرية بايطاليا روحا جديدة تغيرت

الاوضاع وأعطى هؤلاء الرجال الديرية طابعا غربيا وهؤلاء هم بندكت وكاسيدور

(130) وجريجورى (131) ويهمنا في هذا المجال التعرف على النظام الديرى

البندكتي ثم بعده الديرية الايرلندية لانها مجال دراستنا المقارنة .

والقديس بندكت (هو صاحب الفضل في تأسيس النظام الديرى الذى عرف باسمه

والذى جعل الديرية الايطالية تحتل مكانة الصدارة في الغرب بعد أن حل النظام

---

(129) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص135 .
(130) ـ عاصر بندكت اعتزل خدمة المملكة القوطية في ايطاليا بعد حياة سياسية حافلة بالعمل الكثير وآثر انقطاع للحياة الديرية أسس ديرية في كلابريا موطن آبائه وأجداده وجعل من الدير مدرسة للعلم والمعرفة الدينية والدنيوية أنظر: عاشور تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص138 .
(131) ـ جريجورى الاولى هو الديرى البندكتي الذى أصبح بابا ليقوم بدور المنظم للحياة الديرية في غرب أوروبا فالفارق بينه وبين بندكت وكاسيدور هو أنه لم يسهم مثلهما بنواح مبتكرة في نظم الحياة الديرية ومثلها ولكن جهود ظهرت في تقوية هذه الحياة ونشر النظام الذى أتى به القديس بندكت وقرب بين الديرية والبابوية والكنسية واستغل جريجورى الديرية كأداة فعالة لنشر المسيحية عبد الفتاح عاشور تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص139 .

البندكتي محلّ كثير من الانظمة الدّيرية السّائدة كما تمتّع لاول مرّة في تاريخ المنظمات الدّيرية ، بتأييد البابوية وعطفها) (132) .

والقديس بندكت هذا من أسرة ايطاليا معروفة بالثّراء والجاه ، ولد حوالي سنة 480م وتلقى تعليمه في أرقى مدارس روما ولكن هذا الشّاب الورع كره حياة الفساد التي سادت روما اذ ذلك وهجر التّرف والنّعيم ولجأ الى كهف منعزل في مكان جبلي (ولم يلبث أن أدرك أن حياة الرهبنة على النحو الانعزالي لاتحقق التّنسك السليم ، لأن الراهب يلقى من المتاعب ما يدفعه الى التخلي عن الطريق القديم للزهد) (133) .

ولما ذاعت شهرته قصده النّاس طلبا للبركة ، حتى تجمع حوله عدد من المريدين وعندئذ فكر بندكت حوالي سنة 520م في الانتقال الى مكان بعيد عن روما وأرسل بعض أتباعه للبحث عن موضع أكثر ملاءمة واختار الرّهبان موضع مناسب في منتصف الطريق بين روما ونابلي عند (مونت كاسينو) حيث يوجد معبد قديم للالـــــه أبولو (وهكذا اختار بندكت ذلك الموضع لاقامة ديره الاول ... ثم أخذ رهبان الدّير الجديد يعملون في تطهير المنطقة المجاورة من الغابات والمستنقعات واستصلاح أراضيها للزراعة حتى استطاع دير مونت كاسينو أن يمدّ أهلي المناطق القريبة بالغلات والمحصولات المختلفة خلال أوقات الشّدة) (134) ولهذا انتشرت

---

(132) ـ عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص135

(133) ـ ابراهيم أحمد العدوى ، المجتمع الاوروبي في العصور الوسطى ، ص84 .

(134) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، 136 .

الدعوة الى التقشف و التنسك في غرب أوروبا لا في صورة رهبانية انعزالية بل في صورة ديرية اجتماعية وقامت طريقة القديس بندكت على قاعدة أن الانقطاع للعبادة ينبغي أن تكون مزيجاً من العمل اليدوي و الدراسة في الكتب المقدّسة و الصلاة الجامعة وعمّت الطريقة البندكتية ارجاء الغرب الاوروبي وأسهمت بسهم كبير في مضمار التقدم الانساني آنذاك (135) (وللديريين البندكتيين الفضل في تعمير الأراضي الجديدة التى استقروا بها وزرعوها بعد اصلاحها وفي العناية بالفقراء و المساكين و هم كذلك أصحاب الفضل في صون المخطوطات و نسخها حفظا لها من الضياع و النّسيان ، و الواقع لم تكن ثمة وسيلة غير الدّيرية لصون ما تبقى من نور المدينة الاوروبية حين لم يكن في أوروبا سوى ظلام الحروب و الغزوات التى أحلّت الجرمان محل الرومان) (136) .

و يحدد المؤرخ (فيشر) العوامل التى ساعدت على انتشار الديرية البندكتية في أرجاء الغرب الأوروبي و هي السّمو الرّوحي و البطولة الدينية و الخوف من عذاب الآخرة و التملص من تكاليف الحياة غير أن العامل الذى فاق هذه العوامل كلها في اجتذاب الكثيرين من الناس الى الحركة الدّيرية هو الشعور باستحالة العيش في عالم مزّقته اغارات الجرمان و دكّت أركانه الحروب و هو ذلك عالم طفحت سياسته بالاثار و الشهوات ، ومن هنا يتضح في رأى فيشر السّر في ميل الكثيرين من الناس الى حياة التنسك (137) (اذ قطعوا الامل في الدنيا و ما فيها من الناس، فاسحبوا من

---

(135) ـ فيشر ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص 113 .

(136) ـ نفسه ، ص ص 113 ـ 114 .

(137) ـ نفسه ، 114 .

الظلمة والفوضى المحيطة بهم في هذه الدّنيا الى النور والهدى الذى وعد المسيح بهجميع المتّقين) (138)

وأما الدّرية الايرلندية ، فيرجع الفضل في تأسيسها الى المبشر الايرلندى (كولمبانوس Columbanus) وقبل هذا كانت الارساليات البندكتية التي قصدت انجلترا وغاليا الفرنجية ، وقد صادفت في طريقها نوعا من الاديرة الكلتية التي انتشرت من أيرلند الى انجلترو غاليا والمانيا (139) .

وعلى الرّغم من أن المسيحية كانت معروفة في ايرلندا (140) الا أنّها لم تتحول الى الكنيسة الغربية الّا في عهد القّديس (باتريك) الذى يرجع له الفضل في تأسيس أسقفة أرماغ في الشمال الشرقي من ايرلندا سنة 445م (ويبدو أن تطرف ايرلندا وعزلتها ساعدت على احتفاظ الكنيسة الايرلندية ببعض الاوضاع الكنسية القديمة بعد أن درست هذه الاوضاع واختفت من صلب القارة وكان من المستحيل أن تقبل الكنيسة الرّومانية هذه الاوضاع لذلك بدأ الخلاف بين الايرلنديين والبابوية منذ عهد البابا جريجورى العظيم ولم ينته هذا الخلاف حتي سنة 733م عندما قبل الايرلنديون الأوضاع المعمول بهافي الكنيسة الرّومانية) (141) .

واستطاع القديس كولمانوس تحويل القبائل الوثنية في اسكتلندا الى المسيحية بعد تأسيسه الاديرة بها ، وتعتبر الدّيرية الايرلندية التي جدد فيها كولمبانوس الدّيرية البندكتية من النماذج الفريدة من نوعها في أوروبا من حيث وفرة المخطوطات

---

(138) ــ فيشر ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ،جـ1/ 114 .
(139) ــ سعيد عبد الفتاح عاشور ،تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص140 .
(140) ــ أنظر: Dom Charles Poulet, in Notice du Chand . P.141

وحماستها الدّينية التي أشعلت حركة التبشير في أوروبا العصور الوسطى ، حتى استاعت هذه الديرية الايرلندية الامتداد الى انجلترا والاصطدام بالديرية البندكتية في الجنوب ، وفي المانيا وايطاليا وسويسرا وغاليا ،وعلى الرغم مما عرفت به نظام الاديرة الايرلندية من تطور في أعمال الزراعة وحماسة في نشر المسيحية في أوروبا ،فانها لم يقدر لها البقاء طويلا لان كولمبانوس لم يقرر وسيلة للرّبط بين هذه الاديرة بعضها ببعض ،كما أنه اصطدم في سيره بالنظام البندكتي ولما كانت الاديرة البندكتية ذات صبغة عملية أوضح فضلا عن تمتعها بعطف البابوية ورعايتها ،فان نظام القديس كولمبانوس (ت 615م) لم يستطع الثبات طويلا (142) .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا كيف قام الدّيريون بدور فعّال في نشر الدّيانة المسيحية ، ونشر الامن بين الفقراء والمستضعفين في عهد الفتن والاضطرابات على الرغم من اعتناق الجرمان للمسيحية وتبنيهم للحضارة الرومانية (143) .

و(أما في الميدان الاقتصادى فان نشاطهم أدى الى اصلاح كثير من الاراضي والنّهوض بالزراعة ،زيادة على جهودهم العملية في النسيج والصباغة ودبغ الجلود وصناعتها الأمر الذى تبعه نبوغهم في زخرفة المخطوطات وتزيينها) (144) .

ويتضح أيضا من الموازنة بين الديرية في الشرق والغرب أن الاولى أداة روحية

---

(142) ـ عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ،ص142 ـ 143 .
(143) ـ كافين رايلي ،الغرب والعالم ،تاريخ الحضارة من خلال موضوعات (سلسلة عالم المعرفة) القسم الاول ،ترجمة عبد الوهاب محمد المسيرى، و هدى عبد السميع ، مراجعة فؤاد زكريا المجلس الوطني للثقافة والاداب رمضان ميو الكويت 1405هـ / 1985م ص180
(144) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ،تاريخ أروربا في العصور الوسطى ، ص145 .

بحتة بعيدة كل البعد عن الميدان الحضاري بينما الدّيرية الايرلندية أصبحت مراكز للحضارة والعلم ومؤسسات اقتصادية وجامعية في ظلمة العصور الوسطى (145) ـ(هذا الى أن عظمة الديرية البندكتية لا تتمثل في الموازنة بينها وبين الديرية الشّرقية بقدر ما تتمّثل في الاثر الذى تركه النّظام البندكتي في حياة العصور الوسطى وتفكيرها) (146) وبعد استعراضنا لدور هذه المؤسسة الدّينية في أوروبا والمشرق يطرح علينا بالحاح سؤال هام :ـ هل هناك تأثير بين الربط والمرابطة في عالم الاسلامي ، بينها وبين الرّهبانية والديرية في عالم العصور الوسطى المسيحية في أوروبا ؟ .

الرّهبانية من وجهة نظر الاسلام لا نقول فيها الاّ ماقال القرآن نفسه في سورة الحديد (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون) (147) .

وفسّرها ابن كثير 774هـ/ 1374م فقال : (ورهبانية ابتدعوها اى ابتدعتها أمّة النّصارى حتى ذمّهم الله لابتداعهم في دين الله وفي عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنّه قربة يقربهم الى الله عزوجل* .

---

(145) ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، 145 .
(146) ـ نفســـه ، ص145 .
(147) ـ سورة الحديد : آية 27 .
*ـ أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (مختصر تفسير الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابن كثير) اختصار وتحقيق ، محمد علي الصابوني ، المجلد الثالث ، الطبعة السادسة دار القرآن الكريم ، بيروت 1981 ، ص456 .

والنّصوص الاسلامية تدعو الى الاعتدال وتحذّر من مغبّة التطرف الذى يعبّر عنه لسان الشّرع بعدّة ألفاظ منها (الغلو) و (التنطّع) و (التّشديد) (148) وفي الحديث ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغلو ويخوّف من التنطع عند عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (اياكم و الغلو في الدين فانّما هلك من قبلكم بالغلو في الدّين) (149) والمراد بمن قبلنا : أهل الاديان السابقة وخاصة أهل الكتاب وعلى الاخص النصارى (150) وقد خاطبهم القرآن بقوله : (قل يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلّوا عن سواء السبيل) (151) والنّصارى أكثر غلوا في الاعتقاد والعمل من سائر الطّوائف واياهم نهى اللـــه عن الغلو (152) (ومن أجل هذا قاوم النبّي كل تجاه ينزع الى الغلو في التدّين وأنكر على من بالغ من أصحابه في التعبد والتقشف مبالغة تخرجه عن حدّ الاعتدال الذى جاء به الاسلام . . . فقد شرّع الاسلام من العبادات ما يزكي نفس الفرد ويرقى به روّحيا وماديّا وما ينهض بالجماعة كلّها ويقيمها على أساس من الاخوة والتكافل دون أن يعطّل مهمّة الانسان في عمارة الارض فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادات فردية واجتماعية في نفس الوقت فهي لاتعزل المسلم عن

---

(148) — يوسف القرضاوى ،الصحوة الاسلامية بين الجمود والتطرف (كتاب الامة) الطبعة الثالثة دار الشهاب باتنة الجزائر 1402هـ/ ص24 .
(149) — رواه أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه في سننهما .
(150) — يوسف القرضاوى ، الصحوة الاسلامية ، ص25 .
(151) — المائدة : آية 77 .
(152) — يوسف القرضاوى ،الصحوة الاسلامية ص25 .

الحياة ولاعن المجتمع بل تزيده ارتباطا به شعوريا وعمليا ومن هنا لم يشرع الاسلام الرّهبانية) (153) بل يدعو الدين الحق الى تزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل (154) وأنكر القرآن الرهبانيـــة التي تفرض على الانسان العزلة عن الحياة وطيباتها قال تعالى : (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا أنّه لا يحب المسرفين ، قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرّزق) وقال أيضا : (ياأيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحّب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) (156) .

أمّا الرّهبانية في الاسلام كما جاءت في الحديث الشريف فهي الجهاد في سبيل الله عزّ وجل ، والجهاد رأس العبادات وذروتها (157) ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل اللــه عزّ وجل) وفي رواية (لكل أمّة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله) (158) اذن فالجهاد رهبانية الاسلام ويرى المستشرق نيكلسون (1868 – 1945م) (159) أن الحديث الشّهير الذي نطق به الرسول صلى اللــه

---

(153) – يوسف القرضاوي ، الصحوة الاسلامية ، ص27 .

(154) – أبو الحسن الندوي ، ربانية لا رهبانية الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة بيروت 1984، ص8 .

(155) – الاعراف : آية 31 .

(156) – المائدة : 87 – 88 .

(157) – أبو الاعلى المودودي الجهاد في سبيل الله ، ط6 مؤسسة الرسالة بيروت 1983 ص10

(158) – انظر تخريج هذه الاحاديث وتفسيرها : ابن كثير (مختصر ابن كثير) ، ص456 .

(159) – تخرج نيكلسون بتفوق من كلّية اللغات الشرقية "(كلّية ترنتي بكمبودج) ثم ذهب الى ستراسبورغ وليدن ، ثم عاد الى كمبردج واشتغل مدرسا للفارسية مدة ربع قرن وعد نيكلسون حجة في التصوف الاسلامي انظر: رينولد ألن نيكلسون ، التصوف (تراث الاسلام تأليف بعدة من المستشرقين باشراف سير توماس أرنولد ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله الطبعة الثالثة ، دار الطليعة بيروت 1978 ، ص303 .

عليه وسلم (لا رهبانية في الاسلام) كان في الحقيقة شجبا للعقيدة النّصرانية هذه وبرهانا على كبر نفوذها في الوقت نفسه (160) والمأثور عن النّبي أنّه شجب الرهبانية وبضمنها العزوبية كما ورد ذلك في القرآن الكريم (161) ويضيف نيكلسون فيقول : (ولكنّ تفسير الآية السابعة والعشرين من سورة الحديد الذي ساد حتى نهاية القرن الثالث الهجري يدل على أن النّبي امتدح الرّهبانية بوصفها مدرسة أمرت بها المشيئة الالهية وان تنديد بها كان منصبّا على أولئك الذين أفسدوها) (162) .

ولكن الدراسات الاسلامية التي تناولت تفسير سورة الحديد وشرحت أحاديث الغلو والتطرف والتنطع تؤكد على أن الرّهبانية ابتدعها النّصارى وما رعوها حق رعايتها ولم يأمرهم بها الله سبحانه وتعالى ، وبذلك نرى أن نيكلسون في تفسيره للنصوص الاسلامية قد جانب الحقيقة العلمية .

اذا كان هذا موقف القرآن الكريم والسنّة النّبوية من الرهبانية ، فكيف كان واقع المسلمين ؟ .

يحاول الباحثون الموازنة بين المرابطة والتّصوف في الاسلام وبين الرّهبانية والديرية في المسيحية ، كما وازنوا بين الرّباط والدّير ، ومن خلال ما تقدم تعرفنا على أن الرّباط الاسلامي ظهر نتيجة الظروف الحربية التي عرفها المسلمون في الشرق

---

(160) ـ يرى الاستاذ الندوي أن الرهبانية في نهاية القرن الرابع الميلادي وصلوا عدد أهل مصر. أنظر: أبو الحسن علي الحسني النّدوي ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين الطبعة الرابعة، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية العالمية الكويت 1978 ص234 .

(161) ـ رينولد نيكلسون ، التصوف (تراث الاسلام) ص309 .

(162) ـ نفسه ، ص309 .

و الغرب وعلى الاخص أثناء غياب الاسطول الاسلامي و سرّ وجود الرّباط ناتج عن الصراع المرير الذى قام منذ ظهور الاسلام بين النظام الاسلامي و النظام البيزنطي (163) (و هو صراع بدأت تدور رحاه في الحوض الشرقي من البحر المتوسط فانتقل شيئا فشيئا نحو الغرب) (164) ويؤكد غالبية الباحثين أن الرباط الاسلامي مستمد من المصطلح القرآني المذكور في سورة آل عمران (يا أيها الذين آمنوا أصبروا و رابطوا و اتقوا الله لعلكم تفلحون) (164) و الصبر و المصابرة و الرباط و المرابطة هنا من مواطن الجهاد عند المسلمين (165) .

و يرى الباحثين أن (لفظة المنستير لفظة يونانية لا طينية اعتاد أهل البلاد اطلاقها على المؤسسة النّصرانية التى يؤمها الرّهبان و التى تسمى بالعربية الدّير فلماجاء هرثمة بن أعين بمؤسسة الرباط الى تونس لم ير أهل البلاد في هذه المؤسسة من حيث نظامها و من حيث معمارها بشيئا يختلف كثيرا على الاقل حسب ظاهره الدّير أو المنستير فأطلقوا على الرّباط الاسلامي نفس الاسم الذى كانوا يطلقونه على الدير النصراني) 166) .

وعرف المسلمون الاديرة و الحصون الرّومانية بحكم احتكاكهم بالمسيحيين أيام فتوح الشام ومصر ، الا أنه يصعب التّسليم بقبول فكرة التأثير المسيحي في الرّباط

---

(163) ـ سليمان مصطفى زبيس ، المنستير ماضيها و معالمها التاريخية ، ص4 .
Margais, note sur les ribats en Berbérie : P2.

(164) ـ نفســـــ ،، ،، ص4 .

(165) ـ محمد شديد ، الجهاد في الاسلام مؤسسة الرسالة بيروت 1981 ص116 .

(166) ـ سليمان مصطفى زبيس ، المنستير ماضيها و معالمها التاريخية ، ص4 .

و الزّوايا فاذا وازنا بين دور الرّبط و الزوايا الاسلامية ، وربط المغرب على الخصوص و بين دور الاديرة البندكتية و الايرلندية ، نجد بعض المهام المشتركة كالوظائف الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي أدتها الاديرة المذكورة و الرّبط الاسلامية ، الّا أن وجه الاختلاف باق بين المؤسستين الاسلامية و المسيحية و هو بقاء تدلّ عليه الاختلافات الموجودة من حيث الغاية و التصميم المعماري فمن جانب الغاية و الهدف نلحظ أصالة الرّبط الاسلامية ، من خلال المصطلح (167) وأما من حيث التصميم المعماري فالرّبط في تصميمه استمد مظاهر القوة من القرآن الكريم ولم تعرف الرّبط و العمارة الحربية و الدينية الاسلامية محاكاة الطبيعة فعند معالجة فن البناء العسكري ، ينصرف المعماري المسلم عن التجسيم ابتعادا واضح الاثر في كل ما انتجه من أعمال (168) وعلى الرّغم من حضور الموروث البيزنطي في فضاء بلاد المغرب الاسلامي من قلاع و حصون الى كنائس (169) فاننا نستبعد تأثر العمارة الحربية المغربية (170) من قلاع و حصون و ربط بالعمارة البيزنطية لان اجماع المؤرخين على وجود مدرسة معمارية مغربية استمدت جذورها من القيروان في الهندسة المعمارية الدينية ، و من المنستير في الهندسة المعمارية

---

(167) — يتضح المصطلح الاسلامي في الدور التي قامت من أجله .

(168) — أبو صالح الالفي ، الفن الاسلامي ، ص83 .

(169) — أنظر Golvin Lucien, Essai sur l'architecture musulmane (L'architecture des grandes mosquées Abbassides de Ibn Touloun, l'architecture des Aghlabides T3 édition Klincksieck Paris 1974. P[illegible]

(170) — أنظر قلعة بني حمّاد مثلا : Golvin Lucien, Le Maghrib central à l'époque des Zirides (recherche d'archéologie et d'histoire) France 1957 P183.

الحربية (ربط و . رو أبراج) يدعونا الى الذّهاب أكثر من هذا الى القول بأن المدرسة المغربية و الرّباط الاسلامي ابتعدا عن مظاهر الفن المعماري المسيحي الدّيني و الحربي ولأن المسلمين قد عرفوا انحراف المسيحية عن التوحيد نظرا لتأصل عبادة الصورفي نفوسهم رغم وضوح تحريمها حتى في بعض قرارات المجامع المسكونية (171) .

(وقد أسرف المسيحيون في عبادة القدّيسين و الصّور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك في هذا العصر) (172) لهذا السبب ابتعد المسلمون عن تقليد العمارة المسيحية ، أما التّصوف الاسلامي ،فهو مختلف عن الرّهبانية فاذا كانت الرّهبانية بدعة ابتدعها المسيحيون ،فان التّصوف الاسلامي قبل جناية الدّجالين و المحترفين عليه وغاته من صميم الدّعوة الاسلامية فاذا عدلنا عن مصطلح التّصوف الذى شاع في القرن الثاني للهجرى (ورجعنا الى الكتاب و السنة وعصر الصحابة و التابعين و تأملنا في القرآن و الحديث وجدنا القرآن ينوه بشعبة من شعب الدّين و مّدمة من مهمات النّبوة يعبر عنها بلفظ (التّزكية) و يذكرها كركن من الاركان الاربعة التي بعث الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم لتحقيقها و تكميلها) (173) يقول تعلى : (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (174) هذه الشّعبة هي تزكية النّفوس و تهذيبها و صحب

(171) ـ محمد أبو زهرة،محاضرات في النصرانية ،ط4،دار الفكر العربي القاهرة 1972 ص163 .
(172) ـ أبو الحسن النّدوى،ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،ص42 .
(173) ـ أبو الحسن ،النّدوى ، ربّانية لا رهبانية ، ص8 .
(174) ـ الجمعة : آية : 2 .

هذه الصفات الاحسان والصّبر والزّهد وغنى القلب والتوكل والايثار والجهاد في سبيل الله والاخلاص والخشوع في الصلاة هذه هيّ صفات الصوفية العارفين قبل جناية المضللين والمقلّدين والفلاسفة الملحدين وقبل جناية الاستشراق عليه مدعين أن التصوّف الاسلامي له جذوراغريقية ورومانية ومسيحية .

فالزّهاد والعباد من هذه الامّة اتخذوا الاسلامية في الرّبط والزّوايا باخلاص دون انحراف عن القرآن والسّنة (175) .

أما الرّهبانية التي لها تأثير عميق في حياة المجتمع الاوروبي فانها قد أحدثت انقلابا في المجتمع وهذا بتفكك الاسرة وتأرجح المجتمع بين الرّهبانية والفجور حتى وصف أحد الاوروبيين مجتمعه في القرن الرابع الميلادى فقال: (ان التبذّل او الاسفاف قد بلغا غايتهما في أخلاق الناس واجماعهم ، وكانت الدّعارة والفجور والاخلاء الى التّرف) (176) ولا يتوهم أحد أن هذه الرّهبانية قد عدّلت من شره المادّية الرومانية التي عرفتها أوروبا في القرن الرابع الميلادى (177) .

أما الصوفية والمرابطون فقد كانوا يبايعون النّاس على التوحيد والاخلاص واتّباع السّنة والتّوبة عن المعاصي وطاعة الله ورسوله ويحذّرون من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئة والظلم والقسوة ونتيجة لاخلاق هؤلاء الصالحين والدّعاة اهتدى بهم خلق عظيم وتابوا عن سالف أعمالهم (178) .

---

(175) ـ أبو الحسن النّدوي ، ربانية لا رهبانية ، ص9 .
(176) ـ أبو الحسن النّدوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص240 .
(177) ـ نفسـه ، ص242 .
(178) ـ أبو الحسن النّدوي ، ربّانية لا رهبانية ، ص97 .

واذا وجد تشابه بين الاديرة البندكتية والايرلندية بينها وبين الربط في المغرب الإسلامي فهو تشابه في مجالات اقتصادية واجتماعية وثقافية بينما لا يمنع هذا من وجود فروق كبيرة بين العباد والزهاد والمرابطين المسلمين ورجالهم والرهبانية ورجال الدين المسيحيين وتتجلى هذه الفروق أيام المواجهة بين العالمين الاسلامي والمسيحي في الحروب الصليبية وفي غيرها من الحروب. فالمسلم الزاهد بشهادة علماء الغرب يتمتع بانسانية عالية من خلال تسامحه أو معاملة للأسرى المستضعفين من الصليبيين ، بينما صاحب الحروب الصليبية ارهاب وقسوة ووحشية من قبل الصليبيين فاقت كل التصورات (179) كما لم يقم المرابطون والمتطوعة من عامة الأمة الاسلامية بما قامت به هيئة الداوية (180) وهيئات صليبية أخرى (181) تدعي حماية الحجاج المسيحيين .

وأصبح الفرسان الرهبان ، بما اشتهروا به من نظام قوي وبما ذاع لهم في العالم

(179) ــ كافين رايلي ، الغرب والعالم ج1/ ص197 .

(180) ــ تأسست هذه الهيئة الصليبية عام 512هـ/ 1118م لتتحمل مسؤولية حماية حجاج بيت المقدس وحراسة الطرق المؤدية اليها ، وقد حاربت هيئة الداوية المسلمين الى جانب قيامها بدورها الذي تأسست من أجله ، ويطلق عليها أيضا : فرسان المعبد ؛ أنظر : محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص96 . عاشور تمحوت ، الدور الصليبي لهيئة الداوية في الشام ومصر (1118ــ 1302) اطروحة الدراسات المعمقة (غير منشورة) معهد التاريخ جامعة الجزائر 1982 ص6 وما بعدها .

(181) ــ هناك هيئات صليبية عسكرية كثيرة أهمها الاسبتارية أو فرسان القديس يوحنا يرجع تأسيسها الى ما قبل الحرب الصليبية الاولى وكانت لها مشاركة قوية في محاربة المسلمين والدفاع عن المصالح الصليبية وبعد فتح بيت المقدس من قبل صلاح الدين تحول رجال الاسبتارية الى مدينة عكا ، ثم جزيرة قبرص فجزيرة رودس واستمروا فيها الى غاية 1522م وكان وجودهم بورودس دام من 710هـ الى 929هـ 1310ــ1522م انظر: محمد العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص97، ستفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء الثاني ص 249 .

المسيحي بالغرب من صيت ومكانة يستطعون أن يكفلوا لمولك بيت المقدس المدد الكافي ، وهذا مما زاد في عمر الامارات الصليبية في المشرق الاسلامي (182) وهذه الادوار الصليبية التي تعزم بها الهيئات الدينية العسكرية (الداوية والاسبتارية) رسخت النّزعة العدوانية في الثقافة الغربية واكسبت الفلسفة الغربية قبل الحروب الصليبية بقليل مناعة ضد السلام العالمي وأعلنت الحرب على المسلمين باسم الصليب والحضارة المسيحية (183) .

وظلت مقولة بولس : (القتال في سبيل المسيح) مرادفة في بلاد الشام للخدمة العسكرة التي يؤديها فرسان المعبد وفرسان القديس يوحنا وبذلك يتضح الفرق الواضح بين دعاة الخير والامن والانسانية من المسلمين وبين دعاة الحرب من أجل المسيح من رهبان وأمراء وملوك اقطاعيين .

والحرب في تصور الزّهاد والعباد ، الغرض منها ونتيجتها هو وقف الاعتداء والظلم واستتاب الامن وعبادة المسلمين ربّهم آمنين في دينهم ووطنهم واعلاء كلمة الحق ودعوة الدّين وتنفيذ شريعته وكل هذا تعود مصلحته الى البشر كلهم مسلمهم وكافرهم (184) .

وقد علّمت الحروب الصليبية المسلمين والبيزنطيين على حدّ سواء أن يكرهوا الغرب كما لم يكرهوه من قبل وقد خلص دبلوماسي بيزنطي الى أن (الغرب يعني

---

(182) ـ ستيفان رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج 2/ 251 .
(183) ـ كافين رايلي ، الغرب والعالم ج1/ ص195 .
(184) ـ عبد الله بن زايد آل محمود ، الجهاد المشروع في الاسلام ، الجزء الأول الطبعة الثانية مؤسسة الرّسالة بيروت 1982 ، ص57 .

الحرب و الاستغلال و روما الغربية هي (أم الشرور كلّها) (185) .

وبذلك يتضح الفرق الجلي بين الرّبط و المرابطة و التصوف الاسلاميّ* و الرهبانية انه الفرق بين الخير و االسلم و بين الشر و الحرب . و هذه العلاقة حققها العالم الاسلامي رمز الخير بزهاده وعباده و مثل الغرب الصليبي الشر برهبانية وفرسانه .

وخلاصة القول: إن الرُّبُط قامت بدور معماري في بلاد المغرب ، مما أعطى للرُّبُط المغربية ميزة خاصة عن بقية رُبُط العالم الاسلامي في العصور الوسطى .

كما أن الرّبط المغربية و الأندلسية من حيث تصاميمها المعمارية- تظهر وحدة العمارة الاسلامية مما يبرز التّواصل المعماري بين رُبُط المشرق وربط المغرب وحينما وازنّا بين الرّبط و المرابطة في العالم الاسلامي و نظام الرّهبانية و الديرية في أوروبا العصور الوسطى ، استخلصنا أن الرّبط المغربية الاسلامية بعيدة عن تأثير المؤسسات الدينية و الحربية المسيحية على الرّغم من حضورها في الفضاء المغربي أيام البيزنطيين و الفتح الاسلامي ، رغم محاولة بعض المستشرقين و بعض المؤرخين المسلمين السّير في نفس الطّريق الذى يقول بوجود تأثيرات المسيحية في الرّبط الاسلامية و التصوف الاسلامي وقد بينا مما لامجال فيه للشك الفروق الجلية بين المؤسسة الاسلامية (الرّباط) و المؤسسة المسيحية (الدّير و الرهبانية)

---

(185) ـ كافين رايلي ، الغرب و العالم ج 1/ ص 198 .

* ـ عن الزّهد و التصوف من وجهة نظر استشراقية: أنظر أجناس جولد تسيهر ، العقيدة و الشريعة في الاسلام ترجمة: محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، علي حسن عبد القادر ، دار الرائد العربي 1946 ، ص ص 119 ـ 166 .

بما يكفي للاستنتاج والبرهان على أصالة الرّباط في المغرب 186) " وبلاد العالم الاسلامي ورغم أسبقية ظهور الدّيرية والرّهبانية فان نظام الكثير من المؤسسات المسيحية كالداّوية (فرسان المعبد الذين تكونوا بفلسطين) والاسبتارية كان مستمدا في أوائل القرن الثاني عشر من التنظيمات الاسلامية خاصة منها نظام الرّباط (187) .

ويرى بعض كبار المؤرخين الاسبان المحدثين أن النّظم الدّيرية العسكرية (Military Orders) التي برزت الى حيز الوجود في شبه الجزيرة الايبيرية ابتداءً من منتصف القرن السادس/ الثاني عشر الميلادي كنظام قلعة رباح

---

(186) ـ يبرز عثمان الكتّاك أصالة الرّباط المغربي فيقول : (وأسس البربر الرّابطة وهو رباط أو رابطة أي حصن على جبل تجمع فيه قوات القبيلة ومدخراتها من الزاد ويتولى بعض أفراد القبيلة حمايتها ، وأسس النّصارى أي مركز عبادة للزهاد وفيه خلوة وانفراد وأسس الايرانيون السّاسمانيون ضروح الاموات وهي منائر تضئ السّبيل وتطرح بها الاموات للتفترسها الجوارح أما الرّباط المغربي فهو كلّ هذا في الآن الواحد ، فهو ليمارس الحراسة الثغور البّرية أو البحرية ورابطة لجمع الزّاد الجماعي وحمايته ومنستير للتعبّد ومنارة لايضاح السبيل واقامة العلامات النّارية للبريد بالليّل وحمام الزّاجل بالنّهار ، فكان الخبر يصل في ليلة واحدة من سبتة الى الاسكندرية) أنظر عثمان الكعاك ، مراكز الثقافة في المغرب ، ص37 .

(187) ـ عبد العزيز بنعبد الله ، معلمة الفقه المالكي ، ص47 .

وسانتياغو و القنطرة أن هي الّا تقليد للمرابطات الاسلامية في مناطق الثغور الاندلسية حيث كان المرابطون فيها يجمعون بين العبادة و الجهاد في سبيل الله و الدفاع عن أرض الاسلام (188) .

يقول أحد المؤرخين انه (قبل ظهور الدّيرية العسكرية لدى النّصارى بقرون كان لدى المسلمين الرّباطات التى كان يعتكف فيها الزّهاد للعبادة و الدّفاع عن الحدود ، و هكذا فاننا نجد اليوم في كل من اسبانيا و البرتغال أماكن كثيرة تحمل اسم (Rabida Rapita) وما احتفاظ الاسبان والبرتغاليين بأسماء هذه الاماكن سوى دليل على وجود رباطات اسلامية كانت تحمل هذا الاسم) (189) كما يعبر هذا في الغرب الاسلامي على تأثير نظام الرّبط في نظم الديرية العسكرية المسيحية في أوروبا العصور الوسطى (بعد الحق الا الضلال) (190) .

---

(188) ـ أمين توفيق الطيبي دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الاندلس ص 273 .

(189) ـ نفسه ص 273 .

(190) ـ صورة يونس الآية 32 .

الخاتمة

لقد أبرزت هذه الدراسة جملة من الحقائق نستخلص منها :

ـ ((ان منشأ الثغور والربط في التنظيم الاداري والعسكري الاسلامي في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ،وبقية الحدود الشرقية للعالم الاسلامي ،يبدأ من الاحتكاك الحربي بين المسلمين والقوى المحيطة بهم ،وهذا ما أوجد استراتجية ((الأعمال الثغرية والمرابطة)) ضمن التعبئة العسكرية ،وصد غارات الأساطيل البيزنطية في غياب البحرية الاسلامية ،وهذه المواجهة بين الدولة الاسلامية والبيزنطيين ،بدأت أيام الراشدين كأعمال دفاعية في مصر والشام ،وتبلورت في العهد الأموي ونضجت أيام العباسيين.

واتضح لنا في نهاية الفصل الأول أن حاجة المشرق الدفاعية ،فرضت وجود سلسلة من القلاع والحصون والربط ((وضعت في تاريخ المسلمين في المشرق بداية ومنطلق لمفهوم جديد للجهاد في الاسلام)).

ولا يمكن ادراك كيف عادت القدس الى المسلمين ، الا اذا قدرنا ما للمرابط من دور فعآل في تغيير المفاهيم السلبية التي كانت تسود الأمة ،حتى حدث ما لم يكن في الحسبان اذ أن التغيير الذي حدث خلال نصف القرن الذي مرّبين مذابح المسلمين في الرّها وأنطاكيا وساحات الأقصى ،وبين ظهور نور الدين وصلاح الدين وانتصاراتهما في ((حطين)) ،وأمثالها ،يبرزلنا دور حجة الاسلام الغزالي والمجاهد العالم عبد القادر الجيلاني[+++] في تكوين جيل الدولة الزنكية الخالدة ، مثل فيها هذا الجيل المسلم صورة رائعة للجهاد عند المسلمين الذين حرّروا الشام ومصر ،وطردوا الصليبيين ،وفكّروا في بناء الوحدة الاسلامية المنشودة ،وعبّرعن هذه النّية الطيّبة صلاح الدين الأيوبي حينما مدّ يده للمنصور الموحدي في المغرب.

ـ لقد اضطلع الرباط برسالة حضارية في المغرب الاسلامي في عهود الدول المتعاقبة الى قيام الدولة المرابطية ،ومثل عصر ((القيروان)) بداية الأعمال الثغرية في ولاية المغرب ،واعتبر الدارسون عصر الأغالبة أزهى . أيام الربط والمرابطة مما أعطى للمنطقة بعدها الاسلامي الخالد وزكّاها بنفحة ((زهدية مميزة)) عن بقية العصور الأخرى .

ومن الواضح أيضا أن دور الربط في العهد المرابطي ،قد أنهى المرحلة المهمة لهذه المؤسسة الحربية والدينية وأدخلها في القرن الخامس الهجري ((عصر المرابطين))

+++ ـ يمكن مراجعة هذا الدور الحقيقي بالتفصيل في كتاب الدكتور ،ماجد عرسان الكيلاني ،هكذا ظهر جيل صلاح الدين الأيوبي ،الطبعة الأولى الدار السعودية للنشر والتوزيع 1985م.

وهو عصر ((دولة الرباط)) ، ويعود الفضل في هذه المرحلة الحاسمة الى الفقيه المصلح عبد الله بن ياسين الذي استوعب تاريخ الدعوة الاسلامية لهذا أقام دولته على أسس ثابتة وعلى منهج ((نبوي)) خالد استخلصه من عهد النبوة والراشدين .

لقد أكمل الموحدون رسالة الرباط في الصدر الأول من حكمهم الى غاية تحول الرباط الى زاوية وكانت النتيجة المستخلصة أن حرّاس الثغور من المرابطين والمتطوعة من العدوة المغربية هم الذين حركوا تاريخ الأندلس ((أرض الجهاد)) ، ولما تمكن المستردون الأسبان من فهم جدلية ((تاريخ العدوة الأندلسية)) القائم الجهاد والوحدة بين العدوتين فوتوا الفرصة على المسلمين وفصلوا بين المغاربة والأندلسيين وهذا بسيطرتهم على بحر الزقاق فتغيرت موازين القوى ، وانفرد المستردون ((بغصن الأندلس الرّطيب)) وطردوا أهل البلاد بعد ما كانوا ((همزة وصل بين حضارة النور بالأندلس وأوروبا العصور الوسطى المظلمة)) .

والمفيد أن هذه الدراسة التي أبرزت نماذج للقونين التاريخية التي يجب أن تفرزها مثل هذه الدراسة التاريخية وتظل الحاجة الملحة قائمة الى الاستراتيجية الّصائبة ((وهذا يعني أنه اذا كانت بلاد الشام هي ((الرباط)) الخاص بالمدافعين و ((الثغر)) الذي يتسلل منه الغزاة فان ((الهلال الأمني)) المكون من الشام ومصر والمغرب الاسلامي اضافة الى آسيا الصغرى ان أمكن و هو ((رباط المهاجمين الفاتحين)) ، أما ما وراء ذلك العمق الجغرافي فهو مركز التفاعل الاسلامي ومركز الامداد وروافد القوة)) ومن هنا يمكن القول هكذا ظهر جيل صلاح الدين ، وهكذا عادت القدس ، وهكذا ظهر جيل ابن تاشفين ، وهكذا انتصرنا في معركة الزلّاقة الخالدة ، ولنا في التاريخ عبرة ومنهاج .

قائمـــــة المصــــادر والمـــــراجــــع

=0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =0 =



أولا : المصـــــادر

1ـ ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي (ت 658هـ/ 1260م) الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، الجزء الثاني الطبعة الأولى ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة 1963.

2ـ ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت726هـ/ 1325م) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة الرباط 1973.

3ـ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/ 1232م) :ـ

أولا : الكامل في التاريخ ، مراجعة نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي بيروت 1980م.

ثانيا : الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، دار الكتب الجديدة بالقاهرة ، مكتبة المثنى بغداد (دون تاريخ) .

4ـ الادريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودي الشهير بالشريف الادريسي القارة الافريقية وجزيرة الاندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق) تحقيق و تقديم و تعليق اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983م.

5ـ الاصطخري أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (توفى النصف من القرن 4هـ) مسالك الممالك ، نشره دي خوية بريل 1927م.

6ـ الألوسي البغدادي شهاب الدين محمود (ت1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، الجزء العاشر دار احياء التراث العربي بيروت 1986م .

7ـ ابن بسّام أبو الحسن علي الشنتريني (ت542هـ/ 1148م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق احسان عباس القسم الأول المجلد الثاني ، الطبعة الأولى دار الثقافة بيروت 1978م .

8ـ ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي ت578هـ/ 1183م كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، الجزء الأول ، لجنة التأليف للطباعة و النشر القاهرة 1966م .

9ـ البرتلي الولاتي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني و محمد حجي ، الطبعة الأولى ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر دار المغرب الاسلامي بيروت 1981م

10 ـ البكري أبو عبيد (ت487هـ/ 1094م) كتاب المغرب في ذكر افريقية و بلاد المغرب ، نشر و تعليق و ترجمة دي سلان الطبعة الثانية مكتبة أمريكا

+ ـ ملاحظة عامة حول المصادر و المراجع المعتمدة :ـ
توجد عدّة مصادر و مراجع اعتمدت عليها و لم أذكرها ضمن هذه القائمة خشية الإطالة
و اكتفيت بذكرها في الهوامش لا غير ...

و الشرق باريس 1965م

11ـ البلاذري أبو العباس أحمد بن يحيى (ت279هـ/ 892م) فتوح البلدان تحقيق صلاح الدين المنجد (ثلاثة أجزاء) مكتبة النهضة المصرية القاهرة

12ـ البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي كتاب أخبار المهدي بن تومرت تقديم و تحقيق و تعليق عبد الحميد حاجيات الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1974م.

13ـ التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي المعروف بابن الزيات ، التشوف الى رجال التصوف اعتنى بنشره و تصحيحه أدولف فور ، مطبوعات افريقيا الشمالية الفنية الرباط 1958م.

14ـ ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ/ 1327م) الفتاوى الكبرى ، المجلد الرابع ، دار المعرفة للطباعة و النشر بيروت 1978م.

15ـ ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي ، (ت614هـ/ 1213م) رحلة ابن جبير ، دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب العربي بيروت القاهرة (دون تاريخ) .

16ـ ابن الجزار أحمد القيرواني (ت369هـ/ 980م) كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم ، تحقيق و تقديم محمد الحبيب الهيلة ، الطبعة الثانية دار الغرب الاسلامي بيروت 1984م.

17ـ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/ 1063م) جمهرة

أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر 1977م .

18ـ ابن حمّاد أبو عبد الله محمد بن علي بن حمّاد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (ت626/ 1230م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق وتعليق جلّول أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م .

19ـ ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت368هـ/ 979م) كتاب صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1979م .

20ـ ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي (ت469هـ/ 1076م) المقتبس . أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلّق عليه ، محمود علي مكي دار الكتاب العربي بيروت 1973م .

21ـ الحِمْيَري محمد عبد المنعم ، كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تحقيق احسان عباس مكتبة الحياة بيروت 1975م .

22ـ ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله الفارسي (ت300هـ/ 912م) المسالك والممالك ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتاب لأبي الفرج قدامة بن جعفر توفي مابين (310 ' 337هـ/ 922ـ948م) نشره دي خوية مكتبة المثنى بغداد (دون تاريخ) .

23ـ الخُشَني أبو عبيد الله محمد بن حارث بن أسد الخُشَني القيرواني (ت361هـ/ 973م) قضاة قرطبة الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1966م .

24ـ ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت776هـ/ 1374م)

أولا : اللّمحة البدرية في الدوّلة النّصرية ، دار الآفاق الجديدة بيروت 1980م .

ثانيا : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (منسوب لابن الخطيب) مطبعة التّقدم تونس 1913م .

25ـ ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمن (ت808هـ/ 1406م) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ العلاّمة ابن خلدون) الأجزاء (1ـ3ـ4ـ6) دار الكتاب اللبناني بيروت (1977ـ1979) .

26ـ ابن خلدون أبوزكرياء يحيى (ت780هـ/ 1380م) بُغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواحد ، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ، الجزء الأول منشورات المكتبة الوطنية الجزائر 1980م .

27ـ الدّباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي (ت 696هـ/ 1297م) معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعلّق عليه أبو الفضل القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت 834هـ/ 1431م) 3أجزاء من 4 أجزاء .

أولا : حقق الجزء الأول ابراهيم شبوّح : الطبعة الثانية مكتبة الخانجي بمصر ، المكتبة العتيقة بتونس 1968م .

ثانيا : حقق الجزء الثاني محمد أحمد أبو النّور ومحمد ماضور ، مكتبة الخانجي بمصر ، المكتبة العتيقة بتونس 1972 .

ثالثا : حقق الجزء الثالث محمد ماضور مكتبة الخانجي بمصر ، المكتبة العتيقة بتونس 1978م .

28ـ الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ/ 895م) الأخبار الطوال الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة بمصر 1330هـ/

29ـ أبوزكرياء يحي بن أبي بكر (ت471هـ/ 1078م) كتاب سير الأئمة و أخبارهم ، تحقيق و تعليق اسماعيل العربي منشورات المكتبة الوطنية الجزائر 1399هـ/ 1979م .

30ـ الوزير السراج محمد بن محمد الاندلسي ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، الجزء الثاني الدار التونسية للنشر ، تونس 1970 .

31ـ ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المغربي ت685هـ/ 1296م ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق و تقديم : اسماعيل العربي الطبعة الأولى منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع بيروت 1970م .

32ـ السهروردي عبد القاهر بن عبد الله ، كتاب عوارف المعارف ، الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بيروت 1983م .

33ـ ابن شاكر الكتبي محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت764هـ/ 1364م) فوات الوفيات و الذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت 1973م .

34ـ أبو شامة ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، تحقيق محمد حلمي أحمد مراجعة مصطفى زيادة الجزء الأول القسم الثاني المؤسسة المصرية العامة 1962 .

35ـ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 967م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الاجزاء (4-7- 8-9) الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر 1979م .

36ـ الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري المشهور بابن رندقة ت(520هـ/ 1126م) .

أولا : سراج الملوك ،الطبعة الأولى المطبعة المحمودية القاهرة 1935م .

ثانيا : كتاب الحوادث والبدع ،تحقيق محمد الطالبي ،مطبعة تونس 1959م

37ـ ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ت تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ،دار الكتاب اللبناني دار الكتاب المصري (دون تاريخ)

38ـ ابن عبد الحكم المصري عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ/ 871م) فتوح افريقية والأندلس ،تحقيق عبد الله أنيس الطباع مكتبة دار الكتاب اللبناني الطباعة والنشر بيروت 1964م .

(39) ابن قربة صالح بن قربة ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى (دراسة فنية ومعمارية) ، الطبعة الأولى المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986

40ـ ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى المراكشي (كان حيا عام 712هـ/ 1311م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الاجزاء (1= 2= 3) تحقيق ومراجعة ج .س. كولان وا . ليفي بروفنسال والجزء الرابع تحقيق إحسان عباس الطبعة الثانية دار الثقافة بيروت 1980م .

41- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التّميمي القيرواني (ت333هـ/ 945م)

أولا : كتاب المِحَن، تحقيق يحيى وهيب الجبّوري الطبعة الاولى دار الغرب الاسلامي بيروت 1983.

ثانيا : كتاب طبقات علماء افريقية . دار الكتاب اللبناني بيروت (دون تاريخ)

42- العمري فضل الله ، مسالك الابصار في ممالك الاقطار تحقيق أحمد زكي باشا الجزء الاول القاهرة 1924م.

43 - عياض اليحصبي أبو الفضل عياض موسى بن عياض بن عمرو (ت544هـ/ 1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، الجزء الاول تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت دار مكتبة الفكر طرابلس ليبيا (دون تاريخ).

44- القلصادي أبو الحسن على القلصادي الاندلسي دفين باجة الافريقية ت891هـ/ 1486م) دراسة و تحقيق محمد أبو الأجفان الشركة التونسية للتوزيع تونس 1978م.

45- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت820هـ/ 1417م) مآثر الانافة في معالم الخلافة تحقيق عبد السّتار أحمد فراج (ثلاثة أجزاء) الطبعة الثانية عالم الكتب بيروت 1980.

46- ابن كثير الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي 732/ 1331 مختصر الامام الاجليل الحافظ عماد الدين بن كثير ، اختصار و تحقيق محمد علي الصّابوني المجلد الثالث الطبعة السادسة دار القرآن الكريم بيروت 1981م.

47- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ق5هـ/ 11م) كتاب رياض النفوس في علماء القيروان و زهادهم ونسّاكهم و سير من أخبارهم و أوصافهم ، تحقيق بشير البكوش (جزءان) مراجعة محمد العروسي المطوى ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1401هـ/ 1981م.

48ـ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري (ت450هـ/ 1058م)
أدب الدنيا والدين تعليق .. راجح الطبعة الاولى دار اقرأ بيروت 1981م.

49ـ مجهول ،أخبار مجموعة في فتح الاندلس،تحقيق ابراهيم الابياري،الطبعة الاولى ،دار الكتاب اللبناني بيروت 1981.

50ـ مجهول ،العيون والحدائق في أخبار الحقائق ،نشر دي خوية الجزء الثالث بريل 1979م.

51ـ مذكرات الأمير عبد الله بن زيري الصنهاجي ملك غرناطة (1073ـ1090م) المسماة (بالتبيان) تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف بمصر القاهرة 1955م.

52ـ المرادي القيرواني أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي (ت489هـ/ 1097م) كتاب السياسة أو الاشارة في تدبير الامارة ،تحقيق سامي النشار ،الطبعة الاولى دار الثقافة الدار البيضاء المغرب الاقصى 1401هـ/ 1981م.

53ـ المراكشي عبد الواحد المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي الطبعة الاولى مطبعة الاستقامة القاهرة 1949م.

54ـ ابن مرزوق أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ،المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا الطبعة الاولى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

55ـ المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/ 958م) كتاب التنبيه والاشراف، مكتبة خياط بيروت لبنان 1965.

56ـ ابن منظور الافريقي لسان العرب ،الجزء الاول دار صادر بيروت لبنان 1955.

57- ابن منقذ مؤيد الدولة أبو ظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزرى أسامة بن منقذ) كتاب الاعتبار حرّره فيليب حتّي مطبعة جامعة برنستون الولايات المتحدة الامريكية الدار المتحدة للنشر و الطباعة و التوزيع بيروت 1930.

58- النعمان بن محمد (القاضي) (363هـ/ 974م) كتاب المجالس و المسايرات تحقيق الحبيب الفقي و ابراهيم شبوّح و محمد اليعلاوى ، الرسمية للجمهورية التونسية 1978.

59- الونشريسي أبو العباس بن يحيي بن محمد بن عبد الواحد بن علي ت914هـ/ 1514م المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس و المغرب أخرجه جماعة من الفقهاء باشراف الدكتور محمد حجّي ،الجزء الثاني دار الغرب الاسلامي بيروت 1981م.

60- ياقوت الحموى أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموى الرّومي (ت 626هـ/ 1229م) معجم البلدان ، (خمسة أجزاء) دار صادر دار بيروت للطباعة و النشر بيروت لبنان 1399هـ/ 1979م.

61- اليعقوبي أحمد بن اسحق (ت 284هـ/ 897م) ،تاريخ اليعقوبي ،الجزء الثالث ، المكتبة المترتضية النّجف الأشرف العراق 1358هـ .

62- النّووى الدّمشقي،الامام أبي زكريا يحيي بن شرف ت676هـ/ 1278م رياض الصالحين ،تحقيق و تعليق شعيب الأرنؤوط الطبعة الثالثة مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1983م.

63- العبدري البلنسي (من رجال القرن 7هـ/ 13م) الرحلة المغربية ؛ تحقيق أحمد بن جدّو ، نشر كلّية الاداب الجزائر (دون تاريخ) .

المراجـــــــع العـــربيـــة

1- أحمد فاعور و الناطور ، تاريخ الدولة العربية حتى نهاية الغزو المغولي مطبعة الخالدى عمّان 1982م .

2- أرسلان (شكيب) ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و ايطاليا وجزائر البحر المتوسط ،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان1979م

3- اسماعيل (أحمد علي) ، التّعبئة اا مسكرية في صد رالاسلام و العهد الأموي ، الطبعة الأولى ، دار الشوّرى بيروت لبنان 29823م .

4- اسماعيل (محمود) :

أولا : - الأغالبة - سياستهم الخارجية - الطبعة الثانية ، مكتبة وراقة الجامعية فاس المغرب الأقصى 1978م .

ثانيا : - الخوارج في المغرب الاسلامي (ليبيا تونس، الجزائر ، المغرب موريتانيا ، دار العودة بيروت 1976م .

5- آل محمود (عبد الله بن زايد) ، الجهاد المشروع في الاسلام ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة بيروت 1982م .

6- برئة (ثريا حافظ) ، الخراسانيون و دورهم السّياسي في العصر العباسي الاول ، الطبعة الاولى ، دارتهامة ،جدّة المملكة العربية السعودية 1982م .

7- بنعبد الل ّ (عبد العزيز)

أولا : - مظاهر الحضارة المغربية ، دار السلمي للتأليف و الطباعة ، الدار البيضاء المغرب الأقصى 1957م .

ثانيا : ــ مقدمة الفقه المالكي ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 198

8 بهنسي (عفيف) : الفن الحديث في البلاد العربية ، دار الجنوب للنشر تونس 1980م .

9ــ تامر (عارف) المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان 1982م .

10ــ تدمري (عمر عبد السلام) تاريخ طرابلس السياسي و الحضاري عبر العصور الجزء الأول (عصر الصراع العربي البيزنطي و الحروب الصليبية) الطبعة الاولى مطابع دار البلاد طرابلس لبنان 1398هـ/ 1978م .

11ــ التوّتي (عبد الكريم) ، مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء المغرب الاقصى 1967م .

12ــ الجفائري (محمد عبد السلام) مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي ، الدار العلمية للكتاب ، ليبيا تونس 1984م .

13ــ الجنحاني (الحبيب) دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الاسلامي ، دار الطليعة بيروت لبنان 1980م .

14ــ حجاب (محمد فريد) المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية و المضمون السياسي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م .

15ــ إبراهيم حركات :

أولا : ــ المغرب عبر التاريخ الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب الأقصى 1984م .

الطبعة الأولى نشر و توزيع دار السلمي المغرب الأقصى (دون تاريخ)

ثانيا :ـ النظام السياسي و الحربي ،منشورات مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء المغرب الاقصى (دون تاريخ) .

16ـ الحفناوي (أبو القاسم) ،تعريف الخلف برجال السلف،الطبعة الاولى مؤسسة الرسالة ،المكتبة العتيقة بيروت تونس1982 .

17ـ حلاق(حسان علي) الإدارة المحلّية . (المحتسب) الدار الجامعية بيروت لنان 1980م .

18ـ حمادة (محمد ماهر) الرثائق السياسية ،الادارية في في الأندلس و افريقية مؤسسة الرّسالة بيروت لبنان 1980 .

19ـ الخالدي (اسماعيل عبد العزيز) العالم الاسلامي و الغزو المغولي ،مكتبة الفلاح الكويت 1984م .

20ـ خماش (نجدة) الادارة في العصر الأموى ،الطبعة الأولى ،دار الفكر دمشق سوريا 1980م .

21ـ خلفيات (عوض محمد) النظام الاجتماعية و التربوية عند الاباضية في شمال افريقية في مرحلة الكتمان ،عمّان الأردن 1982م .

22ـ أبو خليل (شوقي)

أولا :ـ فتح الأندلس بقيادة طارق بن زيّاد ،الطبعة الثانية ،دار الفكر دمشق سوريا 1980م .

ثانيا :ـ الارك بقيادة يعقوب المنصور الموحدى ،الطبعة الثانية دار الفكر دمشق سوريا (1981م) .

ثالثا :ـ هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا ، الطبعة الثالثة دار الفكر دمشق سوريا 1981م .

رابعا :ـ بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن ا..افقي دار الفكر دمشق سوريا 1983م .

23ـ ابن داود سليمان ثورة أبي يزيد ،جهاد لاعلان كلمة الله ، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1402هـ/ 1981م .

24ـ درّاج (أحمد) المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى ، الخامس الميلادى ، دار الفكر العربي القاهرة 1961م .

25ـ الرّفاعي (أنور) تاريخ الفن عند العرب و المسلمين ، الطبعة الثانية دار الفكر دمشق سوريا 1977م .

26ـ زبّيس (مصطفى) المنستير ماضيها ومعالمها التاريخية ، الدار التونسية للنشر (دون تاريخ) .

27ـ زكّار (سهيل) في التاريخ العباسي والأندلسي ، السياسي والحضارى ، المطبعة الجديدة دمشق سوريا (1981ـ1982) .

28ـ الزّركلي (خير الدين) الاعلام ، قاموس تراجم الرّجال والنساء من العرب و المستعربين والمشتشرقين ، المجلد الثالث الطبعة الخامسة دار العلم للملايين 1980م

29ـ أبو زهرة (محمد) محاضرات في النّصرانية ، الطبعة الرّابعة دار الفكر العربي القاهرة مصر 1972م .

30ـ الزّوارى (علي) صفاقس ، سلسلة مدن العالم العربي ، دار الجنوب للنشر تونس 1980 .

31ـ (نقولا) الجغرافيا و الرّحلات عند العرب ـ دار الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري 1962م .

32ـ سالم (السيد عبد العزيز)

أولا :ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الاسلامي ـ الجزء الاول دار النّهضة العربية بيروت 1971م .

ثانيا :ـ تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس ـ دار النهضة العربية بيروت 1969م .

ثالثا :ـ تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ـ دار النهضة العربية بيروت لبنان 1981م .

رابعا :ـ المغرب الكبير (العصر الاسلامي) دراسة تاريخية وعمرانية و أثرية (موسوعة تاريخ المغرب الكبير) دار النهضة العربية بيروت لبنان 1981م .

خامسا :ـ التاريخ و المؤرخون العرب دار النهضة العربية بيروت 1981م .

32ـ سالم أحمد مختار العبادى (بالاشتراك) تاريخ البحرية الاسلامية في مصر و الشام دار النهضة العربية بيروت 1981م .

33ـ السّامرّائي (خليل ابراهيم صالح) الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية (95ـ316هـ/ 714ـ928م) مطبعة أسعد بغداد العراق 1976م .

34ـ سرور (جمال الدين)

أولا :ـ سياسة الفاطميين الخارجية ـ دار الفكر العربي بيروت لبنان 1967م .

ثانيا :ـ الدولة الفاطمية في مصر ـ سياستها الداخلية و مظاهر الحضارة في عهدها دار الفكر العربي القاهرة 1974م .

35ـ سيسالم (عصام ، الاندلس المنسية (التاريخ الاسلامي لجزرالبليار) البليار) ، دار العلم للملايين بيروت لبنان 1984م .

36ـ السعيد (محمد مجيد) الشعر في عهد المرابطين و الموحدين بالاندلس دار الرشيد للنشر العراق 1980م .

37ـ الشبيبي (محمد رضا) أدب المغاربة و الأندلسيين في أصوله المصرية و نصوصه العربية الطبعةالثانية دار اقرأبيروت لبنان1984م .

38ـ شديد (محمد) الجهاد في الاسلام مؤسسة الرسالةبيروت لبنان 1981م .

39ـ الشريف (أحمد ابراهيم) حسن أحمد محمود ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي القاهرة1973م .

40ـ شعيرة المربطون في الثغور العربية الرومية عند جبال الطوروس في صدر الدولة العباسية (كتاب سبعينية طه حسين) ،اعداد عبد الرحمن بدوي دار المعارف بمصر 1962م .

41ـ الشكعة (مصطفى) سيف الدولة الحمداني أو مملكة السيف و دولة القلم عالم الكتب مكتبة المتنبي بيروت ـ القاهرة 1977م .

42ـ شلبي (أحمد) التاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية ،الجزء الثالث الطبعة الثالثة ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر 1966م .

43ـ الشنقيطي (محمد الأمين) منهج ودراسات لآيات الصفات ،مكتبة المعارف الرباط المغرب الاقصى 1973م .

44ـ الشيال (جمال الدين) التاريخ الاسلامي و أثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة ،دار الثقافة بيروت لبنان 198م .

45ـ الشيال (جمال الدين) أعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي دار المعارف بمصر 1965م .

46ـ أبو صالح الألفي الفن الاسلامي أصوله فلسفته مدارسه ، الطبعة الثانية ، دار المعارف لبنان (دون تاريخ) .

47ـ الصّياد (عبد المعطي) المغول في التاريخ ، الجزء الأول دار النهضة العربية بيروت لبنان 1980م .

48ـ ضيف (شوقي) الرحلات ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر 1979م .

49ـ الطروانة (طه ثلجي) مملكة صفد في عهد المماليك منشورات دار الافاق الجديدة بيروت لبنان 1981م .

50ـ الطّيبي (أمين توفيق) دراسات و بحوث في تاريخ المغرب و الأندلس ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1984م .

51ـ طلفاح (خير الله) حضارة العرب في الاندلس ، الجزء السادس ، دار الحرية للطباعة بغداد العراق 1977م .

52ـ عاشور (فايد حمّاد) العلاقات السياسية و المغول في الدولة المملوكية الاولى تقديم و مراجعة جوزيف نسيم يوسف ، دار المعارف بمصر 1976م .

53ـ عاشور (سعيد عبد الفتاح) :

أولا : ـ بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، جامعة الدول العربية ، دار الأحد بيروت لبنان 1977م .

ثانيا : ـ تاريخ أوروبا العصور الوسطى دار النهضة بيروت لبنان 1972م .

54- ابن عاشور (الفاضل) ومضات فكر ،الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1982 .

55- بن عامر توفيق ، دراسات في الزّهد و التّصوف،الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1981م .

56- عباس (احسان) العرب في صقّلية دراسة في التّاريخ و الأدب ،الطبعة الثانية دار النهضة العربية بيروت لبنان 1978م .

57- العبّادي (أحمد مختار) في المغرب و الاندلس ،دار النهضة العربية بيروت لبنان 1978م .

58- عبد الرحمن (نصرت) شعر الصراع مع الروم في ضوء التاريخ (العصر العبّاسي حتى نهاية القرن الرّابع) الطبعة الاولى مكتبة عمّان الاردن 1977م .

59- عبد الهادي (عبد الجليل حسن) الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصر الأيوبي و المملوكي ،مكتبة الاقصى عمان الأردن 1980م .

60- عبد الوهاب (حسن حسيني)

أولا :- ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية (قسمان) الطبعة الثانية مكتبة المنار تونس 1972م .

ثانيا :- شهيرات التونسيات الطبعة الثانية ،مكتبة المنار تونس 1965م .

61- عثمان (محمد فتحي)

أولا :- الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي و التواصل الحضاري (ثلاثة أجزاء) دار الكتاب العربي القاهرة (دون تاريخ) .

ثانيا :- القيم الحضارية في رسالة الاسلام الطبعة الاولى الدار السعودية للنشر و التوزيع السعودية 1986م .

62- العدوي (ابراهيم أحمد) المسلمون والجرمان (الاسلام في غرب البحر المتوسط) دار المعرفة القاهرة مصر 1960م .

63- العدوى (ابراهيم أحمد) الامويون والبيزنطيون (البحر المتوسط بحيرة إسلامية الطبعة الثانية الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1963م .

64- العدوي (ابراهيم أحمد) المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى ، دار المعرفة القاهرة مصر 1961م .

65- العربي (اسماعيل ، دولة الادارسة ، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة ، دار الغرب الاسلامي بيروت 1983 .

66- عرجون (صادق ابراهيم) عثمان بن عفان ،الطبعة الثانية ،الدار السعودية للنشر والتوزيع السعودية 1981م .

67- العريني (الباز) تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، دار النهضة بيروت بيروت لبنان 1968م .

68- عمر (فاروق) النظم الاسلامية مقدمة تاريخية ،الطبعة الاولى العين الشارقة الامارات العربية المتحدة 1983م .

69- علي ابراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلي فاتح مصر قائد المعزلدين الله الفاطمي الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر 1963م .

70- بن عميرة (محمد) دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي الطبعة الاولى المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م .

71- علام (عبد الله علي) الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف بمصر 1971م .

72ـ عويس (عبد الحليم) دولة بني حمّاد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر دار الشرق، بيروت 1980م .

73ـ عنان (محمد عبد الله) دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي مطبعة لجنة التأليف القاهرة مصر 1960م .

74ـ عوض (حسان) جغرافية المدن المغربية على ضوء تاريخ تطورها الديموغرافي الحالي ، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط المغرب الاقصى 1964م .

75ـ عيسى (أحمد) تاريخ البيمارستانات في الاسلام الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي بيروت لبنان 1981م .

76ـ غالب (مصطفى) الثائر الحميري الحسن بن الصبّاح ، الطبعة الثانية دار الاندلس بيروت لبنان 1979م .

77ـ فهمي (عبد العزيز) تاريخ الدولة المغولية في ايران ، دار المعارف بمصر 1981م .

78ـ فيلالي (عبد العزيز) العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الطبعة الثانية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1983م .

79ـ القرضاوى (يوسف) الصحوة الاسلامية بين الجمود و التطرف (كتاب الأمة) الطبعة الثالثة ، دار الشهاب باتنة الجزائر 1402هـ/ 1982م .

80ـ لقبال موسى ، رشيد بورويبة ، عبد الحميد حاجيات ، عطاء الله دهينة محمد بلقراد ، الجزائر في التاريخ (العهد الاسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني وزارة الثقافة و السياحة المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م .

81ـ الكعاك (عثمان) ـأـ محاضرات في مراكز [illegible] في المغرب من القرن [illegible]
السادس عشر الى القرن التاسع عشر معهد الدراسات العربية العالية القاهرة
مصر 1958م .
ـ ب ـ [illegible] : الحضارة العربية في حوض البحر الابيض المتوسط
مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة 1965م .
82ـ لقبال (موسى)
أولا :ـ المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج
(سياسة ونظم) الطبعة الثانية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981م .
ثانيا :ـ الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)
الطبعة الأولى ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1971م .
ثالثا :ـ عقبة بن نافع الفهري ،الموسوعة التاريخية للشباب منشورات وزارة
الثقافة والسياحة الجزائر 1985م .
83ـ المجذوب (عبد العزيز) الصراع المذهبي افريقية الى قيام الدولة الزيرية
تقديم علي الشّابي ،الدار التونسية للنشر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع تونس الجزائر
1975م .
84ـ محمصاني (صبحي) المجاهدون في الحق (تذكرة من الأوزاعي الى الصنهوري)
دار العلم للملايين بيروت لبنان 1979م .
85ـ مدلج جودت الحب في الأندلس ظاهرة اجتماعية بجذور مشرقية ،الطبعة
الأولى ،دار لسان العرب بيروت، لبنان 1405هـ/ 1985م .

86ـ مخلوف (محمد بن محمد) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية
دار الكتاب العربي بيروت لبنان (دون تاريخ) .

87ـ محمد (حسن أحمد) قيام دولة المرابطين مكتبة النهضة المصرية القاهرة
1957م .

88ـ المعمري (الطاهر) جامع الزيتونة و مدارس العلم في العهدين الحفصي
و التركي ،الدار العربية للكتاب تونس ليبيا 1980م .

89ـ مطهري (مرتضى) نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ تعريب محمد علي
أذرشب ،الطبعة الثانية مؤسسة البعثة طهران 1401هـ/ 1981م .

90 ـ المطوى (محمد العروسي) :

أولا : ـ الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ،الطبعة الثانية دار الغرب
الاسلامي بيروت لبنان 198م .

ثانيا : ـ سيرة القيروان رسالتها الدينية و الثقافية في المغرب الاسلامي
الطبعة الثانية ، الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1981م .

ثالثا : ـ فضائل افريقية في الآثار و الأحاديث الموضوعة ، الطبعة الثانية
دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1983م .

91ـ المناوى (محمد حمدى) الوزارة و الوزراء في العصر الفاطمي ،دار
المعارف بمصر 1970م .

92ـ المنوفي (أبو الفيض) المدخل الى التصوف الاسلامي (مذاهب و شخصيات)
الدار القومية للطباعة و النشر تونس (دون تاريخ) .

93ـ المودودى (أبو الأعلى) الجهاد في سبيل الله الطبعة السادسة مؤسسة

الرسالة بيروت لبنان 1983م .

94ــ موسى (عزالدين عمر أحمد) :

أولا :ــ دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى دار الشروق بيروت لبنان 1403هـ/ 1983م .

ثانيا :ــ النّشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي ، الطبعة الاولى دار الشروق بيروت لبنان 1983م .

95 95ــ مؤنس حسين :

أولا :ــ معالم تاريخ المغرب والاندلس الطبعة الاولى مؤسسة المعارف بيروت لبنان 1980م .

ثانيا :ــ فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الاموية 711ــ756م) الطبعة الثانية الدار السعودية للنشر والتوزيع السعودية 1985م .

ثالثا :ــ ابن بطوطة ورحلاته ، الطبعة الاولى دار المعارف بمصر 1980م .

96ــ الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد النّاصري السّلاوي) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصر ، الجزء الاول الدار البيضاء المغرب الاقصى 1954م .

97ــ النّدوي (ابو الحسن) :

أولا :ــ ربانية لا رهبانية ، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1983م .

ثانيا :ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة الرابعة (الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية) السالمية الكويت 1978م .

98 ـ النّجار عبد المجيد :

أولا : المهدي بن تومرت (أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ/ 1129م حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1983م .

ثانيا :ـ تجربة التغيير في حركة المهدي بن تومرت(الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن 6هـ) الطبعة الأولى مطبعة تونس قرطاج 1984م .

99ـ النّقاش (زكي) العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1957م .

100ـ نظير(حسان سعداوى) المؤرخون المعاصرون لصلاح الدّين الأيوبي مكتبة النّهضة المصرية القاهرة 1962م .

101ـ هويدي (يحي) تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية ، الجزء الأول في الشمال الافريقي ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة مصر 1966م .

102ـ ولد داداه (محمد) مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن السابع دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني القاهرة بيروت 1977م .

ثالثا : الرسائل الجامعية :

1ـ الدّرديري (حسن اسماعيل البلي) الرّبط في بلاد المغرب نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن 5هـ رسالة ماجستير جامعة القاهرة .

2ـ بن قربة (صالح) المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي الى سقوط دولة بني حماد (رسالة دكتوراه حلقة الثالثة) جامعة الجزائر معهد العلوم الاجتماعية قسم التاريخ والآثار الجزائر 1983 (طبعت المؤسسة الوطنية للكتاب عام ١٩٨٦م)

ـ التاريخ و[illegible] [illegible] م .

3ـ قمعون (عاشور) الدور الصليبي لهيئة الدّاوية في الشام و مصر (1118ـ 1302) رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في تاريخ العصور الوسطى جامعة الجزائر 1982م .

رابعا : الكتـــــب المترجمة الى اللغة العربية :
+0 +0 +0 +0 +0+ +0 +0 +0 +0 +0 +0 +0 +0 +0

1ـ أرشيبالد (لويس) القوى البحرية و التجارية في حوض البحر المتوسط. ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة و تقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة (دون تاريخ) .

2ـ أماري (ميخائيل) المكتبة العربية الصقلية (نصوص في التاريخ و البلدان و التراجم و المراجع طبعة بالاوفست بغداد 1875م .

3ـ أشباخ (يوسف) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين و الموحدين ترجمة محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية مؤسسة الخانجي القاهرة 1958م .

4ـ بزيز (رشيد) ، ابن تومرت ترجمة عبد الحميد حاجيات ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982م .

5ـ باكار (أندريه) المغرب و الحرف التقليدية الاسلامية في المعمارة ترجمة سامي جرجس الجزء الأول دار أتولبي للنشر فرنسا 1981م .

6ـ بورفير وجينيتوس (قسطنطين السابع) ادارة الامبراطورية البيزنطية عرض و تحليل و ترجمة محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية بيروت لبنان 1980م .

7ـ تراث الاسلام ،تأليف جمهرة من المستشرقين ،ترجمة و تعليق جرجيس فتح الله
الطبعة الثالثة ،دار الطليعة بيروت لبنان 1978م .

8ـ توريس (ليوبولدو) الفن المرابطي و الموحدي ترجمة سيد غازي ،دار
المعارف بمصر 1971م .

9ـ بيل (ألفرد) الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ، ترجمه عن الفرنسية
عبد الرحمن بدوى ،الطبعة الثانية ،دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان 1981م .

10ـ جولد تسيهر (أجناس) العقيدة و الشريعة في الاسلام (تاريخ التطور العقدى
و التشريعي في الديانة الاسلامية ،ترجمة و تعليق محمد يوسف موسى ،عبد العزيز
عبد الحق ،علي حسن عبد القادر ،دار الرائد العربي لبنان 1946م .

11ـ دي خوية (ميكال يان) القرامطة ،ترجمة حسني زينة الطبعة الثانية دار
ابن خلدون بيروت لبنان 1980م .

12ـ رايلي (كافين) الغرب و العالم (تاريخ الحضارة من خلال موضوعات
سلسلة عالم المعرفة القسم الأول ترجمة عبد الوهاب محمد المسيرى،هدى عبد السميع
مراجعة فؤاد زكريا المجلس الوطني للثقافة و الآداب الكويت 1405هـ؟/1985م .

13ـ ريبيرا (خوليان) التربية الاسلامية في الأندلس ،ترجمة الطاهر أحمد مكي
دار المعارف القاهرة

14ـ رنسيمان (ستيفن) تاريخ الحروب الصليبية ،ترجمة الباز العريني ،الجزء الأول
الطبعة الثانية دار الثقافة بيروت لبنان 1979م .

15ـ رينو (جوزيف) الفتوحات الاسلامية في فرنسا و ايطاليا و سويسرا في القرن
الثامن و التاسع و العاشر الميلادي تعريب و تعليق اسماعيل العربي ،دار الحداثة
ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984م .

16ـ سورديل (دومنيك) الاسلام في القرون الوسطى ترجمة على المقلد ،الطبعة الاولى ،دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان 1983م .

17ـ شبولر(برتولد) العالم الاسلامي في العصر المغولي ترجمة خالد أسعد عيسى راجعه سهيل زكار ،الطبعة الأولى نشر وتوزيع دار احسان للطباعة والنشر دمشق 1982م .

18ـ عزيز (أحمد) تاريخ صقلية الاسلامية ترجمة أمين الطيبي ،الدار العربية للكتاب تونس 1980م .

19ـ كراتشكوفسكي (أغناطيوس يوليا نوفتش) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم مراجعة ايغوربليايف القسم الاول جامعة الدول العربية ،لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1963م .

20ـ كاهن (كلود) تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية ترجمة بدر الدين القاسم ،الطبعة الثانية دار الحقيقة بيروت لبنان 198م .

21ـ لومبار (موريس) الاسلام في مجده الأول القرن 8ـ 11م/ 2ـ5هـ ، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1979م .

22ـ لومبار موريس ، الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ترجمة عبد الرحمن حميدة دار الفكر دمشق (دون تاريخ)

23ـ مجهول ، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ترجمة وتعليق حسن حبشي دار الفكر العربي القاهرة 1958م .

24ـ ماسيه (هنرى) الاسلام ترجمة بهيج شعبان منشورات عويدات بيروت لبنان 1960م.

25ـ مورينو (مانويل جوميث) الفن الاسلامي في اسبانيا ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة 1968م.

26ـ لي تورنو (روجي) حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ترجمة أمين الطيبي الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1982م.

27ـ لوبون (غوستاف) السنن النفسية لتطور الأمم ترجمة عادل زعيتر دار التنوير للطباعة والنشر بيروت 1957م.

28ـ هوبكنز (ج .ف.ب) النظم الاسلامية في المغرب في العصور الوسطى ترجمة توفيق أمين الطيبي الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1980م.

29ـ هـ . أ.ل فشر ، تاريخ أوربا العصور الوسطى ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني الطبعة السادسة (جمعية التاريخ الحديث) الجزء الاول دار المعارف بمصر 1976م.

30ـ وات (مونتغمرى) فضل الاسلام على الحضارة الغربية ترجمة حسين أحمد أمين الطبعة الاولى دار الشروق بيروت لبنان 1983م.

31ـ المدينة الاسلامية تأليف مجموعة من الباحثين نشر ، رب سرجنت ترجمة أحمد محمد تعلب ، اليونسكو 1983م.

خامســـا : الدوريـــات العربيـــة

///////////////////////////

1ـ أديب (أنطوانيت) ثغور العرب في التاريخ ،الحلقة الاولى (مجلة تاريخ العرب والعالم) بيروت يوليو ـ رمضان 1981م .

2ـ الباهي (محمد) مفهوم عملية التجديد الشاملة داخل غشاء معماري قديم (مجلة مجتمع وعمران) العدد الرابع تونس 1983م .

3ـ بلغيث (محمد الامين) فلسفة التاريخ في القرآن (مجلة المنطلق) العدد السادس عشر بيروت لبنان 1401هـ/ 1981م .

4 ـ ابراهيم بيضون ، بواكير الصليبيات الغربية في حملة شارلمان على سرقسطة (مجلة تاريخ العرب والعالم) السنة الثانية العدد 16 فبراير بيروت لبنان 1980م .

5ـ بيضون (ابراهيم) السلاح البحرى الاداة العملية لمفهوم الجهاد عند الفاطميين (مجلة الباحث) السنة الثانية العدد الثاني بيروت لبنان / سبتمبر أكتوبر 979م .

6ـ بلبع (محمد توفيق .) المسجد والحياة في المدينة الاسلامية (مجلة عالم الفكر) مجلد 11 العدد الاول الكويت 1980م .

7ـ التدّمرى (عمرعبد السلام) الرباط والمرابطون في ساحل الشام من الفتح الاسلامي حتى الحروب الصليبية (مجلة دراسات تارخية) العدد الرابع دمشق سوريا جمادى الثاني 1401 أفريل 1981م .

8ـ الجمل (ابراهيم محمد) الامام عبد الله بن ياسين في رباط السنغال (مجلة البحث العلمي) السنة 16 العدد 29/ 30 المغرب الاقصى 1979م .

9ـ الجميلي (رشيد) كفاح الموصل وحلب ضد الصليبيين في عصر نور الدين محمود

(المجلة التاريخية) الجمعية العراقية للتاريخ والآثار العدد الثالث العراق 1974م .

10 ـ جمال الدين (محسن) ما أسهم به المستشرقون الاسبان في الدراسات الاندلسية الاسلامية (مجلة المورد) المجلد 9 العدد 4 العراق 1980م .

11 ـ حاجيات (عبد الحميد) نظرية ابن ظفر الصّقلي في أخلاق الملوك من خلال كتاب سلوان المطاع (بحث على الالة الراقنة (نشر بمجلة أوراق الاسبانية) .

12 ـ حاجيات (عبد الحميد) المرابطون ودورهم في تاريخ المغرب وحضارته في (مجلة التاريخ) العدد الخاص بالصحراء الغربية الجزائر 1979م .

13 ـ الحيارى (مصطفى على) حيات الناس في مدن الثغور (مدينة طرسوس) (مجلة دراسات تاريخية) دمشق سوريا أفريل 1401هـ/ 1981م .

14 ـ الخالدي (صلاح عبد الفتاح ، رجاء بن حيوة عالم مسلم غير نظام الحكم الأموي في دمشق (مجلة الأمة) العدد 50 السنة الخامسة قطر 1984م .

15 ـ خلّاف (محمد عبد الوهاب) رؤية جديدة لأسباب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس (المجلة العربية للعلوم الانسانية) العدد السادس المجلد الثاني جامعة الكويت ربيع 1302هـ/ 1982م .

16 ـ الزبيري (محمد العربي) دراسات فكرية (مجلة المجاهد) عدد 1258 الجزائر ديسمبر 1984م .

17 ـ زكّار (سهيل) الفكر الاسماعلي في تطوره الافريقي (محاضرات ملتقى القاضي النعمان) منشورات الحياة الثقافية تونس 1977م .

18 ـ زنيبر (محمد) كيف نشأت التقاليد العلمية بسوس ، دور سوس في عهد الفتوح

الاول (مجلة البحث العلمي) العدد 3ـ السنة الأولى المغرب الاقصى 1964م .

19ـ السلوك (علي صالح) منطقة الباحة بلاد غامد وزهران (مجلة الفيصل) عدد 100 المملكة العربية السعودية 1985م .

20ـ العبادي (أحمد مختار) سياسة الفاطميين نحو المغرب و الاندلس (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية) المجلد الخامس العدد الاول و الثاني مدريد اسبانيا 1957م

21ـ العبادي (أحمد مختار) دراسة حول كتاب الحلل الموشية و تهميده في تاريخ المرابطين و الموحدين (مجلة تطوان) العدد الخامس المغرب الاقصى 1960م .

22ـ عبد الحميد (سعد زغلول) العصر الذهبي في المغرب: المرابطون و الموحدون مجلة الجيل) المجلد 9 العدد 9 قبرص سبتمبر 1985م .

23ـ عاشور (عبد الفتاح) الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية (مجلة عالم الفكر) المجلد 11 العدد 1 الكويت 1980م .

24ـ عانوتي (أسامة البر و المواساة في المجتمع الاسلامي (مجلة الباحث) عدد 5 السنة الثالثة مايو جوان بيروت 1401هـ/ 1981م .

25ـ عبد الظاهر (حسن عيسى) قصة مجاهد اسلامي كبير (عبد القادر الجيلاني) (مجلة الدوحة) العدد 116 قطر 1985م .

26ـ عثمان (محمد عبد العزيز) أمير الماء مجاهد العامري (مجلة الثقافة العربية) العدد 12 ليبيا 1982م .

27ـ العمد (احسان) الوضع السياسي في العالم العربي الاسلامي أيام الحروب الصليبية (مجلة الجيل) المجلد السادس العدد الرابع قبرص أفريل 1985م .

28ـ عويس عبد الحليم ، صورة العالم الاسلامي في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري "(مجلة دعوة الحق) العدد الثاني و الثالث السنة الرابعة عشرة المغرب الأقصى 1975م .

29ـ عويس عبد الحليم ، دراسة في أجناس الحضارة الاسلامية (البربر) (مجلة كلية العلوم الاجتماعية) الصادرة عن جامعة الامام محمد بن سعود للعلوم الاسلامية العدد الثالث للمملكة العربية السعودية 1979م .

30ـ أعراب (سعد) المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الاسلامي (سلسلة الدراسات الاجتماعية) تونس 1978م .

31ـ فيلالي (عبد العزيز) دولة برغواطة نشأتها و ديانتها وعلاقتها بجيرانها (مجلة سيرتا) تصدرها جامعة قسنطينة معهد العلوم الاجتماعية السنة الثانية العدد 3 الجزائر 1980م .

32ـ القابسي (نجاح) المعاهد و المؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي (مجلة الثقافة العربية) ليبيا مارس 1982م .

33ـ بن قربة صالح ، العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر(مجلة سيرتا) العدد 3 قسنطينة الجزائر 1980م .

34ـ بن قربة (صالح) حسان بن النعمان و دوره في نشر الاسلام بالمغرب (مجلة الاصالة) العدد 64 الجزائر 1978م .

35ـ زبيس (سليمان مصطفى) الفن الاسلامي بالمغرب في عهد الفاطميين (محاضرات ملتقى القاضي النعمان) (منشورات مجلة الحياة الثقافية)) تونس 1977م .

36ـ الماوردى في سياسة الملوك تحقيق رضوان السيد (مجلة الفكر العربي) السنة الثالثة بيروت لبنان 1981م .

37ـ مرسي (محمد ، محمد) سياسة الامبراطور البيزنطي تيوفيل (تيوفيلوس) تجاه الخلافة العباسية 214ـ227هـ/ 829 ـ 842م)(مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية) العربية السعودية الرياض 1399هـ/ 1979م .

38ـ المعاضدى (خاشع) العلاقات الفاطمية البيزنطية (360ـ491هـ) (المجلة التاريخية) مطبعة المعراف العدد الثالث بغداد العراق 1974م .

39ـ ميراند (هويس) على بن يوسف و أعماله في الأندلس(مجلة تطوان) العدد58 59 المغرب الأقصى

40ـ الميساوى (عبد الجليل) زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي (مجلة الحياة الثقافية) العدد 21السنة السابعة تونس 1982م .

41ـ عبد العزيز بنعبد الله ، الفكر العلمي و منهجية البحث عند علماء المغرب (مجلة الدارة) العدد الثالث السنة الخامسة المملكة العربية السعودية مارس 1980م .

42ـ العيلة (محمد الحبيب) الزواية و أثرها في المجتمع القيرواني (المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية) السنة 12 العدد 40ـ41ـ42ـ43 الشركة التونسية للفنون تونس أفريل 1975م .

43ـ شبّوخ ابراهيم حول منارة قصر الرباط بالمنستير و أصولها المعمارية المكتبة الوطنية بتونس 95/ ع4 (فصله من دراسة كبيرة)

44 ـ دائرة المعارف الاسلاميـــة .×

ليفي بروفنسال ، مادة رباط الفتح

جورج مارسي ، مادة رباط

سادسا : المراجـــع الأجنبيـــــة .

أ ـ الكتـــــب :

1 - ABDELMOULA (MOHAMED), L'UNIVERSITE ZAYTOUNIENNE ET LA SOCIETE TUNISIENNE , TUNIS 1971.

2 - BEL (ALFRED) , LES BANOUS GHANIA DERNIERS REPRESENTANTS DE L'EMPIRE ALMORAVIDE ET LEUR LUTTE CONTRE L'EMPIRE ALMOHADE , ERNEST LERAUX PARIS 1903.

3 - BENACHENHOU (ABDELHAMID), LA DYNASTIE ALMORAVIDE ET SON ART S N E D . ALGER . 1974.

4 - BOUROUIBA (RACHID), L'ART MUSULMAN EN ALGERIE? S N E D ALGER 1972.

5 - CANARD , LES HAMDANIDES ET L'ARMENIE , EXTRAIT DES ANNALES DE L'INSTITUT D'ETUDES TOME(7) JULES CARBENAUX ALGER 1948.

6 - DHINA (ATTALLAH) LES ETATS DE L'OCCIDENT MUSULMAN AUX (13)em (14) ET (15) em SIECLE (INSTITUTION GOUVERNEMENTALES ET ADMINISTRATIVES) E N A L ALGER 1984.

7 - DOUI (ABDELMADJID) , LIFRIQUYA A L'EPOQUE ZIRIDE (HISTOIRE DE LA TUNISIE); LE MOYEN AGE) S T D TUNIS SANS DATE .

8 - DE MASLATRIE (LE COMTE) , RELATIONS ET COMMERCES DE L'AFRIQUE SEPTENTRIONAL OU MAGHRIB AVEC LES NATIONS CHRETIENNES (IMPRIMERIE LIBRAIRIE DE TUMIN DIDOT) PARIS 1886 .

× ـ موسوعة ضخمة ترجم بعض موادها الشنتناوي وآخرون ـ الطبعة الجديدة .

9 - DOZY(R) , HISTOIRE DES MUSULMANS D'ESPAGNE JUSQU'A LA CONQUETTE DE L'ANDALOUSIE PAR LES ALMORAVIDES(711 - 1110) RE E ET MIS A JOUR PAR LEVI PROVENçAL T 3 LIBR . ET IMPRIMERIE LEYDE 1932.

10 - ES SLAOUI (EN NACIRI), KITAB EL - ISTIQCA LI AKHBAR EL MAGHRIB EL AQçA TOME PREMIER TRADUCTION, DE .A. GIRAULLE LIBRERIE ORIENTALISTE PAUL GENTHNER.PARIS 1932 . ET TOME DEUX (LES IDRISIDES) TRADUCTION DE .A. RAULLE, LES ALMORAVIDES TRADUCTION DE G .S . COLIN , LIBR IE ORIENTALISTE PARIS 1925.

11 - IBN ALARIF , MAHASIN AL MAJALIS , PUBLIE PAR ASIN PLACIOS TRADUIT PAR CAVALLIRO , LIBR RIE ORIENTAL .PAUL GENTHNER .PARIS 1933.

12 - IDRIS (HADI ROGER) , LA BERBERIE ORIENTALS SOUS LES ZIRIDES TOME (1) LIBRERIE D'AMERIQUE ET D'ORIENT. PARIS 1962 .

13 - AL FARISI (ABUL TACHIR), MANAQIB DE MUH . B. HALEF - INTRODUCTION PAR HADI ROGER IDRIS , PUBLICATION UNIVERSITAIRE DE FRANCE 1959.

14 - CUOQ (JOSEPH M) , HISTOIRE DE L'ISLAMISATION DE L'AFRIQUE DE L'OUEST DES ORIGINES A LA FIN DU 16 SIECLE .PAUL GENTHNER . PARIS 1984.

15 - RECUEIL DES SOURCES ARABES CONCERNANT L'AFRIQUE OCCIDENTAL DU (8) em AU (16)em SIECLE(BILAD AL SUDAN) TRADUCTION ET NOTE PAR JOSEPH .M.CUOQ.CENTRE NATIONAL DE RECHERCHE SCIENTIFIQUE.PARIS 1975.

16 - LAURENT (J) , L'ARMERIE ENTRE BYZANTIN ET L'ISLAM DEPUIS LA CONQUETTE ARABE JUSQU'AU 886 .PARIS 1919 .

---

17 - LEZINE (ALEXANDRE) , LE RIBAT DE SOUSSE SUIVI DE NOTES SUR LE RIBAT DE MONASTIR . IMPRIMERIE LA RAPIDE .TUNIS 1956.

18 - LUCIEN (GO IN); ESSAI SUR L'ARCHITECTURE MUSULMANE(L'ARCHI - TECTURE DES GRANDES MOSQUE. ABBASSIDES DE IBN T,ULUN) L'ARCHITECTURE DES AGHLABIDES T.3 EDITION KLICK SIECLE.PARIS 1974.

19 - LUCIEN (GOBIN) , LE MAGHRIB CENTRAL A L'EPOQUE ZIRIDE(RECHERCHES D'ARCHEOLOGIE ET D'ISTOIRE) FRANCE 1957.

20 - MARÇAIS (GEORGES) , L'ARCHITECTURE MUSULMANE D'OCCIDENT (TUNISIE ALGERIE , MAROC,ESPAGNE, SICILE) EDITEUR ARTS ET GRAPHIQUES PARIS 1954 .

21 - MARÇAIS (GEORGES) , LA BERBERIE MUSULMANE ET L'ORIENT MOYEN AGE EDITION MONTAIRE PARIS 1946.

22 - MARÇAIS (GEORGES) , MANUEL D'ART MUSULMAN , L'ARCHITECTURE (TUNISIE , ALGERIE, MAROC, ESPAGNE,SICILE) TOME (2) - (13 - 14) SIECLE .PARIS 1927.

23 - MARÇAIS (GEORGES) , NOTE SUR LES RIBATS EN BERBERIE ((MELANGES René BASSET) EDITION ERNEST LEROUX PARIS 1925 .

24 - POULET (DON CHARLES) HISTOIRE DU CHRISTIANISME(ANTIQUITE)PARIS 1931.

25 - tHOMINE (JEANINE SOURDEL) , DE L'ART DE L'ISLAM . REVUE DES ETUDES ISLAMIQUES (R E I) HORS SERIE (12) . PAUL GENTHNER PARIS 1984.

ب ـ الدوريات الأجنبيـــة :

1 - BEL (ALFRED), LE SUFISME EN OCCIDENT MUSULMAN AU (12) ET (13) SIECLE DE J.C . ANNALES DE L'INSTITUT D'ETUDES ORIENTAL FACULTE DES LETTRES UNIVERSITE D'ALGER T I LIBF. IE LA ROSE PARIS 1934 1935.

2- BEL (ALFRED), LES PREMIERS EMIRS MER: IDES ET L'ISLAM (MELANGES DE GEOGRAPHIE ET D'ORIENTALISME AFFORT .A.E.I. GENTHNER PARIS 1937.

3- HADJRAD (ABDELHAMID) ROLE DU SUFISME DANS L'EVOLUTION DES PEUPLES DU MAGHRIB ACTES DU DEUXIEME CONGRES INTERNATIONAL D'ETUDES DES CULTURES DE MEDITERANNEE OCCIDENTAL 2. S N E D .1978

4 MARÇAIS (GEORGES) LA CHAIRE DE LA MOSQUEE DE NEDROMA (CINQUANTENAIRE DE MA FACULTE DES LETTRES) ARTICLES PUBLIES PAR LES PROFESSEURS DE LA FACULTE PAR LE SOINS DE LA SOCIETE HISTORIQUE ALGERIENNE ALGER 1932 .

5 - PROVENÇAL (LEVI) LA FONDATION DE MARRAKECH (462 - 1072) MELANGES D'HISTOIRE ET D'ARCHEOLOGIE DE L'OCCIDENT MUSULMAN T (2) IMPRIMERIE OFFICIELLE ALGER 1957 .

6 - PAUL(R P NURA) NOTES SUR QUELQUES FRAGEMENTS INEDITES DE CORRESPANDANTE D'IBN AL ARIF et IBN BARRAGON(HESPERIS)1956.

7 - de VALVE (SOLEDAD GIBERT) LA VILLE D'ALMERIA A L'EPOQUE MUSULMANE . LES CAHIERS DE TUNISIE TOME (7) .ANNEE 1970.

يمثل هذا الملحق خرائط الدراسة

الخريطـة الأولـى

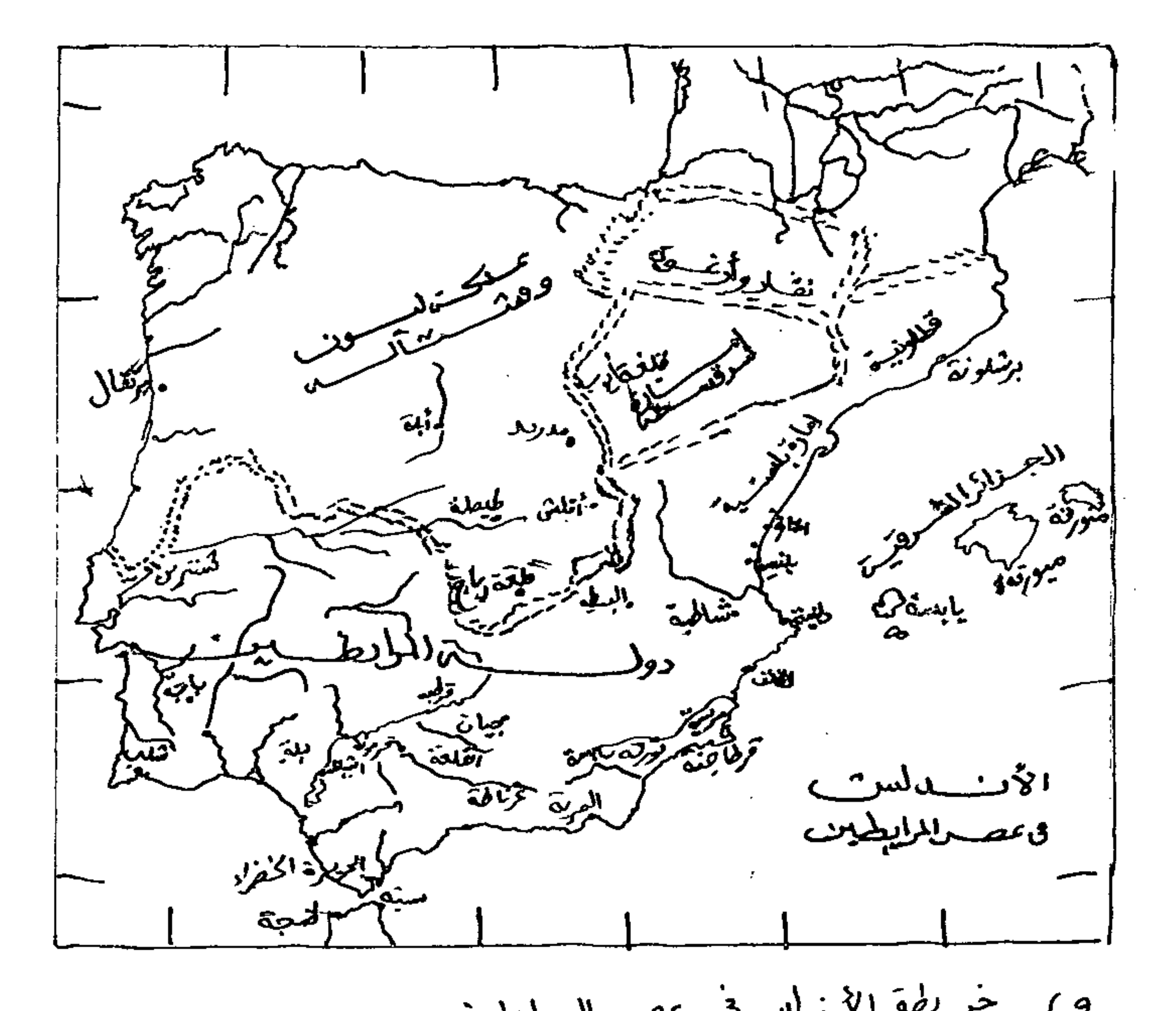
الخريطة الأولى عبارة عن صورة مبسطة
لأهم مدن السودان الغربي الذي يمثل عمق
دولة المرابطين في نشأتها الأولى قبل انطلاقها
الى الشمال . المرجع: الدكتور أمين توفيق الطّيبي ،
دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية
للكتاب ليبيا تونس 1984م ص319.

الخريطة الثانية .

تمثل هذه الخريطة صورة تقريبية مبسطة للأندلس وثغورها
حاولت رسمها بدقة من المرجع:
الدكتور حسين مؤنس ، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين
وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/ 1118م ، مجلة
كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد الحادي عشر الجزء الثاني ،
مطبعة جامعة فؤاد القاهرة 1949 ص144.



1) الممالك والمدن الرئيسية في السودان الغربي
والصحراء الكبرى في العصور الوسطى

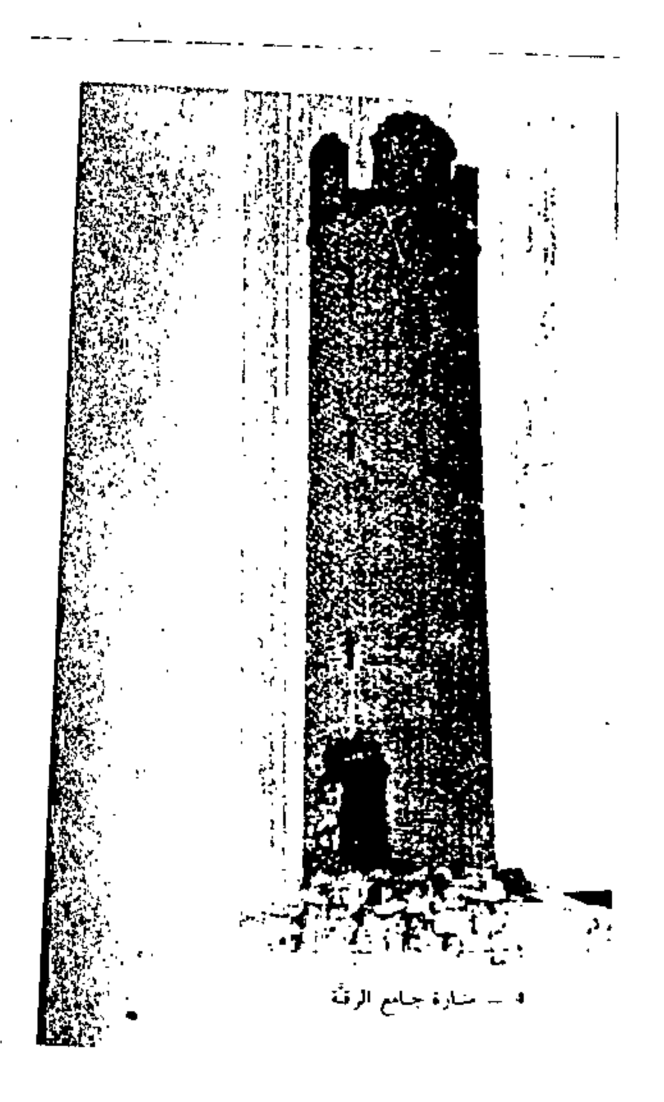


٩) خريطة الأندلس في عصر المرابطين.

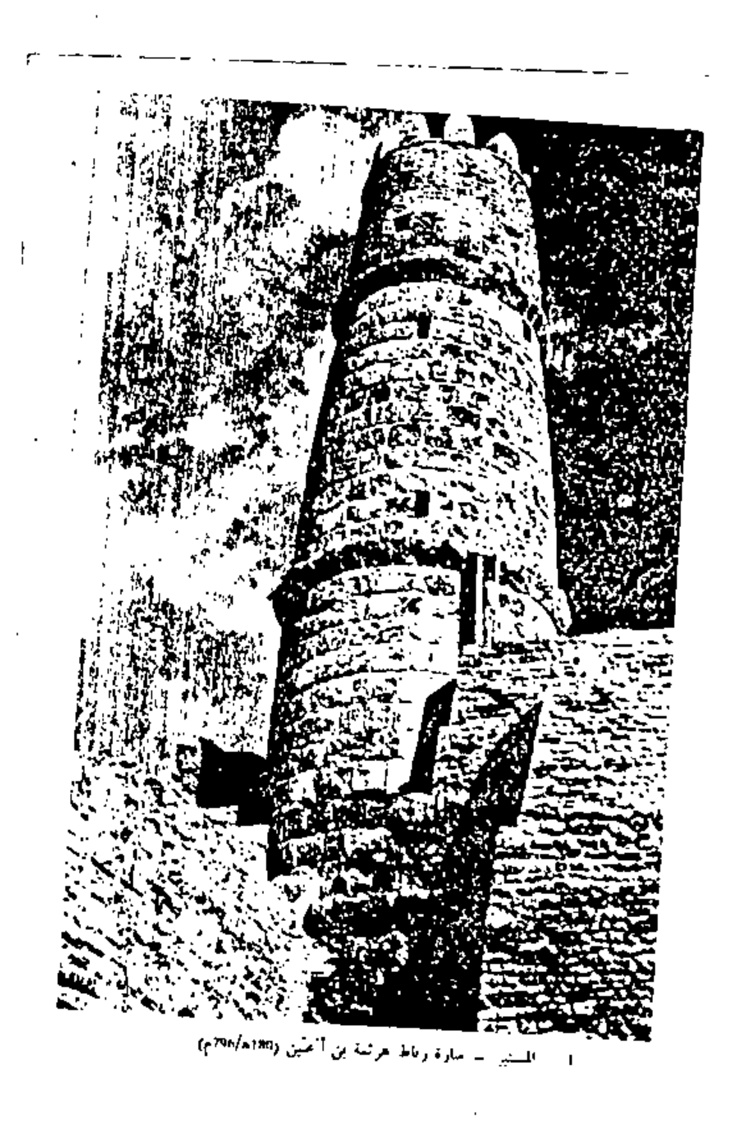
يمثل هذا الملحق نماذج هامة من العمارة الخاصة بالربط وبالخصوص المنارات ٠

المرجع٠

ابراهيم شبوح ، حول منارة قصر الرباط بالمنستير وأصولها المعمارية ((فصلة)) منشورة بمجلة افريقية المعهد القومي للآثار والفنون المجلد الثالث والرابع ((1969ـ1970)) وزارة الشؤون الثقافية والاخبار تونس 1972م مصر 5ـ16٠

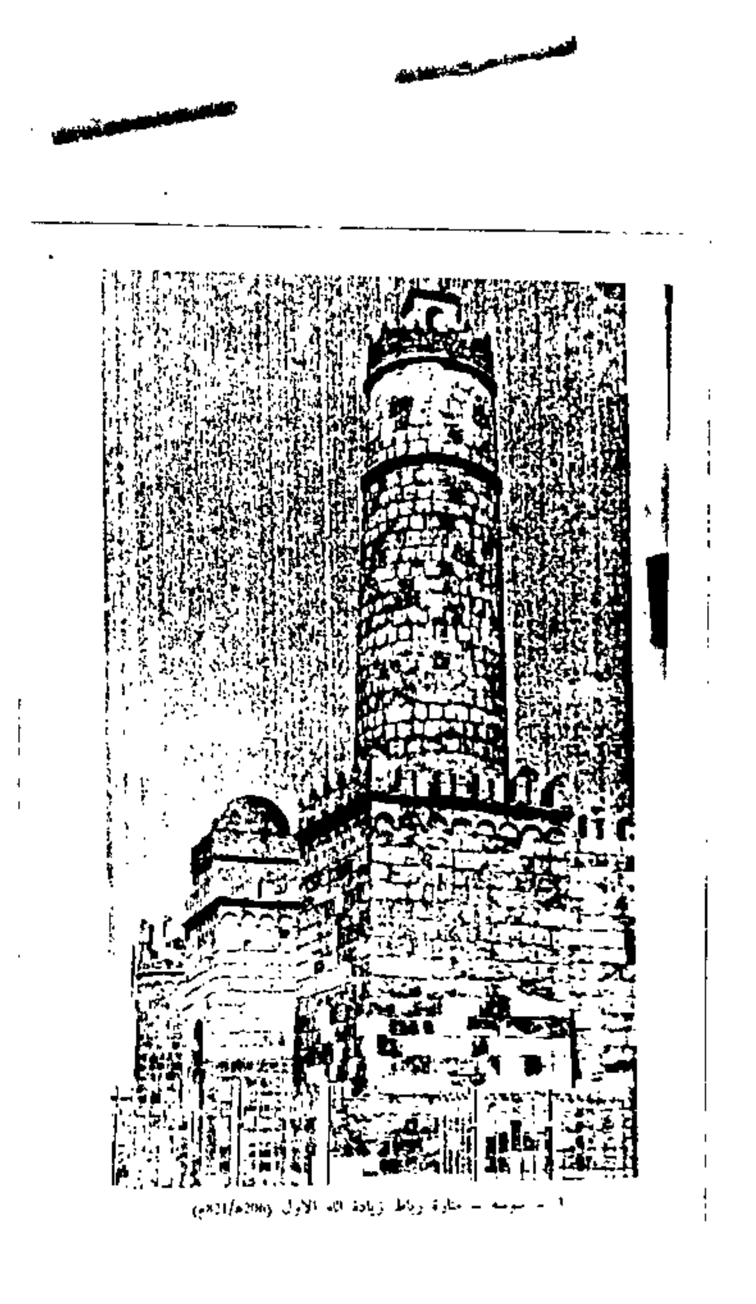


لوحة رقم ٦١ تمثل منارة جامع الرقة ذات المهمة المزدوجة
فهي الى جانب دورها الديني فانها تقوم مقام برج المراقبة ٠



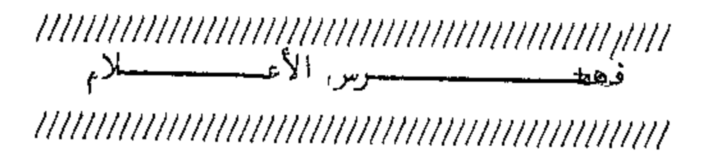
١ المنستير – منارة رباط هرثمة بن أعين (١٨٠هـ/٧٩٦م)

لوحة رقم 2 ،تمثل منارة رباط هرثمة بن أعين بالمنستير كما تمثل أيضا التواصل المعماري الحربي العباسي بين المشرق وبلاد المغرب.



1 - سوسة - منارة رباط زيادة الله الاول (206هـ/821م)

لوحةرقم 3 ، تمثل منارة رباط سوسة وتبرز التواصل الفني بين العمارة الحربية العباسية في العالم الاسلامي .



فهرس الأعلام

الألـــــــــف

حـــرف الجيـــم

حرف الحاء

حـــرف السّيـــن

حرف الصّـــــــاد

حـــــــرف العين

حـــــرف الهـــاء

حـــــرف الـــواو

حـــــرف اليـــاء

فهـــــــرس البلـــــدان

حـــــــرف الالـــــف

حـــــرف البـــاء

حـــــرف التـــــاء

حـــــرف الجيـــم

حـــــرف الحاء

حــــــــرف الخــاء

حــــــــرف الـدال

حــــــــرف الـــذال

حـــــرف الـــراء

حـــــرف الـــزاى

حـــــرف السين

حـــــرف الشيـــــن

حـــــرف القـــاف

حــــرف الكـــاف

حـــــرف اللّام

حـــــرف الميم

حرف النّـون

حـــرف الهـاء

حـــرف الـواو

الفهرس العام

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس